الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة المرقب
كلية الآداب والعلوم بترهونة
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية / شعبة الأدبيات

تأثير رجال الدولة على حركة الشعر في الأندلس (عصر الطوائف)

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات درجة الإجازة العالية (الماجستير) في الدراسات الأدبية

إعداد الطالبة :- حنان مراجع عمر الفزاني

إشراف الدكتور :- رمضان سعد القماطي

العام الجامعي :2008/2007

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة ، الآية : 32

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى مَن قرن الله برّهما بعبادته ؛ حيث قال : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [1] لبيان حقهما العظيم ، إنهما أبي وأمي مع جزيل شكري لهما .

الباحثة .

[1] سورة الإسراء ، من الآية : ٢٣ .

الشكروالتقدير :

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير :

إلـى الـدكتور رمضـان سـعد القمـاطي علـى قبولـه الإشـراف علـى هـذا البحث، فقد أعطاني من وقته وجهده الكثير ونصائحه التي لا غنى عنها .

وإلـى أعضـاء لجنـة المناقشـة التـي تفضـلت مشكـورة بقبـول مناقشـة هـذه الرسالة .

وإلى الدكتور أمين اللجنة الشعبية بكلية الآداب والعلوم بترهونة .

وإلى الإستاذ أمين قسم اللغة العربية بالكلية .

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل .

الباحثة .

المقدمة :

إنَّ الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومِنْ سيئات أعمالنا ، ومَنْ يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادي له و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

و بعد :

فقد تبدى لي من من خلال العديد من البحوث التي قام بها الكُتَّاب المعاصرون أن عصر ملوك الطوائف يمثل مرحلة النضوج بين مراحل تطور الأدب في الأندلس .

فقد كان الملوك في الأندلس أدباء وشعراء ، يتذوقون الأدب ، ويقرضون الشعر والأديب أعرف بقيمة الأديب ، و الشاعر أنس بالشاعر ، فكانوا لهذا يتنافسون في تعهد الأدباء وإثابة الشعراء ، ويبالغون في إكرامهم ، وإجزال العطاء لهم ، فكان لملوك الطوائف الدور الكبير في أزدهار الشعر والأدب ، ومن أهم الدويلات التي قامت في القرن الخامس الهجري هي دولة بني عباد التي استقلت في إشبيلية سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) ودامت حتى سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، ودولة بني هود في سرقسطة من سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) إلى سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) وهي دولة عربية أشهر ملوكها المقتدر بالله وابنه المؤتمن ، وأيضاً دولة بني الأفطس التي استقلت في بطليوس من سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م)إلى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٦٨ م) ودولة بني جهور التي قامت في قرطبة من سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣٠ م)إلى سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٨ م) ، وابن صمادح الذي كان مستقلا بالمرية ، ودولة بني ذي النون وقد استقلت بطليطلة من سنة ٤٧٧ هـ (١٠٣٥ م) حتى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٧٥ م) [1]، وقد يكون فرط عناية بعض هؤلاء الملوك بالأدب وأعتدادهم بالشعر أنهم كانوا لا يستوزرون وزيراً إلا أن يكون شاعراً أديباً كما فعل المعتمد بن عباد

١) ينظر قلائد العقيان في محاسن الأعيان للفتح بن خاقان ، قدم له ووضع فهارسه : محمد العناني ، المكتبة العتيقة ، مصورة عن طبعة باريس : ٢٣ .

ولقد قالوا : إنه لم يجتمع من فحول الشعراء ، وأمراء الكلام بباب أحد من ملوك الإسلام ما اجتمع ببابب الرشيد والصاحب بن عباد ، أمثال ابن عمار ، وابن وهبون وابن زيدون وغيرهم ، حتى أصبح بلاطهم ومجالسهم مركز الحركة الأدبية في الأندلس ، ومنتدى الأدب في عصرهم الذي تميز عن باقي العصور الأخرى ، وقد سمي بالعصر الذهبي ، وفيه اهتماما من جانب الخلفاء والملوك بما يمثل من بعث الهمم واستنهاض القرائح ، والنهوض بالشعر والأدب ، وكان المعتمد يناظر المتوكل ابن الأفطس ، وكان في حضرة بطليوس كالمعتمد باشبيلية يتردد أهل الفضل بينهما كتردد النواسم بين جنتين ، وينظر الأدب منهما عن مقلتين ، والمعتمد أشعر والمتوكل أكتب [1] .

وخير دليل على ذلك ما يحكى عن المعتمد أنه أول ما تعرف إلى زوجته " إعتماد " الشهيرة بالرُميكية عن طريق الأدب ، فقد زعموا – كما يقول المقُّري أن المعتمد ركب في النهر ومعه ابن عمار وزيره وقد زردت الريح النهر ، فقال ابن عبّاد لابن عمار : أجز :

صَنَعَ الريحُ من الماء زرد

فأطال ابن عمار الفكر ، فقالت امرأَة من الغسالات :

أي دِرْعٍ لقتالٍ لو جَمَدْ

فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به ، مع عجز ابن عمار ، ونظر إليها فإذا هي صورة حسنة فأعجبته فسألها : أذات زوج هي ؟
فقالت : لا ، فتزوجها وولدت له أولاده الملوك النجباء [2] .

وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي : أقمتُ بإشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت إلي ولا يعبأ بي ، حتى قنطت لخيبتي مع فرط تعبي وهممت بالنكوص على عقبي ، فإني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي إذ بغلام معه شمعة ومركوب فقال لي : أجب السلطان ، فركبت من فوري ودخلت عليه فأجلسني على

[1] ينظر النفح ٢ : ٤٥٣ .
[2] ينظر المصدر السابق ٤ : ٢١١ .

مرتبتـه ، وقـال لـي : افتح الطـاق التـي تليك ، ففتحتهـا فـإذا بكـور زجـــاج علـى بعد والنار تلوح من بابيه ، وواقدة تفتحها تارة وتسدها أخرى ، ثم دام سد إحداهما وفتـــح الأخر فحين تأملتهما ، قال لي : أجز :

فقال : أنظرهما في الظلام قد نجَما

فقلت: كَما رَنا في الدُّجُنَّةِ الأَسَدُ

فقال : يفتح عينيـهِ ثمَّ يُطبقهُما

فقلت : فِعلُ اِمرئٍ في جُفونِهِ رَمَدُ

قال : فاِبتزَّهُ الدهرُ نورَ واحدةٍ

فقلت : وَهَل نَجا مِن صُروفِهِ أَحَدُ

فاستحسن ذلك وأمر لي بجائزة سنية ، وألزمني خدمته [1]

وأنا أرى من خـلال هذه الأبيـات فيهـا اختبـار مـن طـرف خفـي لمقدرة الشـاعر ابـن حمـديس علـى إجـادة الشـعر مـن قبـل الشـاعر الملـك المعتمـد بـن عبـاد قبـل أن يلحقـه بشعراء بلاطه ، وهذا أيضاً دليل على حسن البديهة وجمال والارتجال الذي جاء بـه المعتمد والشاعر ابن حمديس .

ومـن أجـــل متابعـــة الحركـة الأدبيـــة فـي بـلاد الأندلـــس ودور الحكـــام والأمـراء اخترتُ هذا الموضوع الذي قسمته إلى مقدمة و ثلاثـــة فصول ، والخاتمة بالنتائج .

الفصـــل الأول : التأثيـــر فـي نظـم القصائـــد ، فالمبحث الأول يتنـــاول التأثيـــر فـي الأغراض الشعريـــة ، حيـث بـــرزت أغراض معينـــة في ذلك الوقت منهـا الوصـف جمـال الطبيعـة ، والخمـر ، والرثـاء ، والفخـر ، والغـزل بالمـذكر ، كمـا ذاع الغـزل بالغلمان ذيوعاً شديدا حتـى أصبح الغزل بـالأنثى يكـاد يكون شيئاً غريبـا ، وأيضـاً المدح فقد صـرف ملوك الطوائـف جهدهم إلـى العنايـة بـالأدب والشعر فصـار المدح غـذاء أرواحهم كالملح لطعام أجسادهم ، وظلت هذه العـادة فيهم حتـى أن يوسـف بـن

[1] ينظر النفـــح ٤:٦١٦ -٦١٧ .

تاشفين لما دخل الأندلس توسط له المعتمد بن عباد عند الشعراء ليمدحوه حتى لا يصغر من شأنه ، وهو الذي دخل في نجدة لهم على الإفرنجة ، وكان على يده النصر المبين .

والمبحث الثاني يتناول التأثير في المضمون ، وشمل المعاني التي تناولها الشعراء في ذلك الوقت ، والصور التي قام الشعراء بتأليفها من خلال إحساسات سابقة لا حصر لها مختزنة في عقولهم ، ومستوحاة من طبيعة بلادهم الساحرة .

والمبحث الثالث : التأثير في البحور والقوافي فقد امتطى الشعراء في عهد رجال الدولة أغلب القوافي المقيدة منها والمطلقة وقد عزفوا على أغلب بحور الشعر ؛ و كان تركيزهم على البحور الخفيفة .

الفصل الثاني:

دورهم في النهوض بالشعر من خلال تفضيل الشعراء ، و المبحث الأول يتناول موضوع الاستماع إلى الشعراء وتقديم الحوافز ، فقد كان المعتضد يخصص يوماً من كل أسبوع وينصب كرسيا للشاعر فيجلس عليه ويلقي شعره [1] ، وكان يجيز الجيد منهم فينال عطاياه . وأما المبحث الثاني فهو بعنوان : تقليدهم للمناصب وإرسالهم في مهمات ، ومن فرط عنايتهم بالشعر والشعراء كانوا لا يستوزرون وزيراً إلا إذا كان شاعراً أو أديباً ، والمبحث الثالث بعنوان : الدعوة إلى البديهة والارتجال ، وعن طريقهما توصل صاحبها إلى أعلى المراتب كما حدث مع اعتماد الرميكية زوجة المعتمد ، والمبحث الرابع : يتناول الدعوة إلى تأليف كتب المجاميع الشعرية .

وأما الفصل الثالث فهو بعنوان : نقدهم للشعر حيث تناول المبحث الأول نقد المعاني والألفاظ ، كما يتناول المبحث الثاني السرقات الشعرية التي كانت تحدث عند الشعراء في ذلك الوقت ، والمبحث الثالث نقد الصور والأخيلة إلا أن هذا المبحث لم أجد فيه مواقف نقدية عديدة توضح دور رجال الدولة في نقد صور الشعراء

---

[1] ينظر النفح ٤:٢٤٤ .

إلا شذرات نقدية بسيطة تم ذكرها في البحث ، وذلك لقلة المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع باستفاضة .

وخصوصاً المصادر الأندلسية في القرن الخامس الهجري ، وما يخص النقد بالذات فالمصادر التي تشير إلى دور رجال الدولة في نقد الشعر وتقويم الشعراء تبدو قليلة إذا قيست بما توفر من نتاج في مجال الشعر ، وإلى جانب الصعوبات الأخرى التي واجهتني في مسيرة البحث وبالرغم من ذلك فقد تمكنت بفضل الله من إتمام هذا البحث بالشكل الذي هو عليه وفي حدود أمكاناتي ، وقد أعتمدتُ في استكمال موضوعات هذا العمل على مصادر أندلسية أساسية منها على سبيل المثال :

١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام الشنتريني .

٢- قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، للفتح بن خاقان .

٣- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقري التلمساني .

٤- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملِح أهل الأندلس ، للفتح بن خاقان .

٥- الإحاطة في أخبار غرناطة ، للسان الدين بن الخطيب .

وأسأل الله التوفيق

الباحثة.

الفصل الأول : التأثير في نظم القصائد

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

التأثير في الأغراض الشعرية

المبحث الثاني:

التأثير في المضمون " المعاني والصور والأخيله "

المبحث الثالث :

التأثير في القوافي و البحور

المبحث الأول :
التأثير في الأغراض الشعرية

لقد نظم رجال الدولــة في أغلب الأغراض الشعريــة التي عرفت في المشرق فظهر في عهدهم الكثير من فحول الشعراء كابن زيدون [١] ، و ابن دراج القسطلي[٢] وابن خفاجة [٣] ، وعبد الجليل بن وهبون[٤] ، و الوزير ابن عمار[٥] ، والمعتمد بن عباد أمير إشبيلية[٦] ، حتى صار الشعر في القرنين الرابع والخامس الهجريين يجري على كل لسان .

ومن الأغراض الشعرية التي تميزوا بها : الوصف ، ولا سيما وصف الطبيعة كالرياض ، والبساتين ، والأزهار ، والطيور ، ووصف السحاب ، والرعد والبرق ، والبحار ، و الأنهار ، وكما وصفوا الأساطيل ، وسير الجيوش ، ونشوب المعارك ، والقصور و التماثيل ، ومجالس اللهو والطرب ، والسمر .

ومن الأغراض الجديــدة التي نظموا فيها : رثاء الممالك والمدن الزائلة [٧] وكان هناك الكثير من أمراء الطوائف من يتذوقون الشعر أو ينظمونه ، ومن أبرزهم المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ، فقد كان شاعراً وعاش حياة فيها ألوان من الشعر

---

[١] ابن زيدون أبو الوليد أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي ، توفى سنة ٤٦٣ هـ بمدينة إشبيلية ، ينظر النفح ٦٢٧:١ ، والذخيرة ١ :١ :٣٣٦ ، والمطرب :١٦٤ ، ووفيات الأعيان ١٣٩:١ ـ ١٤١ .

[٢] ابن دراج القسطلي : أبو عمر أحمد بن العاص بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج القسطلي ، الشاعر الكاتب ، كان كاتب المنصور بن أبي عامر وشاعره ، وهو معدود في تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين والعلماء المتقدمين ، له ديوان شعر ، ولد سنة ٣٤٧ هـ وتوفى سنة ٤٢١ هـ . ينظر ترجمته في الذخيرة ١/١ : ٥٩ ، المغرب ٦٠/٢ ، المطرب ١٥٦ ، الأعلام ٢١١/١ .

[٣] ابن خفاجة أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي ، توفى سنة ٥٣٣ هـ ، ينظر النفح ٦٧٧:١ ، ووفيات الأعيان ٥٦:١ .

[٤] عبد الجليل بن وهبون المرسي أحد الشعراء الفحول ، توفي سنة ٤٨٠ هـ ، ينظر الذخيرة ٢ :١ :٤٧٣ والمطرب من أشعار أهل الغرب لابن دحية ، تحقيق : إبراهيم الأبياري: ١١٨ . و بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، تأليف أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ ، تحقيق : روحية عبد الرحمن السويفي ، منشورات محمد علي دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى : ٣٣٧ – ٣٣٨ .

[٥] ابن عمار " ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار ولد ٤٢٢ هـ قتله المعتمد عندما قام بهجاء المعتضد والمعتمد وزوجه اعتماد " الذخيرة ٢: ١ : ٣٦٨ ، والمطرب : ١٦٩ ، و وفيات الأعيان وأنباء الزمان لأبن خلكان ، تقديم : عبد الرحمن المرعشلي ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ٤ :٤٢٨ .

[٦] المعتمد بن عباد : هو أحد ملوك الطوائف ، كان ملكا وشاعرا محسنا ، وبطلا شجاعا ، وجوادا ممدوحا ، بقى في مملكته اشبيلية نيفا وعشرين سنة ، وقبض عليه يوسف بن تاشقين وسجنه بأغمات حتى مات سنة ٤٨٨ هـ ينظر ترجمته في الذخيرة ٢/١ : ٤١ ، البيان المغرب ٢٤٤/٣ .

[٧] ينظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تأليف أحمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر بيروت سنة ١٩٦٨م ، ٤٤٦:٤ ، وقصة الأدب في الأندلس ، محمد عبد المنعم خفاجة منشورات مكتبة المعارف في بيروت – ٢ :٦٦ ـ ٦٧ ، ورثاء المدن في الشعر الأندلسي ، عبد الله محمد الزيات ودراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة – الطاهر أحمد مكي : ٢٥١ـ ٢٥٢

وفنون الأدب فقرب الشعراء إليه ، بل إنَّه لم يستوزر وزيراً إلا من كان أديبا وشاعراً أمثال ابن زيدون وابن عمار [١] ، وأيضا كان المعتصم بن صمادح[٢] صاحب المرية والمتوكل بن الأفطس [٣] ، وغيرهما من أمراء الطوائف كان لهم تأثير على توجيه حركة الشعر في القرن الخامس الهجري سواء كان هذا التأثير بشكل بيّن أو خفي .

١- الوصف :

كان لجمال طبيعة الأندلس وازدهار حضارتها تأثير قوي على الشعراء وبخاصة في مجال الوصف ، فوصفوا وأبدعوا فيما يحسونه تجاه بلادهم ، فوصفوا الرياض والبساتين ، والأشجار ، والثمار ، والأزهار ، والطيور ، والقصور ومجالس اللهو ، كما وصفوا المعارك وأساطيل الجيش ، ووصفوا أيضا الخمر والنساء والسحاب ، والبرق والبحار والأنهار وغيرها .

وإذا ذهبنا نلتمس الأسباب التي دفعت الشعراء إلى وصف القصور لوجدناها مقترنة باهتمام ملوك الطوائف بالعمارة ، واحتفائهم بمظاهر الأبهة ، فقد شجع هؤلاء الملوك شعراءهم على وصفها .

وكان الأمراء والحكام يوجهون الشعراء نحو غرض الوصف بطريق مباشر أو غير مباشر .

أولا : التأثير غير المباشر

وذلك ما يبدو واضحا من خلال وصف قصورهم وحدائقهم ، ومجالسهم ، فهذا أبو الحسن البكري [٤] يصف قصر المعتمد بن عباد بما فيه من تماثيل ، فيقول :

---

[١] ينظر قصة الأدب في الأندلس ٢: ٧١ .

[٢] المعتصم : هو أبو يحيى محمد بن معن بن محمد بن أحمد بن صمادح صاحب المرية المنعوت بالمعتصم ينظر النفح ١: ٦٦٦ ، والذخيرة ١: ٢ : ٦٩١ ، والمطرب : ٣٤ ، والمغرب ٢: ١٩٥ ، ووفيات الأعيان ٥:٣٩ .

[٣] المتوكل بن الأفطس : أبو محمد ابن السلطان المظفر أبي بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة ، توفى سنة ٤٦٠ هـ ، عالم ملوك الطوائف ، ينظر النفح ١:٦٦٣ ، والمطرب: ٢١ – ٢٢ .

[٤] هو حكم بن محمد أبو الحسن غلام البكري أديب وشاعر ، ينظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – لأبن بسام الشنتريني ، تحقيق : إحسان عباس – الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ٢ : ٢: ٥٦٣ وبغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس – أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي – تحقيق : روحية عبد الرحمن السيوفي منشورات دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة الأولى : ٢٤٠ .

أقَرْنُ الغزالةِ أم مَعْقِلُ يكاد الجمادُ به يَعْقِلُ

قرارةُ أنسٍ تُبِنُّ الظباء به والضراغمةُ البسّلُ

تجرّدُ أفواهها في الصفا سيوفاً بشمس الضحى تُصْقلُ

وليست سيوفاً ولكنَّها لظامي الثرى مَنْهَل سلسلُ

تشقُّ المياهَ بهنَّ المياهُ كما شقَّ في اللأمة المِنْصلُ[1]

محاسنُ للروضِ فيّاضةٌ بها تضعُ الأرضُ ما تحملُ

ترضِّعُ أطفال أشجارها ضروعُ مثاعِبِها الحفّلُ

يلي الحوضُ مِذْنَبُه مثلما جنا الردف واندمجَ الأيْطَلُ [2]

تلفُّ الثرى في برودِ الربيع إذا عزَّتِ الروضةَ الشمأل [3]

وصف الشاعر القصر بما فيه من تماثيل وتحف في صور رائعة ، فشبه تمثال الغزالة وهو يقذف الماء بالسيوف المصقولة في اللمعان وقوة الاندفاع ، فبسبب هذه المياه تضع الأرض ما تحمل من خيرات ، وترضع الأشجار من مائها كما ترضع الأم أطفالها ، فهذه صورة في غاية الروعة والجمال ؛ لأن الشاعر أعطى للجماد صفة الحياة والنماء .

ويتضح من خلال هذه الأبيات تأثير رجل الدولة المعتمد بن عباد على الشاعر بشكل خفي من خلال بنائه للقصر وتفننه في زخرفته ، ودعوة الشاعر لزيارته كان سببا في إعجاب البكري بجمال القصر وما يحويه من تحف فصاغ تلك المحاسن في قالب شعري .

---

(١) اللأمة : الدرع والأم : الشديد من كل شيء ، لسان العرب لابن منظور – دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان – الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢ م ، ١٢:٢١٢ .

(٢) الأيْطل : منقطع الأضلاع من الحجبة ، وقيل الخاصرة – لسان العرب ١١:١٨ .

(٣) الذخيرة : ٢ : ٢ : ٥٧٠ – ٥٧١ .

ولعبد الجليل بن وهبون قصيدة في وصف " الزاهي " – وهو أحد قصور المعتمد ابن عباد منها قوله :

وللزاهي الكمالُ سناً وحسناً كما وَسِعَ الجلالةَ والكمالا

يُحاطُ بشكلِهِ عرضاً وطولاً ولكنْ لا يُحاطُ به جمالا

وقورٌ مثلُ ركنِ الطّوْد ثَبْتٌ ومختالٌ من الحُسْنِ اختيالا [١][٢]

وصف الشاعر القصر بالجمال والكمال في بنائه وشبهه بالجبل في علوه ورسوخه ، فمن دخل إليه رأى سحر جماله ، وبعد أن تحدث الشاعر عن القصر بشكل عام دون التركيز على جزء معين تناول بهوه ، وما فيه من صور مفضضة ومذهبة بعضها جانح إلى البياض ، وبعضها الآخر مائل إلى الحمرة وكأنها تحاكي السماء وترى على صفحاتها ألوان الشفق فقال :

وللبهو البهيِّ سماءُ نورٍ تمثّلَ شكلها حلقاً دِخالا

مزخرفةٌ كأنَّ الوشي ألقى عليها من طرائِقِهِ خيالا [٣]

ثم وصف الرسوم والتماثيل التي حواها القصر مركزا على وصف فيل من الفضة يقذف الماء من فمه فيقول :

وكل مصوّرٍ حيّ جماد تبيّنَ فيه زهواً أو دلالا

له عملٌ وليس له حراكٌ وافهامٌ وما أدّى مقالا [٤]

هذه القصيدة ـ كما هو واضح ـ أريد بها المدح فاتخذ وصف القصر وسيلة إلى مدح الأمير ؛ لأن تأثير المعتمد بن عباد على الشاعر بشكل خفي ، فهذا ليس بالجديد

---

[١] الطود : الجبل العظيم ، والطود الجلمود ، لسان العرب ٣ : ٢٧٠ .
[٢] الذخيرة ٢ : ١ : ٥٠٨ .
[٣] المصدر السابق :١ : ٢: ٥٠٨
[٤] المصدر السابق ٢ : ١ : ٥٠٩ .

أو الغريب لطالما كان لرجل الدولة المعتمد بن عباد تأثيره ودوره البارز في توجيه الشعراء الذين كانت لهم السيادة في المجتمع الأندلسي زمن ملوك الطوائف .

ومن موصوفاتهم من الطبيعة الهامدة الدالة على حضارتهم وصف الوزير أبي القاسم بن مرزقان [١] لشمعة محكمة الصنع على صورة مدينة أهديتْ للمعتمد بن عباد ، فقال :

مدينةٌ في شمعةٍ صُوِّرَتْ قامتْ حُماةٌ فوق أسوارها

وما رأينا قبلها روضةً تتَّقِدُ النَّارُ بنوّارها

تُصَيِّرُ الليلَ نَهاراً إذا ما أقبلتْ ترفل في نارها

كأنّها بعضُ الأيادي التي تحت الدجى تسري بأنوارها

من مَلكٍ معتمد ماجدٍ بلادُهُ أوطانُ زوّارها

أكفٌّ ذات الشعر تَغْنَى بهِ وشعره حليٌّ لأشعارها [٢]

إن هذه الأبيات بمثابة دليل على أن الشعراء كانوا يصفون الهدايا التي كانت تقدم لأصحاب الشأن من الأمراء ، مع وصف قصورهم ؛ لأن شعر هؤلاء الشعراء أكثر ثباتاً وأعمق جذوراً من قصورهم ، فقد فنيت قصورهم وبقى الشعر يحدثنا عنهم ما بقى الزمان [٣].

وقام الشعراء بوصف مجالس الشراب بناء على رغبة الحكام ، فكانوا يرسلون إليهم بطاقات شعرية رقيقة يدعونهم فيها بلطف إلى الإسهام معهم ، فلا يترددون في

---

[١] أبو القاسم بن مرزقان مولى المعتمد ، ذكر صاحب الذخيرة : أنه قتل يوم دخول الملثمين إشبيلية ، ينظر الذخيرة ٢ : ١ : ٥٢٠ ، والمغرب في حلى المغرب ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر – الطبعة الثالثة ١:٢٦٦ .

[٢] الذخيرة : ٢ : ١ : ٥٢٠ .

[٣] ينظر البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عهد ملوك الطوائف ، تأليف : سعد إسماعيل شلبي ، دارنهضة مصر للطباعة والنشر : ٤٦٠ .

الاستجابة لهم ، وروى صاحب نفح الطيب أن باكورة نرجس أدخلت على المعتمد فكتب إلى ابن عمار [1] يستدعيه :

قَد زارَنا النَّرجِسُ الذَكيُّ وَآنَ مِن يَومِنا العَشِّيُّ

وَنَحنُ في مَجلِسٍ أَنيقٍ وَقَد ظَمئنا وَفيه ريُّ

وَلي خَليلٌ غَدا سمِيّي يا لَيتَهُ سَاعَدَ السَّميُّ

فأجابه ابن عمار :

لبيك لبيك من مناد له الندى الرحبُ والندي

ها أنا بالباب عبد قن قبلته وَجْهُك السنيُّ

شرفه والداه باسمٌ شرفته أنت والنبيُّ [2]

وروى أيضا أن الوزير أبا عثمان بن شنتقير[3] وأبا عامر ابن غند شلب [4] وفدا رسولين على المعتمد بن عباد ، عن إقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم والمقتدر ابن هود ؛ لإصلاح ما كان بين المعتمد وبين ابن ذي النون ، فسر المعتمد بهم وأكرمهم ودعاهم إلى طعام صنعه لهم ، فلم يشرب المعتمد الخمر معهم ، فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب ، فلما أمر بكتابة أجوبتهما ، فكتب إليه أبو عامر :

بقيت حاجة لعبد رغيبِ لم يدع غيرُها له من نصيبِ

أنا خيريه المساء[5] حديثاً وأنا في الصباح أخشى رقيبي

---

[1] تمت الترجمة له : ٣

[2] ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، جمع وتحقيق : رضا الحبيب السويسي – الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٥ م: ١٥٨ – ١٥٩ .

[3] أحمد بن يحيى بن شنتقير ، يكنى أبا جعفر وكان وزير بني هود ، ينظر نفح الطيب ٣: ٤٠٥ ، والمغرب ١: ١٧٩ .

[4] ابن غند شلب : لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم ، ولكن ذكر اسمه في النفح فقط ٣ :٤٠٥ .

[5] زهرة تفوح في الليل ، المعجم الوسيط ١ : ٢٦٤ .

فتمنّيْتُ لَيْلـةً ليسَ فيها لِذُكاء ذلكَ السّنا مِنْ مَغِيبِ [1]

ثم أغْدوا كأنَّني كنتُ في النو مِ وأَخفي المنامَ خوفَ هزيبِ [2]

فسر المعتمد وانبسط بانبساطه ، وضحك من مجونه وكتب إليه :

يا مُجابا دَعا إلى مُسْتَجِيبِ فَسَمِعنا دُعاءَه مِنْ قَرِيبِ

إن فَعَلتَ الَّذي دَعَوْتَ إلَيهِ كُنْتَ فيما رغِبْتَ عيْنَ رَغِيبِ [3]

واستحضره فنادمه خالياً ، وكساه ووصله ، وانقلب مسروراً وظن المعتمد أن ذلك يخفي من فعله عن ابن شنتقير ، فأعلم بالأمر القائد ابن مرتين [4] ، فكاد يتفطر حسدا ، وكتب إلى المعتمد :

أنا عبدٌ أوليته كلّ برِّ لم تدع من فنون برِّك فنّا

غير رفع الحجابِ في شُرْبك الرا ح فما ذا جناه أنْ يتجنّى

وتمنّى شرابَ سؤرِكَ في الكأ سِ فبالله أعطهِ ما تمنّى

فسرته أبياته وأجابه :

ياكَريمَ المَحَلِّ في كُلِّ مَعْنَى وَالكَريمُ المحلِّ لَيسَ يُعَنّى

هَذِهِ الخَمرُ تَبتَغيكَ فَخُذها أَو فَدَعْها أَو كَيفَما شئتَ كُنّا[5]

إن للصنائع التي كان يقوم بها رجال الدولة دورها في توجيه حركة الشعر وتحريك قرائح الشعراء ، كصناعة الأسلحة والأساطيل الحربية ؛ لكثرة حروبهم مع

---

[1] ذكاءُ : الشمس ، وابن ذكاء الصباح ، المعجم الوسيط إبراهيم أنيس ، وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثانية – ١:٣١٤ .

[2] النفح ٣:٤٠٦ .

[3] ديوان المعتمد : ٢٠٢ .

[4] أبو بكر محمد بن مرتين وزير للظافر بن المعتمد أثناء ولايته على قرطبة ، ينظر المغرب ١:٢٤٨ .

[5] نفح الطيب ٣:٤٠٦ .

النصارى ، فوصف الشعراء الأساطيل الحربية كالأسطول الذي بناه المعتصم بن صمادح [1] فوصفه ابن الحداد[2] فقال :

هامَ صَرْفُ الرَّدَى بِهَامِ الأعادِي أنْ سَمَتْ نَحْوَهُمْ لها أَجْيَادُ

وَتَرَاءتْ بِشَرْعِها كَعُيُونٍ دَأبُهَا مِثْلُ خائِفِيها سُهادُ

ذاتُ هُدْبٍ من المَجَادِيفِ حاكٍ هُدْبَ باكٍ لِدَمْعِهِ إِسْعادُ

حِمَمٌ فوقها من البيضِ نارٌ كُلُّ مَنْ أُرْسِلَتْ عليه رَمَادُ

ومِنْ الخَطِّ في يَدِيْ كلَّ درٍ أَلِفٌ خَطُّها على البحرِ صادُ[3]

صور الشاعر الأسطول في صورة إنسان ، أخذ من صفاته الحسية والمعنوية وشاكل بينهما وبين الأسطول من جهة ، وبينهما وبين الأسطول والأعداء من جهة أخرى ، فهي عيون ومجاديفها أهداب وهي ساهرة لصيانة شواطيء الدول وثغورها ، وأعداؤها ساهرون خوفا منها .

ثانياً : التأثير المباشر

في كثير من الأحيان يطلب رجال الدولة من الشعراء وصف شيءٍ معين بشكل بيّن أثناء حضورهم للمجالس التي كانوا يعقدونها خصيصاً للشعراء ؛ لكي يختبروا مقدرتهم على قول الشعر ، وسرعة البديهة والخاطرة لديهم ، فهذا المعتضد [4] يأمر ابنه المعتمد بوصف مجن لازوردي اللون مطوقا بالذهب وفي وسطه مسامير مذهبة فقال على البديهة :

---

[1] تمت الترجمة له : ٤

[2] ابن الحداد هو محمد بن عثمان أبو عبد الله القيسي الأندلسي ، له ديوان كبير وكتاب في العروض ، توفى سنة ٤٨٠ هـ ، ينظر الذخيرة ١ : ٢ :٦٩١ ، و الإحاطة في أخبار غرناطة - تأليف لسان الدين بن الخطيب – تحقيق محمد عبد الله عنان دار المعارف بمصر – الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ - ٢:٣٣٣ ، وفوات الوفيات والذيل عليها تأليف محمد بن شاكر الكتبي – تحقيق إحسان عباس – دار صادر – بيروت- لبنان - ٣:٢٨٣ .

[3] النفح ٤:٥٦ .

[4] المعتضد بالله أبو عمرو عباد ، يسمى بفخر الدولة ثم بالمعتضد ، توفى سنة ٤٦١ هـ ، ينظر الذخيرة ٢ : ١ : ٢٣ ، والمطرب : ١٤ .

مِجَنٌّ حَكَى صانِعُوهُ السَّماءَ لِتَقصُرَ عَنْهُ طِوَالُ الرِّماحِ [1]

وَصاغُوا مِثالَ الثُّرَيَّاعَلَيْهِ كَواكِبَ تَقْضي لَهُ بِالنَّجاحِ

وَقَد طَوَّقُوهُ بِذَوب النضار كَما لَبس الأُفْق ثَوبَ الصَباحِ [2]

نلاحظ من خلال وصفه أن هذا المجن كان غاية في الجمال و البهاء فغدا وكأنه صنع ليكون متعة للناظرين لا عدة لمحارب .

ويتصل بهذا المجال ابن خفاجة [3] الأندلسي ، فقال في الجارية المطيبة المقلدة وقد أمر المعتصم ـ ملك المرية ـ الحاضرين بوصفها :

أَما وَاِعْتِزازِ الضَّيْفِ والسَّيفِ وَالنَّدى بِخَيْرِ مَلِيكٍ هَشَّ في صَدرِ مَجْلِسِ

بَدا بَيْنَ كَفٍّ لِلسَّماحِ مُغيمَةٍ تَصُوبُ وَوَجْهٍ لِلطَّلاقَةِ مُشْمِسِ

لَقَد زَفَّ بِنْتاً لِلخَميلَةِ طِفْلَةً يَهُزُّ إِلَيها الدَّسْتُ أَعطافَ مُعرِسِ

تُشيرُ إِلَيها كُلُّ راحَةِ سَوسَنٍ وَتَشخَصُ فيها كُلُّ عين لِنَرْجِسِ

تَنوبُ عَنِ الحَسناءِ وَالدارِ غُربَةٌ فَما شِئتَ مِن لَهْوٍ بِها وَتَأَنُّسِ[4]

وصف الشاعر الأمير بأنَّه عزيز النفس متسامح ، وبشوش الوجه فزف إليهم صورة حسنة قد رُكبتْ من ريحان في هيئة جارية ، ثم طيبت وقلدت ، فهي ذات عيون نرجسية ، فهي تنوب عن الحسناء في الظهور وهي الأنس كله .

---

[1] المجن : الترس ، لسان العرب ١٣:٤٠٠ .
[2] ديوان المعتمد : ١٧٥ .
[3] تمت الترجمة له : ٣
[4] ديوان ابن خفاجة تحقيق : سيد غازي – دار المعارف – الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م: ١٥٥ – ١٥٦ .

وروى صاحب النفح : كان للمتوكل بن الأفطس [١] فرس أدهم أغر محجل على كفله ست نقط بيض ، فندب المتوكل الشعراء لوصفه ، فصنع ابن اللبانة [٢] شعرا ثم ابن عبد البر ، ثم أبو الوليد النحلي [٣] شعراً قال فيه :

ركب البَدْرُ جواداً سابحاً تقفُ الريحُ لأدنى مَهلِهْ

لَبِسَ الليلَ قميصاً سابغاً والثريّا نُقَطٌ على كَفَلِهْ

وغديرُ الصبحِ قد خيضَ به فبدا تحجيلُهُ من بلله[٤]

إن هذه الشواهد وغيرها تؤكد الدور البارز الذي قام به رجال الدولة في القرن الخامس الهجري ، من أجل توجيه حركة الشعر والشعراء نحو التقدم والتطور .

٣- المديح :

يعتبر المدح من أكثر الأغراض الشعرية تداولاً منذ القدم يتوجه به الشاعر إلى ممدوحه ويحرك فيه أريحية الكرم ، ويثني على ما أشتمل عليه من خلال الخبر قصدا حيناً وإسرافاً حينا آخر ، ومع هذا كان رجال الدولة وأمراء الطوائف في حاجة إلى سماع أصوات الشعراء ودعايتهم ، فمال أكثرهم إلى تقريبهم وإثابتهم على مدائحهم ومن هؤلاء - ابن اللبانة : الذي مدح المعتمد ابن عباد في قوله :

ملك إذ عقد المغافر للوغى حلَّ الملوكُ معاقد التيجانِ [٥]

وإذا غدتْ راياتُهُ منشورةً فالخافقان لهنَّ في خفقانِ [٦]

يا منشئَ العلياءِ بعد مماتها تَفْنى النجومُ وما ثناؤُكَ فانِ

---

[١] تمت الترجمة له : ٤

[٢] ابن اللبانة محمد بن عيسى بن محمد أبو بكر اللخمي الأندلسي المعروف بابن اللبانة ، توفى بميورقة سنة ٥٠٧ هـ ، ينظر الذخيرة ٣ : ٢ : ٦٦٦ ، والمغرب ٢:٤٠٩ ، ووفيات الأعيان ٤:٢٩٧ .

[٣] أبو الوليد النحلي : أديب وشاعر عاصر المعتمد والمعتصم ، ينظر الذخيرة ٢ : ٢ : ٨٠٩ .

[٤] نفح الطيب ٣:٣٣٣ .

[٥] المغافر : هي زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، وقيل رفرف البيضة ، لسان العرب ٥:٢٦ .

[٦] الخافق : الكثير الاضطراب ، لسان العرب ١٠:٨٠ .

الأرضُ حاجتُها إليكَ بطبعها كالعين حاجتُها إلى الإنسانِ [1]

يقول ابن اللبانة إنّ المعتمد ملك شجاع وقوي تهابه الملوك في المشرق والمغرب وهو الذي أحيا إشبيلية بعد مماتها بكرمه وسخائه وشجاعته ، ويشبه حاجة الأرض إليه كحاجة العين إلى الإنسان في أهمية وجود كل منهما للأخر ، وفي هذا التوصيف مبالغة بعض الشيء .

لقد أعجب الشعراء بالأمراء ، فكانوا يذكرونهم في أشعارهم ويشيرون إليهم بأسمائهم ، ومن ذلك قول أبي زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني [2] في مدحه لأمير مالقة [3] أدريس بن يحيى الحمودي [4] :

وكأنَّ الشمسَ لما أشرقتْ فانثنت عنها عيونُ الناظرينْ

وَجْهُ إدريسَ بن يحيى بن علي بن حمّودٍ أمير المؤمنينْ

خطَّ بالمسكِ على أبوابهِ أدخلوها بسلام آمنينْ

انظرونا نقتبسْ من نوركم إنَّه من نورِ ربِّ العالمينْ [5]

وعندما بدأ ابن مقانا في إنشاد قصيدته ، وكان إدريس بن يحيى محتجبا على عادته ، فلما سمع البيتين الأخيرين أمر برفع الحجاب حتى نظر إليه ، وأضفى سابغ نواله عليه [6] .

---

[1] الذخيرة : ٣ : ٢ : ٦٨٧ – ٦٨٨ .

[2] عبد الرحمن بن مقانا البطليوسي أبو زيد ، أديب وشاعر مشهور ، ينظر الذخيرة م٢ : ٢ : ٧٨٦ ، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب ، و ذوي النباهة والشعر تأليف : أبي عبد الله بن محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي – تحقيق : محمد بن ثاوبت الطنجي مكتبة الخانجي بالقاهرة : ٢٦٠ .

[3] مالقة بفتح اللام والقاف : كلمة أعجمية : مدينة بالأندلس عامرة من أعمال ريّة سورها على شاطئ البحرين الجزيرة الخضراء والمرية – معجم البلدان – المؤلف : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي دار صادر بيروت – لبنان ، ٥:٤٣ .

[4] أدريس بن يحيى الحمودي كان أميرا بمالقة ، ينظر الذخيرة ١: ١: ٤٨١ ، والحلة ٢:٢٦ .

[5] الذخيرة ٢: ٢: ٧٩٢ .

[6] المصدر السابق الصفحة نفسها ، والمغرب ١: ٤١٤ ، والحلة ٢ : ٢٨ .

فكان هــذا العطــاء سببا في توجيــه حركة الشعر في ذلك الوقت ؛ لأن الأمير كان يعطي من ماله الشيء الكثير ويثيب الشاعر ؛ لكي يجود بأفضل ما عنده من الشعر .

وكان للمعتصم بن صمادح صاحب المرية [١] دوره البارز في توجيه حركة الشعر ، فهتف باسمه أغلب الشعراء ؛ لأنه كان يغدق عليهم أمواله ، فكان لهذا تأثيره الخفي على توجيــه بعض الشعراء إلى المــدح ، ويعتبر الشاعر أبو حفص بن الشهيد [٢] من الشعراء الذين اشتهروا بالمدح ، وله أمداح كثيرة في المعتصم بن صمادح منها قوله :

وأَحْسَنُ من رَوْضٍ تحَلَّى بنورِهِ مُحيَّا ابن معنٍ في حُليِّ الفضائلِ

جوادٌ كأنَّ الأرضَ جمعاءَ راحةٌ له وبحور الأرضِ خَمسُ أناملِ

جللتَ فجلَّ القولُ فيك وإنَّما يُقَدُّ لقْدرِ السَّيفِ قدرُ الحمائلِ [٣]

نلاحظ أنَّ الشاعر في مدحه للأمير تعمد ذكر محاسنه وصفاته ، وهي بأنه تربى على الفضيلة وحسن الخلق ، و بأنه إنسان كريم فيشبهه في سخائه بالأرض وما تحوي من خيرات كلها مجتمعة في راحة كفه ، وبأن بحور الأرض هي أنامله الخمسة فهو يعطي السائل والمحتاج وليس الشاعر فقط ، وإلى جانب ذلك فهو شجاع يقدر على المتاعب والصعاب التي تواجهه في حياته .

إذن يجب علينا أنْ نعتبر هذه الأبيات ليست مدحا لتكسب من قبل الشاعر ، بل هو مدح حقيقي ؛ لأن هذه الصفات موجودة فعلاً في المعتصم بن صمادح ، فأثرت هذه الصفات في الشاعر بشكل واضح ، ومع هذا كان الأمير يعطي من ماله الخاص أحياناً لكي ينهض بالشعر والشعراء ، ويحفظ لهم مكانتهم المرموقة بين الناس ويوفر لهم العيش الكريم .

---

[١] المرية هي مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس ، ينظر معجم البلدان ٥:١١٩ .

[٢] عمر بن الشهيد التجيبي أبو حفص ، قال الحميدي : لا أحفظ اسم أبيه ، وهو شاعر مشهور بالأدب ، وقال في الجذوة شاهدته في حدود الأربعين وأربعمائة ، ينظر الذخيرة ١: ٢ : ٦٧٠ ، وبغية الملتمس ص : ٣٥٦ .

[٣] الذخيرة :١ :٢ :٦٨٧ .

ومن شعـراء المعتصم أيضاً ابن الحداد الذي كـان يفيض بلاغـة وفصـاحة فقـال في مدح المعتصم :

ولولا أبو يَحْيَى ابنُ مَعْنٍ مُحَمَّدٌ لَمَا كانتِ الأيامُ عِنْدِي ذخائِرَا

يَحَجُّ ذَرَاهُ الدَّهْرَ عافٍ وخائفٌ جُمُوعاً كما وَافَى الحجيْجُ المشاعِرَا

فَزُرْ مَكَّةَ مَهْمَا اقْتَرَفْتَ مآثِماً وزُرْ أُفْقَهُ مَهْمَا شَكَوْتَ مفاقِرَا

تَهِيْمُ بِمَرْآهُ العُصورُ جَلالةً وتَحْسُدُ أُولاها عليه الأَوَاخِرَا[1]

تـدل هـذه الأبيـات علـى جـود وكـرم المعتصـم بـن صـمادح الـذي لا حـدود لـه فالصورة في البيت الثاني تؤكد ذلك ، فشبه الشاعر طـلاب المعروف الـذين يتوافدون إلى المرية بتوافد الحجيج علـى إقامـة شعائر الحـج ، فيقول زر مكـة إذا اقترفت ذنبـاً وزر المرية إن شكوت فقراً ، فهذا دليل على تأثير المعتصـم فـي توجيـه حركـة الشـعر من خلال عطائه وكرمه المتواصل .

كما قام الشاعر عبد المجيد بن عبدون[2] بمدح المتوكل بـن المظفر بـن الأفطـس أمير بطليوس[3] في قوله :

طَبَّقتُ آفـاقَ الكَـلامِ فَلَم أَدَعْ زَهراً يَرِفُّ وَلا جُمانـاً يُنْظَمُ

لِلَّهِ دَرُّكَ هَل لِمَجدِكَ غايَةٌ إلاَّ وَأَنتَ بِهـا مُعَنىً مغرَمُ

هَزَّتْكَ أَرواحُ السَماحَـةِ بانَـةً وَمِنَ الرَجاحَـةِ في حِماكَ يلملَمُ

وَتَعَلَّمَتْ مِنكَ الغَمامَـةُ شيمَـةً تَهمي وَفيها لِلبُروقِ تَبَسُّمُ[4]

لقد شبه ابن عبـدون المتوكل بالبانـة التـي كـان يشبـه بهـا الشـعراء محبوبـاتهم فـي الحسن سماحة وجوداً ، ومثل جبل يلملم فـي رجاحـة العقل وحلمـه ورزانتـه ، وأيضـا

---

[1] الذخيرة ١ : ٢ : ٧١٧ – ٧١٨ .

[2] ابن عبـدون اليابري أديب وشاعـر كان في حدود الأربعمائـة ، وكانت وفاتـه بعد ٥٢٠ هـ ، ينظر الذخيرة ٢ : ٢ : ٦٦٩ ، والنفح ١ : ٦٧٣ ، و المطرب : ١٨٠ ، والمغرب ١:٣٧٤ .

[3] بطليوس : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنه غربي قرطبة ، ينظر معجم البلدان ١:٤٤٧ .

[4] الذخيرة ٢ : ٢ : ٦٨٥.

شبهه وهو يغدق أمواله على الشعراء بالغمامة التي تهطل والبرق فيها يلمع كبسمته التي ترتسم على وجهه دائماً .

كما لم تخلُ بعض المدائح من صور فنية طريفة مبتكرة رائعة ، كما جاء في قول ابن شهيد [1] يمدح المعتصم بن صمادح :

كمَنْتَ في الكون حتى لحتَ منه لنا فردَ الجمالِ كمونَ الدُّرِّ في الصَّدَفِ

فالدهر تحتَ صباحٍ غير مُلْتبِسٍ وتحتَ نَيِّرِ سَعْدٍ غِيرَ مُنكَسِفِ

مَكارِمٌ لم تزَلْ تجري لغايتها كالسَّهمِ سَدَّدَهُ الرَّامي إلى الهدفِ [2]

نجد في البيت الأول الصورة دقيقة وفيها عمق ؛ لأن الدرة الثمينة كامنة في الصدفة ولا يدري أحد بوجودها حتى تخرجها يد الغواص ، فالمعتصم هو الجوهر الفريد الذي كمن في هذا الكون حتى شاء الله سبحانه وتعالى أن يخرجه للناس فيملأ الأرض عدلاً وأمناً .

وهكذا تحولت عواصم الأمراء إلى ساحات كبرى للمديح من خلال مطالب الحكام ورغائبهم ، وما يدفعونه من هبات وعطايا للشعراء ، فليس هناك وزير ولا أمير إلا وتدبج فيه المدائح ، وتحولت قصورهم إلى ندوات واحتفالات لإنشاد الشعراء شعرهم مما أحدث في الأندلس في عهدهم نهضة شعرية بأدق ما تؤديه كلمة نهضة من معانٍ ، سواء كان تأثيرهم بشكل بيِّن أو خفي على توجيه حركة الشعر في عهد ملوك الطوائف .

---

[1] ابن شهيد أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين الأعلى الأندلسي القرطبي توفى سنة ٤٢٦ هـ بقرطبة ، ينظر الذخيرة ١: ١: ١٩١ ، والمطرب : ١٥٨، ووفيات الأعيان ١ : ١١٦- ١١٨

[2] الذخيرة ١: ٢: ٦٨٩ .

٣- الغزل :

كان عصر ملوك الطوائف مجالاً واسعاً لنشر الشعراء أشعارهم في مجالس الحكام ، والأمراء والوزراء ، وفي المنتديات والملتقيات والندوات التي كانت تنشأ عنها علاقات غرامية وغزل ، فظهر الغزل العفيف والحسِّي ، كما شاع الغزل بالمذكر .

وكان الغزل عند الملوك متاعاً ولهواً وظرفاً ، أما عند عامة الشعراء فكان صناعة ومهارة وتكسباً [١] ، وشعر المعتضد (الملك) يؤكد ذلك حيث قال :

يُنادون قلبي والغرام يُجيبُ وللقلب في حِينِ النِّداءِ وَجيبُ

مشوقٌ دَعَاهُ الشَّوْقُ والوَجْدُ والهوَى يُجيبُ نِداءَ الحُبِّ وهو نجِيبُ

يُقاسي فُؤادي الوَجْدَ والحُبَّ واصل فَكيْف تَراهُ إنْ جَفَاهُ حَبيبُ؟

إذَا أخطأ الأحبَابُ تَرْتِيبَ حالهْم فإنَّ فؤادِي دائماً ليُصيبُ

عليمٌ بأسرارِ الغَرامِ لأنَّه بَصِيرُ بأدْوَاءِ الحِسَانِ طبيبُ

يُواصلني سرًّا ويصرْمُ ظاهراً وذلك من أفْعَالهنّ عجيبُ [٢] [٣]

إنَّ هذا الملك يميل إلى هذا اللون من الشعر ، وكأنها دعوة صريحة إلى باقي الشعراء ؛ لكي ينسجوا على منواله ، ويسترضونه بهذا اللون من القريظ ، فيقول أبو جعفر الخولاني [٤] أحد شعراء المعتضد في الغزل :

أردتُ توسيدهُ خدِّي وقلَّ له فقال كفُّك عندي أفضلُ الوُسُد

---

[١] ينظر البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عهد ملوك الطوائف : ٤٠٥ – ٤٠٦ .

[٢] الصَّرْمُ: الهجران . لسان العرب ١٢:٣٣٤ .

[٣] ديوان المعتمد بن عباد (شعر المعتضد) : ٣٤٧ ، وينظر إشبيلية في القرن الخامس الهجري – صلاح خالص – دار الثقافة بيروت – لبنان سنة ١٩٦٥ م : ١٤٨ .

[٤] الأديب أبو جعفر أحمد بن الأبار الخولاني كان في زمن المعتضد بن عباد ، وله في صناعة النظم فضل لا يرد ، وله ديوان شعري ، توفى سنة ٤٣٣ هـ ، الذخيرة ٢ : ١ : ١٣٥، والمغرب ٢: ٢٥٨ ، وبغية الملتمس : ١٤٠ ووفيات الأعيان ١:١٤١ .

فبات في حَرَمٍ لا غَدْرَ يذعَرُهُ وبتُّ ظمأنَ لم أصدُرْ ولم أرِد

بدرٌ ألمَّ وبدرُ التّمّ ممتحقٌ والأفقُ محلولِكُ الأرجاءِ من حسد[1]

تحيَّر الليلُ فيه أين مطلعه أما درى الليلُ أنَّ البدرَ في عضدي[2]

فكأنما بات بجوار صاحبته في حرم مقدس ملتزما للعفاف ، ويكتفي بتكرار النظر للخدود و الوجنات .

ومع هذا قد نجد في غزل الملوك بعض طباعهم ، وفي ثناياه نجد صفاتهم واعتزازهم بشخصيتهم المالكة السمحة الشجاعة .[3]

لقد شجع المعتمد بن عباد الشعراء على تناول غرض الغزل ، فنظم فيه الكثير من شعره خصوصا قبل توليه الملك ، وأيضا في السنوات الأولى من ملكه ، فقال متشوقا إلى اعتماد [4] زوجه :

كَتَبْتُ وَعِنْدي مِن فراقِكِ ما عِنْدي وَفي كَبِدي مافيهِ مِنْ لَوعَة الوَجْدِ

وَما خَطَّتِ الأَقلامُ إلاَّ وَأَدْمُعي تَخُطُّ كِتَابَ الشَّوْقِ في صَفْحَةِ الخَدِّ

وَلَوْلاَ طِلابُ المَجدِ زُرْتُكِ طَيَّهُ عَمِيداً كَما زارَ النَّدى وَرَقَ الوَرْدِ[5]

نلاحظ أن الشاعر كتب لمن يحب كلمات طافحة بالشوق ، غامرة بألم الفراق تنبض بالوجد ، وتزخر باللوعة ، وبرسالة كأنما خطت سطورها بدموعه ، وبلفحات أنفاسه التي لولا طلاب المجد ، ومسؤوليته تجاه بلاده لضم روحه في تلك السطور وحل على خد الحبيب كما يحل الندى على أوراق الورد الظامئة .

وأيضا قال في جارية له كان يحبها ، وبينما هي تسقيه إذ لمع البرق فارتاعت :

ريعَتْ مِنَ البَرقِ وَفي كَفِّهَا بَرقٌ مِنَ القَهْوَةِ لَمَّاعُ

---

[1] ممتحق : المحق النقصان وأمحق الهلال فلم يرَ ، لسان العرب ١٠:٣٣٨ .
[2] الذخيرة ٢: ١: ١٣٦ .
[3] ينظر البيئة الأندلسية : ٤٠٦ .
[4] اعتماد جارية المعتمد وأم أولاده ، تشتهر بالرميكية ، ينظر النفح ٤:٢١١ .
[5] ديوان المعتمد بن عباد : ١٢٩ .

يا لَيْتَ شِعري وَهيَ شَمسُ الضُّحى كَيْفَ مِنَ الأَنْوارِ تَرْتَاعُ[١]

من خلال تلاقي التماع البرق بتلك الكؤوس التي تسعى بها شمس من شموس قصره ، فتطوف علامة من علامات الاستفهام بذهن الأمير الشاعر إنكاراً أو تعجباً من ردة فعلها ، وهي التي شبهها بشمس الضحى في قوة نورها فهي منبع للنور الذي يقرع له القلب ، فأمر شاعره عبد الجليل بن وهبون بإجازة البيت الأول ، فقال :

لن ترى أعجب من أنسٍ من مثل بما يمسيك يرتاع [٢]

فإذا كان ابن زيدون [٣] والمعتمد بن عباد قد توجها بغزلهما نحو المرأة ، فإن ابن عمار وابن الأبار ، وابن الأصبغ بن عبد العزيز ، وابن اللبانة ، وغيرهم قد انجذبوا بغزلهم نحو الغلمان بقدر انجذابهم نحو النساء ، فتميز غزلهم بالعفة والطهارة [٤].

وفي قصور الحكام انبهر بعض الشعراء بجمال الغلمان الذين يجوبون نواحي القصور في خفة ورشاقة ، فعندما يتوجه رجال الدولة بغزلهم نحو الغلمان كان لهذا التوجه تأثيره على حركة الشعر و تطوره في عهد الطوائف سواء كان هذا التأثير بشكل واضح أو خفي ، فعندما يتغزل الملك أو الأمير بغلام في مجلسه وأمام الشعراء فهذا الأمر يشجع الشعراء على تناول غرض الغزل بالمذكر والدليل على ذلك قول الأمير عبد الملك بن جهور [٥] يتغزل في غلام :

أحوى النواظر ألعسُ الشَّ فتين ،عذبُ الريقِ ألمى [٦]

مُخضرٌّ شاربه علا دُرًّا يريك الدُّر نظما

لو زارني طيفٌ له عِنْدَ الهَجُوع ،ولو ألمَّا

---

[١] ديوان المعتمد بن عباد :١١٣ .
[٢] المصدر السابق :١١٣
[٣] تمت الترجمة له : ٣
[٤] ينظر اشبيلة في القرن الخامس الهجري – صلاح خالص – دار الثقافة بيروت – لبنان سنة ١٩٦٥ م : ١٠٥
[٥] عبد الملك بن جهور من أهل الأدب والبيت الجليل ذكره أبو محمد بن حزم ، ينظر الذخيرة ١ :٢ :٦٠٩ و بغية الملتمس : ٢٩٠ .
[٦] أحوى : أسود ليس شديد السواد – ألعس : الذي في شفتيه سواد – ألمى : بارد الريق ، لسان العرب على الترتيب (٤٠٨:٣ ، ٢٨٩:٢ ، ٣٣٦:١٢) .

لأعَادَ روحاً أو لفرَّ ج مِنْ هُمُومِ النفسِ هَمَّا[1]

إن الأمير في هذه الأبيات يتغزل بالغلام ، فيصفه بأحوى النواظر و سوادهما مع سواد و سمرة في الشفاه ، كما يصف لنا خضرة شاربيه فوق نظيم من بياض الأسنان ، وعذوبة ريق ، ويقول : لو أنَّ طيفه زاره عند المنام أو داعبه عند الهجوع لأعاد له روحه السائحة في هواه ، أو لفرج هماً من هموم النفس التي تعلقه بسبب حبه وهواه [2] .

٤ – الرثاء :

كان لرجال الدولة دورهم البارز في توجيه غرض الرثاء ، حيث اتجه الأمراء والشعراء إلى رثاء المدن والممالك الزائلة ؛ لما في نفوسهم من محبة صادقة لوطنهم ، وشغف عظيم بجمال طبيعته وعمرانه ، فكان يشجوهم أنْ يروا ديارهم تسقط بلدا إثر بلد في أيدي الغرباء من غزاة ومكتسحين ؛ فيبكون و يتفجعون وكانوا سببا في الهزائم التي لحقت بالمسلمين أو في سقوط المدائن الأندلسية في أيدي الأعداء فانبرى الشعراء لتخليد ذكرى المعارك أو رثاء أبطالها والمدائن التي سقطت في أيدي النصارى بفعل الحكام .

وكان الأمير المعتمد بن عباد من رواد هذا الغرض هو وشعراؤه ، ثم تبعهم على مر العصور أجيال من الشعراء ، فعندما أدرك المعتمد أنَّ دولتهم انهارت وملكهم قد تلاشى بدأ يرثي مجداً ضائعاً في أبيات من الشعر بلغ صداها المشرق والمغرب فأثرت الحالة التي آل إليها المعتمد وملوك الطوائف بأكملهم في الشعراء ، فأخذوا ينظمون فيهم أرق الأشعار .

ولما وقع المعتمد بن عباد في الأسر ونقل من بلاده ، وحمل في السفينة إلى مكان سجنه بأغمات في أفريقية تذكر المنازل وقصره ، فحن إلى الوطن وبساتينه ونخيله ومياه النهر العذبة ، فقال :

---

[1] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – تأليف أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري ، تحقيق : مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م ٢:٥ .

[2] ينظر تاريخ ملوك العرب الشعراء – إعداد علي المصري – دار الكتاب العربي ٥ : ١٥٦ – ١٥٧ .

بَكى المُبارَكُ في إِثْرِ ابْنِ عَبَّادِ بَكى عَلى إِثْرِ غِزلانٍ وَآسادِ

بَكَتْ ثُرَيَّاهُ لا غُمَّتْ كَواكِبُهَا بِمِثْلِ نَوْءِ الثُّرَيّا الرّائح الغادي

بَكىَ الوَحِيدُ بَكالزَّاهي وَقُبَّتُهُ وَالنَّهْرُ وَالتَّاجُ كُلٌّ ذلُّه بادي

مَاءُ السَّماءِ عَلى أَبنائِهِ دُرَرٌ يا لُجَّةَ البَحْرِ دُومي ذاتَ إِزْبَادِ [1] [2]

إن هذه الأبيات توضح العلاقة القوية والصلة الوثيقة التي كانت قائمة بين الأمير الشاعر وقصوره ، فعندما غادرها بكى عليه قصره المبارك والزاهي والثريا والوحيد ، حتى ضفة النهر حزنت على فراقه .

ولما قام المعتمد برثاء دولته وأهله أثر هذا في نفوس الناس ، وخاصة الشعراء فاتجه العديد من الشعراء إلى رثاء المدن و الممالك الزائلة ، ومن الشعر الذي قيل في رثاء بني عباد على لسان شاعر المعتمد ابن اللبانة ، والشيء الذي أثار كوامن الشعر في نفسه هو هبوط المعتمد من السمو إلى الحضيض ، ومن سدة الملك إلى وهدت السجن ، فبكى الدولة العبادية بشعر صادق طافح بالأسى ، عدد فيه مآثرهم وما صاروا إليه ، فقال :

تبكي السماء بدمعٍ رائحٍ غادي على البهاليل من أبناء عبّادِ[3]

على الجبال التي هُدَّتْ قواعدها وكانتِ الأرضُ منهم ذاتَ أوتاد

عريسةٌ كانت الآمال تعمرها فاليوم لا عاكفٌ فيها ولا بادِ [4]

يقول إنَّ السماء بسحبها تبكي على السادة من بني عباد الذين كانت الأندلس ترسو بهم كما ترسو الأرض بالجبال ، وبأنَّ قصورهم بإشبيلية غابة اقتحمتها الكوارث على أسد مفترس وحية ضخمة سامة .

---

[1] أبنائه وردت أفيائه في النفح ٤:٢٧٤ .
[2] ديوان المعتمد : ٢٩٨ ، ونفح الطيب ٤:٢٧٤ .
[3] البهاليل جمع البهلول العزيز الجامع لكل خير ، والبهلول : الحييُّ الكريم ، لسان العرب ١١:٧٣ .
[4] الذخيرة ٢ : ١ : ٨٠ .

وأيضا قال ابن اللبانة في أحد أبناء المعتمد وهو غلام وسيم ، بعد تبدل أحوال الأمير وسقوط دولتهم في أيدي المرابطين :

شكاتُنا لك يا فخرَ العُلا عَظُمَتْ والرزءُ يعظم ممَّن قَدْرُهُ عَظُمَا

طُوِّقْتَ من نائباتِ الدهرِ مُخْنقةً ضاقَتْ عليك وكم طوَّقْتَنا نِعَمَا

وعاد طَوْقُكَ في دكانِ قارعةٍ من بعد ما كنتَ في قصرٍ حكى إرَما[1]

صرَّفْتَ في آلة الصّواغ أنْملةً لم تَدْرِ إلا النّدى والسيفَ والقلما

يَدٌ عهدتُك للتقبيلِ تبسطها فتستقلُّ الثريا أنْ تكونَ فما

يا صائغاً كانت العليا تُصاغُ له حِلْياً وكان عليه الحِلْيُ منتظما

للنفخ في الصُّورهَوْلٌ ماحكاهُ سوى هولٍ رأيتُك فيه تنفخ الفَحَمَا

وددتُ إذ نظرتْ عيني إليكَ بِه لو أن عينَي تشكو قبلَ ذاك عَمى

ما حَطّك الدهرُ لمّا حطّ عَن شرفٍ ولا تَحيَّفَ من أخلاقك الكرما[2]

يصف الشاعر في هذه الأبيات فخر الدولة [3] ، وبين لنا كيف كان يعيش هذا الأمير وكيف أصبح ينفخ الفحم بقصبة الصائغ ، بعد أن صار أبوه المعتمد أسيرا عند يوسف ابن تاشفين ، فقد عهده أميرا في قصره وسيداً فيه ، وتصاغ له الحُلي واليوم أصبح يصيغ الحلي للناس ، ومع هذا كله اعترف الشاعر بأنَّ تعلم الصياغة صناعة ليس بالأمر المعيب ولا يحط من قدر الأمير وقيمة ، بل يزيده شرفا ورفعة وتألقا بين الناس .

---

[1] إرم : أسم قبيلة عاد ، وإرم ذات العماد مدينة ذات الملك منهم من يقول إنها دمشق ، أو الاسكندرية وهي بلد لم يخلق مثلها باليمن بين حضر موت وصنعاء ، معجم البلدان ١: ١٥٥ .

[2] نفح الطيب ٤:٩٧ ، والمعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع الشاعر المرَزأ ، تأليف : عبد الوهاب عزام – دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩ م ، ص : ٧٩ .

[3] أبو عمرو الأمير فخر الدولة بن القاضي أبي القاسم ذي الوزارتين محمد بن إسماعيل بن عباد صاحب إشبيلية ينظر البغية : ٣٤٥ ، والجذوة : ٢٧٧ .

كما رثى ابن عبدون بني الأفطس في قصيدة طويلة بدأها بمطلع تقليدي يشكو فيه الدهر الفاجع ، والدنيا الخادعة ، فيقول :

الدهرُ يفجعُ بعد العين بالأثر فما البكاءُ على الأشباحِ والصُّوَرِ

أنهاكَ أنهاك لا آلوكَ موعظةً عن نَوْمةٍ بين نابِ الليثِ والظُّفُرِ [1]

ثم أخذ يبكي من بعدهم الأدب والشجاعة والكرم والحدود التي لا تجد من يحميها ، فيقول :

بَني المُظَفَّرِ وَالأَيّامُ ما بَرِحَتْ مَراحِلاً وَالوَرى مِنها عَلى سَفَرِ

سُحقاً لِيَومِكُم يَوماً وَلا حَمَلَتْ بِمِثلِهِ لَيلَةٌ في مُقْبلِ العُمُرِ

مَن لِلأَسرَّةِ أَو مَن لِلأَعِنَّةِ أَو مَن لِلأَسِنَّةِ يُهديها إِلى الثغرِ

مَن لِلبراعَةِ أَو مَن لِليراعَةِ أَو مَن لِلسَماحَةِ أَو لِلنَفع وَالضَرَرِ [2]

أَو رَفعِ كارِثَةٍ أَو دفعِ آزِفَةٍ أَو ردع حادِثَةٍ تَعيا عَلى القدَرِ [3]

إنَّ تلك الأيام والليالي ما هي إلا مراحل ، وما الناس فيها إلا قوافل راحلة إلى عالم الموت والفناء ، فيقول : سحقا وبعدا لليوم الذي زالت فيه دولتكم ، ولا حملت بمثله ليلة تعيسة من الليالي ، ثم يبكيهم لعرش بطليوس وخيلها العادية وسيوفها الباترة ، ويتوجع للسماحة وللشجاعة ويتحسر على ما خسر الدين من جهاد المتوكل للأعداء ، وخسرت الدنيا من مجده وأبهة إمارته [4] .

نلاحظ من خلال ما تقدم أن غرض الرثاء أمتاز به الأمراء أكثر من الشعراء لكثرة ما نالهم من المحن والنكبات ، فاخذوا يرثون أنفسهم ومدنهم فأثر هذا في نفوس الشعراء فطفقوا يرثون المدن والممالك الزائلة .

---

[1] قلائد العقيان : ٤٢ ، والذخيرة ٢ :٢ :٧٢١ .
[2] اليراع : القصب ، القلم يتخذ من القصب ، ينظر المعجم الوسيط : ١٠٦٤/٢ ، ولسان العرب ٤١٣:٨ .
[3] قلائد العقيان : ٤٤ ، و الذخيرة ٢ : ٢ : ٧٢٣ .
[4] ينظر عصر الدول والإمارات الأندلس : ٣٤٧ .

٥- الهجاء :

ظهر الهجاء في عصر الطوائف على شكل قضايا شخصية أو قضايا عامة كالظلم والهزيمة في الحرب والخلل الإداري ، وأيضا بسبب انقسام بلاد الأندلس إلى دويلات متعادية ، وتنافس الشعراء حول الملوك وأزداد عددهم مع نقص موارد الدولة نتيجة للحروب والمنازعات القائمة بين أفراد الطوائف والنصارى أو بين الممالك الإسلامية نفسها ، وأيضا فوز فحول الشعراء بالعطايا جعل صغار الشعراء يحسدون غيرهم من البارزين ويلعنون ذوي النفوذ والسلطان ، فاتجهوا إلى الأقدار يصبون عليها جام غضبهم ونقمهم ويلقون عليها مسئولية الفشل في حياتهم [١] فكان لهذا كله تأثيره على توجيه حركة الشعر في عهد الطوائف كما حدث مع ذي الوزارتين ابن زيدون عندما هجا عبد الله القلاس [٢] ، و أبي عامر بن عبدوس [٣] فقام ابن عبدوس بدس بعض الأبيات متناولا فيها إظهار السرور بموت المعتضد بعد وفاته والدعاء عليه ، ووصفه بالطاغية ثم قام بإرسالها إلى المعتمد بن عباد على أنها قصيدة لابن زيدون وأغروه فيها بالفتك بالشاعر فقال في أولها :

يا أيها الملك العلي الأعظم أقطع وريدي كل باغ ينئم [٤]

القصيدة سبعة وعشرون بيتا على هذا المنوال ، ولكن المعتمد خيب أملهم وعرف أنها زفرة حاسد ، فوقع على ظهر الرقعة التي وصلت إليه :

كَذبَتْ مُناكُم صَرِّحوا أَو جَمْجِموا الدين أَمْتَنُ وَالسَّجِيَّةُ أَكْرَمُ

كُفُّوا ! وَإِلاّ فارقُبوا ليَ بَطشَةً يُلْقَى السَّفيهُ بِمِثلِها فَيُحَلَّمُ [٥]

وهناك العديد من الشعراء اتجهوا بهجائهم نحو الأمراء الذين انشغلوا بحياتهم الخاصة عن أمور الناس ودولتهم المعرضة للانهيار في أية لحظة ، ويعتبر الشاعر

---

[١] ينظر البيئة الأندلسية : ٤٧٠ .
[٢] عبد الله القلاس القرطبي لم أعثر له على ترجمة ، ينظر ديوان ابن زيدون ورسائله : ٧٩١ .
[٣] أبو عامر ابن عبدوس كان بقرطبة أحد أعيان المصر ، توفى في الثمانين من عمره ينظر الذخيرة ١: ١: ٤٣٢
[٤] ديوان المعتمد : ٢٧٠ .
[٥] المصدر السابق : ٢٧٠ -٢٧١ .

السميسر [١] من الشعراء الذين قاموا بهجاء من أَمَّلَ هملوا الدفاع عن أرضهم وتركوا شؤون الناس ، فعبر عن غضبه تجاه المتهاونين من ملوك الطوائف ، والغارقين في ملذاتهم ، فقال فيهم دون ذكر اسم معين لواحد منهم :

نادِ الملوك وقُل لهم ماذا الذي أحدثتُمُ

أسْلَمْتُمُ الإسلامَ في أسْرِ العِدا وقعدتُمُ

وجبَ القيامُ عليكم إذْ بالنصارى قمتمُ

لا تنكروا شقَّ العصا فعصا النَّبي شَقَقْتُم[٢]

وعندما اختار باديس [٣] صاحب غرناطة[٤] ابن النغريلة اليهودي [٥] كاتبا له أثار هذا الأمر حماسة الشعراء لهجائه و التحريض عليه ؛ لأنه قام باختلاس الأموال وإفساد أحوال الرعية فاحتاج الأمر إلى تنبيه الحاكم من قبل الشعراء ، فظهرت قصائد تعري أعمال الكاتب ، ومن هؤلاء الشعراء الذين شاركوا في هجاء ابن النغريلة أبو الحسن يوسف بن الجد [٦] في قوله :

تحكَّمتِ اليهود على الفروجِ وتاهتْ بالبغالِ وبالسروجِ

وقامتْ دولة الأنذالِ فينا وصار الحكم فينا للعلوجِ [٧]

فقل للأعورِ الدجَّال هذا زمانُكَ إنْ عزمتَ على الخروجِ[٨]

كما قام السميسر بالتعريض بحاكم غرناطة عبد الله بن بلقين في قوله :

---

[١] خلف بن فرج الإلبيري السميسر من أعلام شعراء البيرة في مدة ملوك الطوائف مشهور بالهجاء ، ينظر الذخيرة ١: ٢ :٨٨٢ والمغرب ١:١٠٠ -١٠١ .

[٢] الذخيرة ١ :٢ : ٨٨٥ .

[٣] باديس بن حبوس بن ماكس بن زيري ابن مناد الصنهاجي كان رئيسا طاغية جبارا شجاعا توفى سنة ٤٦٥ هـ ينظر الإحاطة ١:٤٣٥ ، والمغرب ٢:١٠٧ .

[٤] غرناطة : هي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها و أحصنها يشقها نهر قلزم ، ينظر معجم البلدان ٤: ١٩٥

[٥] إسماعيل بن يوسف بن نغرلة اليهودي استوزره باديس بن حبوس ملك غرناطة ، قتلته صنهاجة أصحاب الدولة بغير أمر الملك ، ينظر المغرب ٢:١١٤ .

[٦] أبو الحسن يوسف بن محمد بن الجد ينظر الذخيرة ٢ : ٢ : ٥٥٦ .

[٧] العلوج : العلج : الكافر ، وهو الرجل من كفار العجم ، لسان العرب ٩ : ٣٤٩ .

[٨] الذخيرة ٢ :٢: ٥٦٢ .

يَبني على نفسه سفاهاً كأنّه دُودة الحريرِ [1]

قال الشاعر هذا البيت عندما انشغل ملك غرناطة ببناء قصر (قلعة) في وقت يحتاج فيه الناس في الأندلس إلى إعداد الجيوش ضد هجمات الدول الشمالية والعناية بشؤون الرعية ، فهدد ملك غرناطة الشاعر وأهدر دمه ؛ فلجأ إلى حضرة المعتصم بن صمادح صاحب المرية ، فلما وصل إليه استدعاه المعتصم وطلب منه أن يقول الشعر الذي هجا به صاحب غرناطة و المعتصم أيضا ، فقال المعتصم : " أنشدني ما قلت فيَّ :

فقال له : وحقَّ من حصلني في يدك ما قلت شرا فيك ، و إنَّما قلت :

رأيتُ آدم في نومي فقلتُ له أبا البرية إنَّ الناسَ قد حكموا

أن البرابر نسلٌ منك ، فقال: إذن حواءُ طالقةٌ إن كان ما زعموا [2]

فنذر [3] ابن بلقين [4] صاحب غرناطة دمي ، فخرجتُ هارباً إلى بلادك فوضع عليَّ من أشاع ما بلغك علي لتقتلني أنت فيدرك ثأره بك ، ويكون الإثم عليك .

فقال : وما قلت فيه خاصة مضافا إلى ما قلته في عامة قومه ؟

فقال : لما رأيته مشغوفا بتشييد قلعته التي يتحصن فيها بغرناطة فقلت :

يَبني على نفسه سَفاهاً كأنّه دُودةُ الحريرِ [5]

فقال له المعتصم : لقد أحسنت في الإساءة إليه ، فاختر هل أحسن إليك وأخلي سبيلك أم أجيرك منه ؟ فارتجل :

خيرني المعتصم وهو بقصدي أعلمُ

وهو ذا يجمع لي أمنا ومنَّا أكرمُ

---

[1] الذخيرة ١ :٢ : ٨٨٧ .

[2] النفح ٣:٤١٢

[3] فنذر : هكذا وردت في الأصل ولعلها (فهدر) ، النفح ٣ : ٤١٢

[4] عبد الله بن بلقين بن حبوس أمير غرناطة أخذها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حين استولى على ملوك الطوائف ، ينظر الإحاطة ٣:٢٧٩ ، والمغرب ٢:١٠٨ .

[5] الذخيرة ١ :٢ : ٨٨٧ .

فقال المعتصم : خاطرك خاطر شيطان ، ولك المن والأمان ، فأقام في إحسانه بأوطانه حتى خلع عن ملكه وسلطانه " [1] .

وهكذا يبدو من خلال الحوار السابق بين الشاعر وصاحب المرَّية أن الدوافع إلى نظم الشعر في الهجاء تبدو متعددة ، ومن أجلها ما يحكيه الأمراء والحكام من مؤامرات ضد بعض الشعراء ، كما حدث مع السميسر ، وأمير غرناطة [2] ، فقد كان السميسر متأثرا بنقمة فلسفية عامة وشيء من الحقد الذاتي ، ومع هذا فهو أقرب إلى الروح الناقدة منه إلى الهجاء بسبب التصرفات السلبية لبعض الحكام .

٦- الفخر :

كان الفخر غرضا شائعاً بين حكام الطوائف عامة ، وعند بني عباد وشعرائهم بصورة خاصة ، ومنهم ابن وهبون وابن عمار وغيرهما ، نجدهم جميعا يفتخرون بمقدرتهم الفنية على نظم الشعر ، وقلما نجدهم يفتخرون بشجاعتهم ولكن الأمر عند الحكام نجده على نحو مختلف ، فهم لا يتباهون بنظمهم للشعر ولا يفتخرون بمقدرتهم الفنية ، بل يفتخرون مباهاة ببلائهم في الحروب وفتحهم للمدن والحصون وهم أقرب إلى الصدق ، وكذلك الشعراء الذين يفتخرون بشعرهم وبمقدرتهم الفنية فلو افتخر الحاكم بشعره لكان كاذبا ؛ لأن مقاييس النقد السائدة التي شاعت في عصرهم لا ترضي عن أكثر شعرهم ولو اعتز عامة الشعراء ببلائهم في الحروب أو بفتحهم للحصون ، أو ثباتهم في مواقف الأهوال لبعدوا عن الصدق لأن أغلب شعراء الطوائف لم يكونوا فرساناً يخوضون معارك القتال[3] .

وكان المعتضد شاعراً نبيهاً رغم المشاغل الجسام التي كان يشغلها ، وله شعر في الفخر بالشجاعة والجود ، فقال :

حَميتُ ذِمارَ المجد بالبيضِ والسُّمْرِ وقَصَّرتُ أعمارَ العداةِ على قَسْرِ

---

[1] النفح ٣:٤١٢ .
[2] تمت الترجمة لها : ٢٥ .
[3] ينظر أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، تأليف بطرس البستاني ، دار نظير عبود بيروت ، طبعة جديدة منقحة : ٥٩ .

ووسَّعتُ سُبْلَ الجود طَبْعاً وصنعةً لأشياءَ في العلياء ضاق لها صدريِ

فلا مجدَ للإنسان ما كان ضدُّهُ يشاركُهُ في الدهر بالنهي والأمرِ [١]

إنَّ هذه الأبيات بمثابة دليل على فخر الحكام بشجاعتهم ، ونجد المعتمد بن عباد قد أشار في بعض شعره إلى نسبهم اللخمي مفتخراً حين قال في دفاعه عن حوزة ملكه :

ما سرتُ قَطُّ إلى القِتا ل وَكان مِن أَمَلي الرُّجوعُ

شِيَمُ الأُلى أَنا مِنهُمُ وَالأَصلُ تَتبَعه الفُروعُ [٢]

ويبدو تأثير هذه المعاني واضحاً في أشعار بعض الشعراء ومنهم الشاعر ابن اللبانة [٣] الذي قال فيهم :

نفر إلى ماء السماءِ نماهم نسب على أوج النجوم مخيِّم [٤]

لقد أراد الشاعر أن يشير إلى أن نسبهم يعود إلى النعمان بن المنذر [٥] بن ماء السماء أحد ملوك الحيرة اللخميين .

وقال المعتمد عندما استولى على قرطبة :

مَن لِلمُلوك بِشأو الأَصيدِ البَطَل هَيهاتَ جاءَتكم مهدية الدولِ

خَطَبتُ قُرطبةَ الحَسناء إِذْ مَنَعَتْ من جاءَ يَخْطُبُها بالبيض وَالأَسَلِ

وَكَم غَدَت عاطِلا حَتَّى عَرضتُ لَها فَأَصبَحتْ في سُرَى الحُلِي وَالحُلَلِ

---

[١] الحلة السيراء لابن الأبار ، تحقيق : حسين مؤنس- دار الكتاب العربي -الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣ ، ٢:٤٣

[٢] ديوان المعتمد : ٢٨٦ .

[٣] تمت الترجمة له : ١٢.

[٤] خريدة القصر وجريدة العصر ، للعماد الاصفهاني ، قسم شعراء المغرب والاندلس ، تحقيق : ادر تاش ادر نوش ، نقحه : محمد المرزوقي ، ومحمد العروسي ، و المطوي الجيلاني ، الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٣ م النشرة الثامنة ٢:١١٨ .

[٥] النعمان بن المنذر بن ماء بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن ماء السماء ، توفى مقتولا تحت أرجل الفيلة على يد ملك الفرس ، كسرى ، ينظر تاريخ ابن خلدون منشورات دار الكتاب اللبناني سنة ١٩٦٦ م ، ١ : ٢ : ٥٤٨ وتاريخ ملوك العرب الشعراء ١:٣٧ .

عِرسُ المُلوك لَنا في قَصرِها عُرُسٌ كُلّ المُلوك بِهِ في مَأتَم الوَجَلِ

فَرَاقِبوا عَن قَريبٍ لا أَبا لَكُمُ هُجُوم لَيثٍ بِدرعِ البَأس مُشْتَمِلِ[1]

فهذه الأبيات تدل على تكاثر أشعار الفخر على ألسنة أمراء الطوائف فأثر هذا في أشعار بعض شعرائهم أمثال عبد الجليل بن وهبون ، فقد افتخر بالنبوغ والتفوق في شعره على سائر أقرانه ، فقال في قصيدة طويلة يمدح المعتمد بن عباد :

من أين لي قَدَمٌ في الفضلِ سابقةٌ لو أنَّ طبعي في واديك لم يردِ

هذا الأتيُّ لذاك المزنِ منتسبٌ عاري الأديم من الأقذاء والزبدِ[2]

أرسلتها في سماءِ المجد طائرةً عن غير جهدٍ وفيها متعةُ الأبدِ

تُصْحِي النهى أبداً من حيث تسَكرها وتسمع اللحظَ صوت البلبل الغردِ

لو أنَّ لقمان يُعْطي عمرها بكَ لم يُخْنِ عليها الذي أخنى على لُبَدِ

طبعتها ولك التبرُ الذي طُبِعَتْ منه فأسْلَمتها في كفٍّ منتقد [3]

ويعدُ أيضا ابن خفاجة من الشعراء الذين يفتخرون بأنفسهم تأثراً بالجو العام السائد في بلادهم ، حيث قال :

مضاءٌ كما سُلَّ الحُسَامُ مِنَ الغِمْدِ وحَزْمٌ كما طَارَ الشَّرارُ من الزَّنْدِ

تَسَاقوْا وما غَيْرَ النَّجيع سُلافَةٌ تُدارُ وَلا غَيْرَ الأسنَّةِ مِنْ وِرْدِ[4]

وإنِّي –علَى أنْ لَسْتُ صَدْرَ قَنَاتِهُم لخِدْنُ العُلى تِرْبُ النَّدى لِذةُ المَجْدِ

---

[1] ديوان المعتمد : ٢١٩ – ٢٢٠ .
[2] الأديم : الجلد ، لسان العرب ١٢:٩ .
[3] الذخيرة ٢ : ١ : ٥٠٣ .
[4] النجيع : الدم ، لسان العرب ٨ : ٣٤٨ .

أَخُوضُ الظُّبى تَخْضَرُّ في النَّقْعِ بِيضُها فَأُلْقَى الْمَنَايَا الحُمْرَ في الحُلَلِ الرُّمْدِ[1] [2]

نلاحظ أن فخر ابن خفاجة جاء على الطريقة العربية البدوية في استحضار معانيه واصطناع أدواته وأساليبه ، وذلك ما يبدو واضحا في تناوله لبعض الألفاظ مثل : الحسام من الغمد – والشرار من الزند – والنجيع وصدر قناتهم ، و في إعارة الأسنة للورد ،...الخ .

٧- الإخوانيات :

إلى جانب أغراض الشعر التي كانت موجودة في القرن الخامس الهجري انتشرت ظاهرة التراسل بالشعر في عصر الطوائف خصوصا عند رجال الدولة إلا أنه فن يشترك فيه الشعراء مع رجال الدولة ، فقد يكون دعوة إلى مجلس أنس أو إلى إجابة وشكر ، ومن إهداء واستهداء إلى تهنئة وتسلية ، أو تقارض وثناء ، ومن عيادة وشوق إلى عتاب إلى سفارة وتبرم وهجاء ، وطلب العفو والاعتذاروغيرها من المعاني .

وترجع أهمية التراسل الشعري لما له من دلالة فنية على رهافة الحس الأندلسي في ذلك الوقت ، وبما يمتاز به أسلوبه من السهولة واليسر ، وبعده عن التكلف ويظهر ذلك واضحاً و بشكل بَيِّن عندما قام الأمير المعتمد باستدعاء ابن عمار ودعوته إياه لمجلس أنس احتفاء بباكورة نرجس ، فقال :

قد زارنا النرجس الذكي وآن مِنْ يَوْمنَا العشيُّ

ونحن في مجلس أنيق وقد ظمئنا وثم ريُّ

ولي خليلٌ غدَا سميِّ يا لَيْتَه ساعد السَّميُّ [3]

فأجابه ابن عمار بديها فور وقوع الخطاب بين يديه ، فقال :

---

[1] الظبى : هي جمع ظبة السيف وهي طرفه وحده ، الرمد : الهلاك ، لسان العرب (١٥:٢٢ ، ٣:١٨٥)
[2] ديوان ابن خفاجة ، تحقيق : سيد غازي ، دار المعارف الإسكندرية ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م: ٣٤٦- ٣٤٧
[3] ديوان المعتمد : ١٥٨ .

لبيك لبيك من منـادٍ له الندى الرحب والنَّديُّ

ها أنـا بالباب عبد قن قِبْلَتَهُ وَجْهُكَ السَّنيُّ

شَرَّفُـهُ والداه باسم شرفته أنت والنَّبيُّ [1]

وقد يكون التراسل من أجل الشراب واحتساء الخمر ، كقول المعتمد بن عباد عندما اصطبح يوم غيم مع أم الربيع ، واحتجب عن الندماء فكتب إليه ابن عمار :

تجهم وجه الأفق واعتلت النفس بأن لم تلح للعين أنت ولا الشمسُ

فإن كان هذا منكما عن توافقٍ وضمَّكما أنس فيهنيكما العرسُ [2]

فأجابه المعتمد بقوله :

خَليلَيّ قولا هَل عَلَيَّ مَلامَـةٌ إذا لَم أَغِب إلاَّ لِتَحْضُرَني الشَّمْسُ؟

وَأَهْدي بِأكواس المُدَام كَواكِباً إذا ابْصَرَتْها العَيْنُ هَشَّتْ لَهَا النَّفسُ

سَلامٌ ! سَلامٌ أَنتُما الأُنْسُ كُلهُ وَإِنْ غِبْتُما أمُّ الرَبيع هيَ الأنسُ[3]

أراد الشاعر في هذه الأبيات أنْ يبرهن على مدى حبه وتعلقه بصديقه الأمير ولما احتجب عنه مع جاريته أم الربيع كان سببا في تجهم الأفق واعتلال النفس فيجيب الأمير بكلمات لها معان جميلة في غاية السهولة والرقة ، ويبدو ذلك واضحا من خلال قوله : أكواس المدام ، هشت النفس ، أنتما الأنس كله ، وأم الربيع هي الأنس ، وإلى جانب هذا كله كان المعتمد رقيقا ، ولطيف النفس خصوصا مع شاعره ابن زيدون [4] الذي كان أستاذا لولده ، فأحس الأمير أن يكون الشاعر أحط منزلة من تلميذه ، فكتب إليه المعتمد مؤكدا رقتة ولطف جانبه ، فقال :

---

[1] ديوان المعتمد: ١٥٩ .
[2] المصدر السابق : ١٦٧ .
[3] المصدر السابق : ١٦٧ – ١٦٨ .
[4] تمت الترجمة له :٣

أَيُّها المنحطُّ عَنّي مجلساً وَلَهُ في النَّفس أَعْلى مَجلِسِ

بِفؤادي لك حُبٌّ يَقتَضي أَنْ تُرى تُحْمَلُ فَوقَ الأرْؤسِ[1]

فكتب إليه ابن زيدون :

أَسَقيطُ الطَلِّ فَوْقَ النَّرجِسِ أَم نَسِيمُ الرَّوْضِ تَحتَ الحِنْدِسِ[2]

أم نظـامُ للالٍ نسقٍ جامعٍ كلَّ خطيرٍ منفس

أَم قَريضٌ جاءَني عَن مَلِكٍ مالِكٍ بِالبِرِّ رِقَّ الأَنْفُسِ[3]

أراد ابن زيدون أن يثني على شعر المعتمد وحسن صنيعه معه ، فشبه وقع شعر المعتمد عليه بسقوط الندى على النرجس ، هو نسيم الرياض في الليالي المظلمة هو عقد منظوم يضم لألئ منسقة أبدع تنسيق من كل غال ونفيس .

وكان للرسائل الشعرية المتداولة بين الأمراء والشعراء تأثيرها الواضح في توجيه حركة الشعر في عهد الطوائف ، فأصبح الشعراء يتبادلون الرسائل الشعرية فيما بينهم كهذه الرسالة التي كتبها الوزير أبو عامر بن مسلمة [4] إلى الأديبين أبي علي إدريس [5] وأبي جعفر بن الأبار [6] مستدعيا لهما ، فقال :

أيا شقيقي إخاءٍ ويا قسيمَي صفاءِ

ومن هما في ذوي الفهـ م جوهرُ الأدباءِ

تفضَّلا وأجيبا إلى نديِّ نداءِ

لتأنسا بحديثٍ وقهوةٍ وغناءِ

---

[1] ديوان المعتمد : ٢٤٥ .

[2] الحندس : الليل الشديد الظلمة ، لسان العرب ٦ : ٥٨ .

[3] ديوان ابن زيدون و رسائله وأخباره :١٣٥ .

[4] أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة ، كان وزيرا ، وقد ألف كتاب الارتياح في وصف حقيقة الراح ينظر الذخيرة ٢ : ١ : ١٠٥ ، والمطمح : ٢٠٣ ، والمغرب ١ : ٩٦ .

[5] إدريس بن اليمان أبو علي شاعر جليل عالم ، ينتجع الملوك فينفق عليهم ، ذكره أبو عامر بن شهيد فنسبه إلى بلده فقال : اليابسي ، ينظر الذخيرة : ٣ : ٣٣٦/١ ، والمقتبس : ١٦٠

[6] تمت الترجمة له :١٧ .

قال فأجابني إدريس :

يا صِنْوَ [1] ماء السماء في رقةٍ وصفاءِ

ويا سراجَ ضياءٍ يجلُو دُجى الظلماءِ

بهرتَ سيما ذُكاءٍ في بهجةٍ وذكاء [2]

قال له أنت مثل ماء السماء في النقاء والصفاء ، ومثل السراج المنير في الليلة الظلماء ، فهذه الأبيات دليل على أنَّ كبار القوم من ملوك ووزراء وأصحاب وظائف كبرى وسفراء كانوا يتراسلون بالشعر ، فكانوا يتهادون رقاعاً صغيرة تحمل عبارات الدعوة و الأعتذارات و الأهاجي ، وأحيانا يرفقونها بالهدايا ، أو يسجلون فيها لمحات من حياتهم كلها شعراً صرفاً[3] كما جاء ذلك في دعوة المعتضد للشاعر ابن زيدون لدخول حمام قصره ، وبعث إليه بطيب وبخور فكتب إليه ابن زيدون شاكراً :

رِضَاكَ لَنا قَبلَ الطَّهُورِ مُطَهِّرُ وَقُربُكَ مِن دُونِ البَخُورِ مُعَطِّرُ

فَلَوْ عَزَّ حَمَّامٌ لأَدفَأَنا ذَراً يَفِيضُ بِهِ مَاءُ النَّدى المُتَفَجِّرُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ طيبٌ لأَغنَتْ حَفَاوَةٌ تُمَسَّكُ مِنْهَا حالُنا ،وَتُعَنْبَرُ

وَدُمتَ مُلَقَّى ، كُلَّ يَومٍ،صَبيحَةً يُغاديكَ فيها بِالفُتُوحِ مُبَشِّرُ [4]

وقد يكون التراسل من أجل الشراب واحتساء الخمر على نغمات الموسيقى والغناء كما فعل المعتمد بن عباد يستدعي أبا محمد المصري [5] للشراب فيقول :

---

[1] الصنو : المثل ، وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد . لسان العرب ٤٢٥:٧ .

[2] الذخيرة : 2 :1 : ١٠٦ -١٠٧ .

[3] ينظر الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه – تأليف : إميليوغرسيه غومس ، ترجمة حسين مؤنس مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦م ، ص : ٤٦ .

[4] ديوان ابن زيدون : ٢٢٤ .

[5] أبو الطيب هو أبو محمد عبد الله بن خليفة القرطبي يعرف بالمصري ؛ لطول إقامته بمصر ، توفي سنة ٤٤٦ هـ ينظر الذخيرة ٤: ١: ٣٤٢ ، والمغرب ١ : ١٢٨ .

أَيُّها الصاحِبُ الَّذي فارَقَتْ عيْ نـي وَنَفسي مِنهُ السَّنا وَالسَّناءَ

نَحْنُ في المَجْلِسِ الَّذي يَهَبُ الرا حَةَ وَالمَسمَع الغِنَى وَالغِنَاءَ

نَتَعاطى الَّتي تُنْسِيكَ في اللَذَّ ة وَالرِّقَة، الْهَوى وَالهَواءَ

فَأتِهِ تُلْفِ راحَةً وَمُحَيَّا قَد أَعَدّا لَكَ الحَيا وَالحَياءَ[1]

ومثلما تكون الرسالة صادرة من الأمير تصدر أيضا من الشعراء ، يقترحون الأنس والشراب على أمرائهم فلا يسعهم إلا الاستجابة لهم [2] ، كالرسالة التي بعث بها الشاعر ابن عبدون [3] إلى أميره المتوكل بن الأفطس ، بعد هطول المطر إثر قحط ، واتفق أن وافى ببطليوس مغنياً يحسن الغناء [4] ، فقال :

أَلَمَّ أَبو يوسُف وَالمَطَر فَيا لَيتَ شِعري فما يُنتَظرْ ؟

وَلَستَ بِآبٍ وَأَنتَ الشَهيد حُضور نديِّكَ فيمَن حَضَرْ

وَلا مطلعي وَسطَ تِلكَ السَما ءِ ،بَينَ النُجومِ وَبَينَ القَمَرْ

وَرَكضي فيها جِياد المُدا مِ محثوثَةً بِسِياطِ الوَتَرْ[5]

أراد الشاعر أن يشارك المتوكل فرحته بهطول المطر ، وليكون نديمه في مجلس أنسه ، فبعث إليه المتوكل بمركوب ، وكتب معه :

بعثتُ إليك جناحاً فطِرْ على خفيةٍ من عيون البشرْ

على ذُلُلٍ من نتاج البروق وفي ظُلُلٍ من نسيج الشجرْ

---

[1] ديوان المعتمد : ١٦٢ .
[2] ينظر البيئة الأندلسية : ٤٧٨ .
[3] تمت الترجمة له ١٥: .
[4] يعرف المغني بأبي يوسف ، ينظر قلائد العقيان : ٤٨ .
[5] المصدر السابق : ٤٨ – ٤٩ ، والحلة ٢ : ١٠٦ .

فحسبي عمَّن نأى من دنا فمن غاب كان فدا من حضرْ [1]

نلاحظ في أبيات المتوكل معنى الشوق واللهفة والحرص على الاستجابة لرغبة شاعره .

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة بعث إليَّ أبو الأصبغ بن عبد العزيز[2] باكورة بهار وكتب معها :

و بهارٍ ألمَّ قَبْلَ الأوانِ في بهاءٍ يروقُ رأيَ العيانِ

أمكن القطف في مدى شهر تشر ين على غير عادةِ الإمكانِ

سبق الزَّهرَ في الفضائل طرًّا وكسا بالجمال فَضْلَ الزمانِ

قال : فأجبته :

يا إماماً في السبق يوم الرهان كلَّ حينٍ يؤمِّني بالأمانِ

وصل النرجس المبكَّر يحكي سَبْقَ عبادٍ المليك اليماني

يا بهارَ الرياضِ أنت بهارٌ باهر الأنوار والريحان [3]

وهكذا كان التراسل بالشعر صورة لتلك البيئة الأندلسية في ذلك العصر ، فقد أثرت في الشعر وجودته وذيوعه بين جميع الطبقات ، والفضل في هذا الانتشار يعود إلى رجال الدولة في عهد الطوائف [4] .

---

[1] المصدر السابق : ٤٨- ٤٩ ، والحلة ٢:١٠٦ .
[2] أبو الأصبغ بن عبد العزيز أديب ذكره أبو عامر بن مسلمة في كتابه (الحديقة) ينظر الذخيرة ٢ : ١ : ٢٠٦
[3] المصدر السابق : ٢:١ :١٠٧ – ١٠٨ .
[4] ينظر البيئة الأندلسية : ٤٨٤ .

٨- الزهـــد :

الزهد تحتاج إليه النفوس عندما يبرح بها الألم ، وتضيق أمامها سبل الحياة وتتراكم حولها الهموم والمشاكل فتلجأ إلى الزهد والدين تبغي فيه الحماية ، وترجو في رحابه الاستقرار والأمان [١] .

إن الأمر الذي دعا الشعراء وبعض الأمراء والوزراء إلى الزهد في عهد الطوائف هو فوضى الحياة السياسية وحالة المجتمع التي كانت تزداد سوءا على مدى الأيام ، وأيضا كثرة الحروب وتوالي الفتن والمحن بين رجال الدولة وأعدائهم المتربصين بهم من كل جهة ؛ بسبب انقسامهم إلى دويلات صغيرة و انشغالهم بحياتهم الخاصة فأثرت كل هذه الأمور في نفوس الشعراء وطبع فيها آلاماً عميقة فنظروا إلى تقلب الأحوال نظرة تشاؤم ؛ بسبب ضعف ملوكهم فقادهم هذا الأمر إلى الطعن على الدهر و صروفه وذم الدنيا ؛ لأنه عندما تصاب أية دولة من دول الطوائف بالانهيار فإنها تصيب عديدا من أفرادها بالانطواء على أنفسهم يحاسبونها أو يبغون لها النجاة [٢] .

" ومن أمثلة هذا الأتجاه قول عيسى بن لبون [٣] وهو أحد قواد المأمون بن ذي النون ولا يزال يرتقي حتى حكم مربيطر [٤] وجلس في قصرها ثم أفل نجمه " [٥] حيث قال :

نفضت كفي عن الدنيا وقلت لها إليك عني فما في الحقِّ اغتبنُ

من كسر بيتي لي روضٌ ومن كتبي جليس صدقٍ على الأسرار مؤتمن

أدري به ما جرى في الدهر من خبرٍ فعنده الحقُّ مسطورٌ ومختزن

---

[١] ينظر البيئة الأندلسية :: ٥٠٢.

[٢] ينظر أدباء العرب في الأندلس وعصر الأنبعاث:٦٣ .

[٣] القائد أبو عيسى بن لبون كان قبل ذلك وزيرا للمأمون بن ذي النون ، ينظر الذخيرة ٣ : ١ : ١٠٤ ، والمغرب ٢ : ٣٧٦ ، والحلة ٢ : ١٦٧ .

[٤] مربيطر : مدينة بالأندلس بينها وبين بلنيسة أربعة فراسخ معجم البلدان ٥ :٩٩ .

[٥] البيئة الأندلسية : ٥٠٢ .

وما مصابي سوى موتي ويدفنُني قومٌ وما لهم علمٌ بمن دفنوا [1]

يتضح من قول الشاعر زهده الواضح في الحكم والدنيا ، ومن ناس لا يعرفونه حق المعرفة ولا يقدرون قيمته ، فأخذ من كتابه جليساً صادقاً له أميناً على أسراره ؛ لأن الحق مسطور فيه ، ولا يفكر في شيء سوى موته ودفنه على يد قوم ليس لهم علم بمن دفنوا .

ومن شعراء الزهد في القرن الخامس الهجري أبو محمد عبد الله بن العسال [2] زاهد طليطلة المشهور بالكرامات وإجابة الدعوات [3] .

وأيضا أبو إسحاق الألبيري [4] المشهور بالتقوى والصلاح [5] فقد كانا أشد الناس إحساسا بسوء الأوضاع السياسية في وطنهما [6] وأيضاً تهاون رجال الدولة في المحافظة على بلادهم وصونها من غزوات الفرنجة ، جعل الشاعران ينصرفان إلى أشعار الزهد التي كانت تخفف عنهم بعض الشيء وتزيل الغشاوة عن عيون الناس فبكى ابن العسال طليطلة قبل سقوطها ، وكان الألبيري صاحب الدعوة إلى ثورة صنهاجية ضد اليهود ، وكانت قصيدته :

ألا قُلْ لِصنْهاجةٍ أجمعينْ بِدورِ النَّدى وأُسْد العَرِيْن [7]

الشرارة الأولى التي أذكت نار الثورة يومئذ ، فكانت نداءً عاما ومنشوراً ثوريا لأهل صنهاجة [8] .

---

[1] الذخيرة ٣ : ١ : ١٠٨ .

[2] أبو محمد عبد الله العسال زاهد طليطلة المشهورة بالكرامات ، وإجابة الدعوات توفى سنة ٤٨٧ هـ ، المغرب ٢:٢١ .

[3] ينظر البيئة الأندلسية : ٥٠٦ ، وتاريخ الأدب الأندلسي عصر ملوك الطوائف والمرابطين إحسان عباس – دار الثقافة بيروت – لبنان – الطبعة السادسة ١٩٨١ م ، : ١٣٥ .

[4] أبو إسحاق الألبيري هو إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي يكنى أبا إسحاق ، توفى سنة ٤٦٠ هـ ، المغرب ٢ : ١٣٢ .

[5] ينظر البيئة الأندلسية : ٥٠٧ .

[6] تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين : ١٣٥ .

[7] ديوان أبو إسحاق الألبيري ، حققه : محمد رضوان الداية – مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٦م : ٩٦ .

[8] ينظر البيئة الأندلسية : ٥٠٧ .

ومن الشعراء الذين نظموا في الزهـــد أيضا ابن الحداد الذي استوطن المرية أكثر عمره ، وقال في ابن صمادح [1] شعره ، ثم أخرج منها فنفض يديه من ممدوحه فقال :

لَزِمْتُ قَنَاعتِي وَقعَدْتُ عَنْهُمْ فلستُ أَرَى الوزيرَ ولا الأميرَا

وكنتُ سميرَ أَشْعارِي سَفَاهاً فَعُدْتُ لِفَلْسَفِيَّاتِي سميرَا[2]

وهذا نموذج يؤكد أن سوء أفعال بعض الأمراء والوزراء تدفع بالشعراء إلى العزوف عن الدنيا ونظم قصائد الزهد .

وكان للفقهاء صوتهم المسموع ، ودورهم في تحمل العبء والنهوض بالأمانة فكان بعضهم شعراء يجيدون القريض ، ويتخذونه لسان دعوتهم ، فأصبح الزهد اتجاها برز في شعر هؤلاء الفقهاء ، ومنهم الفقيه ابن حزم الظاهري [3] الذي تميز زهده بانطباعات فلسفية فكرية انحدرت من ذهنه الثاقب ، وتفكيره الفلسفي [4] ومن شعره :

من عرف اللّه حق معرفةٍ لوى وحلّ الفؤاد في رهبه

ما منقضي الملك مثل خالده ولا صحيحُ التقى كمؤتشبه

ولا تقي الورى كفاسقهم وليس صدق الكلام من كذبه

وصحة الزهد في النقاء وإن يلحق تفيدنا بمرتقبه [5]

وأيضاً كان للحياة وتعقدها ، من أقوى أسباب الزهادة خاصة لمن يصابون بضربات مباشرة ، ومنهم أصحاب المناصب الكبيرة والمنازل الرفيعة

---

[1] تمت الترجمة له : ٤ .

[2] الذخيرة ١ : ٢ : ٦٩٢ .

[3] أبو الوليد ابن حزم هو محمد بن يحيى بن حزم من شعراء الذخيرة ، توفى بعد الخمسمائة ، ينظر الذخيرة ٢ :٢ : ٥٩٨ ، وفوات الوفيات ٤:٣٥ ، والمغرب : ١ : ٢٤٤ .

[4] ينظر طوق الحمامة في الإلفة والإلاف – تأليف أبي محمد علي بن حزم الأندلسي المتوفى ٤٥٦ هـ ، تحقيق : نصر فريد وآخرين ، مطبعة الفجالة سنة ١٩٧٦ م ، : ١٧٣ .

[5] طوق الحمامة : ١٣٧ .

[1] فأثر هذا فيهم وفي الشعراء خاصة ، فوقف بعضهم إلى جانب الأمراء متأثرين بما أصابهم ، وشطر كبير من شعر المعتمد بن عباد الذي قاله في محنته يمكن أن يدخل في باب الزهد كما في قوله :

أَرى الدُّنيا الدَنِيَّةَ لا تُواتي فَأَجْمِلْ في التَصَرُّف وَالطِّلابِ

وَلا يَغْرُرْكَ مِنها حُسنُ بُردٍ لَهُ عَلَمانِ مِنْ ذَهَب الذَّهَابِ

فَأَوّلُهَا رَجاءٌ مِن سَرابٍ وَ آخرُها رِدَاءٌ مِن تُرابِ[2]

كما أرسل المعتصم أبياتا من الشعر إلى ابن عمار يقول فيها :

وزهدي في الناس معرفتي بهم وطول اختباري صاحبا بعد صاحبِ

فلم تُرْني الأيَامُ خِلاً تسرُّني مباديه إلاَّ ساءني في العواقبِ

ولا قلت أرجوه لدفع ملمَّة من الدهر إلاَّ كان إحدى المصائب [3]

فراجعه ابن عمار بهذه الأبيات :

فديتك لا تزهدْ وتَمَّ بقيةٌ سترغب فيها عند وقْع التجاربِ

وأبقِ على الخُلْصانِ إنَّ لديهمُ على البدء كراتٍ بحسن العواقبِ

تَكَنَّفْتَنِي بالنثرِ والنظم عاتباً وسقتَ عليَّ القول من كل جانبِ

ثلاثة أبيات وهيهات إنَّما بعثت إلى حربي ثلاث كتائبِ [4]

---

[1] ينظر البيئة الأندلسية : ٥٠٣ .
[2] ديوان المعتمد : ٢٨٨ .
[3] الذخيرة ٢: ١ :٤٠٣
[4] المصدر السابق ٢ : ١ : ٤٠٤ .

يبدو من خلال الحوار السابق بين الأمير وشاعره أن الدافع وراء زهد الأمير متصل بسوء ظنه في الناس وعدم الاطمئنان إليهم [1] ؛ ولذلك فهو يرى الأبتعاد عنهم و منافرتهم خير وسيلة لتفادي شرهم ، فأثرت هذه الأبيات في الشاعر بشكل خفي من خلال إجابته للشاعر .

[1] ينظر تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين : ١٣١ .

المبحث الثاني:

التأثير في المضمون " المعاني ، والصور ، و الأخيله "

إن عناية رجال الدولة بقرض الشعر في القرن الخامس الهجري حملت أغلب الأندلسيين على الإقبال عليه ، حتى أصبح قول الشعر زينة لكل أديب ، وجمالا لكل عالم ، فأولع به الفقهاء والنحاة والفلاسفة ، والرياضيون والأطباء والمؤرخون ، كما أولع به كثير من النساء حتى نبغن فيه ، وبارين الرجال في نظمه [١] .

وقد تميز الشعر في تلك الفترة بميزات واضحة في ألفاظه وأساليبه ، وفي معانيه وأخيلته ، فجاءت المعاني واضحة جلية بعيدة عن تعمق الفلاسفة وتدقيق الحكماء ، والفضل في ذلك يرجع إلى اهتمام رجال الدولة بالشعر وتوجيههم للشعراء سواء كان هذا التوجيه بشكل بين أو خفي ، وقد غلب على شعرهم الخيال البديع الذي نماهُ في ملكات الشعراء ضروب الجمال المنتشرة في شبه جزيرتهم ، فساعدهم ذلك على أن يجودوا بالتشبيه ، ويكثروا من استعمال المجاز ، والاستعارة ، والمحسنات البديعية [٢] فقد أثر رجال الدولة في مضمون الشعر من حيث الألفاظ والمعاني والصور والأخيلة ، التي كان يطلبها الأمراء بشكل مباشر أو غير مباشر فجاءت ألفاظهم سهلة ومعانيهم واضحة ، وصورهم مستوحاة من بيئتهم الجميلة حتى أصبح أغلب أهل الأندلس في ذلك الوقت شعراء ، فقال القزويني : " إن أي فلاح يحرث بأثوار في شلب يرتجل ما شئت من الأشعار فيما شئت من المعاني " [٣]

أولا تأثيرهم في المعاني :

كان لرجال الدولة تأثيرهم ودورهم البارز في توجيه الشعراء ، فجاءت ألفاظهم ومعانيهم في غاية السهولة والوضوح مع السلاسة في التراكيب ، ووضوح الفكرة جعلت لشعرهم قيمة عالية في اللفظ والمعنى والعاطفة والخيال ، والسر في هذه السلاسة والوضوح يرجع إلى سهولة طباعهم ولين أخلاقهم ، وإرسالهم القول من غير تكلف ولا تصنع ، فلم يحملوا الألفاظ ما لا تطيق من المعاني المزدحمة [٤].

---

[١] ينظر قصة الأدب في الأندلس – محمد عبد المنعم خفاجه – منشورات مكتبة المعارف بيروت سنة ١٩٦٢ م القسم الثاني والأخير : ٦٢ .
[٢] ينظر المرجع السابق ٢ : ٦٤.
[٣] الشعر الأندلسي :٤٦ .
[٤] ينظر قصة الأدب في الأندلس: ٦٢ – ٦٣ .

" وكانت المعاني العامة الموروثة من الشجاعة والكرم والهيبة ..... وما إليها هي الشائعة في الشعر ، ولكن بعد صبغها بصبغة العصر الجديد ، و المبالغة والافتنان في عرضها ، مع ذكر صفات تبرز الملامح الجديدة لشخصية الشعوب " [1] .

يقول أبو عامر بن مسلمة [2] في وصفه لمجلس أنس :

يا نديميُ قمْ اصْطَبِحْ وعلى العُودِ فاقترحْ

إنَّما العَيشُ بالسما عِ والنّاي والقَدحْ

وتَأَّملْ حُسْنَ الشَّقا ئقِ تَنْشَط إلى المدحْ

مثل كأس العقيقِ في قاعة المسك يلتمحْ [3] .

لقد جاءت ألفاظه سهلة ، ومعانيه مترفة وصوره مستوحاة من مجلس الأنس الذي انعقد في قصر المعتضد العبادي للشعراء ، ودعاهم فيه إلى تناول المعاني الرقيقة للغزل ووصف الخمر والطبيعة .

وكان الشعراء يعتمدون في شعرهم على اختيار الألفاظ الجزلة ، والعبارات القوية مع جودة المعاني ، كما جاء في قول المعتمد بن عباد في جارية له ، وهي تناوله كأس بلور من الشراب ، فصادف ذلك أن لمع البرق فارتاعت فقال بديهة :

ريعَت مِنَ البَرقِ وَفي كَفِّها بَرقٌ مِنَ القَهوَةِ لَمّاعُ

يا لَيتَ شِعري وَهيَ شَمسُ الضُحى كَيفَ مِنَ الأَنوار تَرتاعُ

---

[1] البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر – ٢٤٠ – ٢٤١ .

[2] تمت الترجمة له : ٣٢ .

[3] البديع في وصف الربيع – تأليف أبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري ، واعتنى بنشره وتصحيحه : هنري بيريس – منشورات دار الأفاق الجديدة المغرب سنة ١٩٨٩ م : ١١٨ .

ثم أمر عبد الجليل بن وهبون بإجازة البيت الأول في نفس المعنى فقال :

ولن ترى أعجب من آنسٍ من مثل ما يمسِك يرتاعُ[1]

وهنا أجاد الشاعر ترتيب ألفاظه مع جودة معانيه ، أولها المطابقة بلفظتي الأنس والارتياع ، مع تشبيه لمعان البرق بلمعان الخمر .

وكان الشعراء ينظمون في المعاني التي يطلبها رجال الدولة في غرض معين فيقول محمد بن البين [2] في الغزل :

غَصَبُوا الصباح فَقَسَّموه خدودا واسترهفوا قُضُبَ الأراكِ قدودا

ورأوا حَصَى الياقوتِ دون محلِّهم فاستبدلوا منه النجومَ عقودا

واستودعوا حَدَقَ المها أجفانَهُمْ فسبوا بهنَّ ضراغماً وأسودا

لم يكفِ أن خلفوا الأسنَّة والظُّبا حتى استنابوا أعيناً وخدودا

وتضافروا بضفائرٍ أبدوا لنا ضوء النهار بليلها معقودا[3]

فقد تعامل الشاعر مع المعاني والعبارات الرقيقة السلسة كأنها جدول رقراق ينساب فيحجب العين ، ويطرب الأذن ، حتى وإن كانت هذه المعاني مألوفة عند غيره من الشعراء ، فالملاحة تكمن في طريقة تناول المعاني ؛ وهذا يعطينا انطباعا على أن الشعراء الذين عاشوا في القصور ومجالس الأمراء كانوا رقيقي الشعور مرهفي الحس ، مع لين جانبهم وتأثرهم بمجالس الطرب واللهو التي تتطلب الرقة في الحديث ، فأثرت هذه الحياة فيهم ، وبالتالي انعكست في بعض أشعارهم ، فجاءت رقيقة تنساب انسياب الماء ، ويتضح ذلك في إشعار الغزل والوصف ، كقول ابن الحداد [4] في النسيب :

---

[1] ديوان المعتمد : ١١٣ .

[2] أبو عبد الله محمد بن البين أحد الشعراء المجيدين ، وكان وزيرا ببطليوس لابن المظفر ، ينظر الذخيرة ٢ : ٢: ٧٩٩ ، والمغرب ١ : ٣٧٠

[3] الذخيرة ٢:٢ :٨٠٢ .

[4] تمت الترجمة له : ١٠.

أَيَا شَجَرَاتِ الحَيِّ مِنْ شاطئ الوادِي سَقَاكِ الحَيَا سُقْيَاكِ للدَّنِفِ الصَّادِي[1]

فَكَانَتْ لنا في ظِلِّكُنَّ عَشِيَّةٌ نَسِيتُ بها حُسْناً صَبِيحَةَ أَعيادِي

بها ساعَدَتْنِي مِنْ زمانِي سَعَادةٌ فَقَابَلَنِي أُنْسُ الحبيب بإسْعادِي

فَيَا شَجَرَاتٍ أَثْمَرَتْ كلَّ لَذَّةٍ جَنَاكِ لذيذٌ لَوْ جَنَيْتِ على الغادِي

فهل لِي إلى الظَّبي الذي كان آنساً بِظِلِّك من تجديد عَهْدٍ وتَرْدَادِ

وقَلْبِي على أغصانِ دَوْحِكِ طائرٌ يَنُوحُ ويَشْدُو والهَوَى نائِحٌ شادِ [2]

لقد جاءت ألفاظه عذبة ومعانيه سلسة رقيقة يناجي فيها الشاعر شجرات كان يجلس في ظلها هو ومن يحب قبل أن تفرق بينهما الأيام ، وهو الشوق إلى ذلك اليوم الذي يتمنى أن يعود فيجلس تحت ظل تلك الأشجار كما كان أيام الوصال ، كما يقول أبو زيد بن مقانا الأشبوني [3] في مدح ابن حمود [4] :

أَلِبَرْقٍ لائحٍ من أندرينْ ذَرفَتْ عيناكَ بالماءِ المعينْ

لعبت أَسْيَافُهُ عَارِيَةً كمخاريقَ بأيدي اللاعبينْ[5]

ثم أردف قائلا :

وكأنَّ الشمس لمَّا أشرقت فانثنت عنها عيونُ الناظرينْ

وَجْهُ إدريس بن يحيى بن علي بن حمّودٍ أمير المؤمنينْ

---

[1] الدنف الصادي : الدنف : المرض المثقل ، أو المريض الذي لزمه المرض الشديد ، المعجم الوسيط ١:٢٩٨ الصادي : الذي اشتد عطشه فهو صادٍ ، المصدر السابق ١:٥١١ .

[2] الذخيرة : ١:٢ : ٧٢٨ .

[3] تمت الترجمة له : ١٣.

[4] ابن حمود هو القاسم بن حمود ولي قرطبة ، ينظر الذخيرة ١ : ١ : ٤٨١ – ٤٨٢ ، وتاريخ العلامة ابن خلدون منشورات دار الكتاب اللبناني سنة ١٩٦٦ م ، ٤: ١٥٣ .

[5] الذخيرة ٢: ٢: ٧٩١ .

خطَّ بالمسكِ على أبوابهِ ادخلوها بسلام آمنين [١]

لقد كان يرددها الكثير من الشعراء وعامة الناس ؛ لعذوبة ألفاظها وحسن انتقاء معانيها وتبدو الرقة وعذوبة الألفاظ في قول الشاعر :

والثريا قد عَلَتْ في أُفقها كقضيبٍ زاهر من ياسمين [٢]

ولقد أخذ بعض الشعراء معانيهم من شعر رجال دولتهم متأثرين بهم بشكل غير مباشر ، كما جاء ذلك في قول أبي بكر بن سوار الأشبوني [٣] في المدح :

لبسوا جلود الرقم واعتقلوا القنا فرأيتُ كيف يَجرُّ أرقمٌ أرقما [٤]

أخذ هذا المعنى من أبي بكر الداني في قوله لقصيدة في المعتمد بن عباد في سجنه ، وعندما فكت عنه القيود :

ولا جرَّ فيها صعدةَ الرمح خلفه فتاها فقُلْتُ الصِلُّ أتبعَ ضيغما[٥]

وكذلك قول أبي محمد بن صارة الشنتريني [٦] في النسيب :

لم تطْوِكَ الأيامُ عنّي إنّما نَقلَتْكَ من عيني إلى أضلاعي [٧] .

كأنه أخذ معناه من قول المعتمد بن عباد :

أَغائِبَةً عَنّي وَحاضِرَةً مَعي لِئنْ غِبْتِ عن عَيْني فإنَّكِ في كَبِدي[٨]

وروى صاحب النفح أنَّ القاضي أبا الوليد هشام بن محمد القيسي [٩] فاوض القاضي أبا عبد الله بن شبرين [١٠] ما يحذر من فتنة النظر إلى الوجوه الحسان فقال :

---

[١] الذخيرة ٢:٢ :٧٩٢.
[٢] المصدر السابق الصفحة نفسها .
[٣] أبو بكر محمد بن سوار الأشبوني شاعر مشهور ، ينظر الذخيرة ٢:٢ : ٨١١ ، والمغرب ١: ٤١١
[٤] الذخيرة ٢:٢ :٨٢٠.
[٥] المصدر السابق ١:٢ :٧٧ .
[٦] أبو محمد عبد الله بن صارة الشنتريني البكري نزل إشبيلية وتعيش فيها بالوراقة ، توفى سنة ٥١٧ ، المصدر السابق ٢ : ٢ : ٨٣٤ ، والمغرب ١ : ٤١٩ .
[٧] الذخيرة :٢ : ٢ : ٨٣٧ .
[٨] ديوان المعتمد : ١٣٠ .
[٩] أبو الوليد هشام بن محمد القيسي الشلبي المعروف بابن الطلاء ، ينظر النفح ٤:٣٣٣ .
[١٠] محمد بن عبد الله بن شبرين القاضي فقيه محدث ، توفى سنة ٥٠٣ هـ ، ينظر البغية : ٨٤ .

لا تنظرنَّ إلى ذي رَوْنَقٍ أبداً واحذر عُقوبة ما يأتي به النَّظرُ

فكم صريع رأيناهُ صريع هوى من نظرةٍ قادها يوماً لـه القدرُ

فأجابه في نفس المعنى الذي انتحاه :

إذا نظرت فلا تُولَعْ بتقليبِ فربما نظرةُ عادت بتعذيبِ [١]

ولقد تأثر الشاعر الأسعد بن بليطه بشعر ذي الوزارتين ابن زيدون إلى درجة جعلته يأخذ من معانيه بطريق غير مباشر، كما في قوله :

وتلذّ تعذيبي كأنك خلتني عوداً فليس يطيب ما لم يُحْرَقِ [٢]

أخذ معنى هذا البيت من قول ابن زيدون :

تَعُدّونَني كَالمَنْدَلِ الرَّطبِ ، إنَّما تَطِيبُ لَكُم أَنْفَاسُهُ حِينَ يُحْرَقُ [٣]

وغُنِّي يوما بشعر ابن الرومي في مجلس الوزير أبي الوليد ابن المعلم [٤] وزير المعتمد حيث قال :

وحديثُها السِّحرُ الحلال لوَ اَنَّها لم تجن قتلَ المسلم المتحرِّزِ [٥]

فسأل الوزير الشاعر أبا جعفر بن الآبار الزيادة في نفس المعنى فقال :

راق الرياض بزهره وبزهوه فتحيَّرتْ في معجبٍ بل معوزِ [٦]

عاقرتُ من طَرَبٍ عليه عقارةً صفراء تُعْزَى للنحول وأَعتزي

لكن تميَّزُ في الكؤوس بنورها وبهائها وبقيتُ غير مميّز [٧]

---

[١] النفح ٤:٣٣٤ .
[٢] الذخيرة ١:٢:٧٩٦ .
[٣] ديوان ابن زيدون : ٥٩٠.
[٤] أبو الوليد عبد العزيز ابن المعلم أحد وزراء المعتمد ، ينظر الذخيرة ٢: ١:١١٢ .، والمغرب : ١:٢٠٢ .
[٥] ديوان ابن الرومي – لأبي الحسن علي بن العباس بن جريج – تحقيق : حسين نصّار – مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٦ م – ٣:١١٦٤ .
[٦] معوز : العوز قليل الشيء ، ومُعْوَز إذا ساءت حاله . لسان العرب ٩:٤٧٢ .
[٧] الذخيرة ٢:١: ١٥٦ .

إن هـذا النشـــاط الشـعري الكبيـــر فـي بـــلاط الأمـــراء لا بـد لـه مـن أثـر فـي الشعراء فانطبع في شعرهم أفكار هؤلاء الأمراء ومشاعرهم الرقيقة العذبة .

وقد أُثر عند الأمراء حب القديم والميل إلـى الشـعر الشرقي ، وإعجـابهم بفحـول الشـعراء أمثـــال أبـي الطيـب المتنبـي ، وأبـي العـلاء المعـري ، والبحتـري وغيـرهم فدعا الأمـراء شـعراءهم إلـى الاحتذاء بهم فـي تنـاول المعـاني بطريق مباشـر أو غير مباشر فالمظفر- المعروف بابن الأفطس - كان يقول لشـعرائه : " مـن لـم يكـن شـعره مثل شعر المتنبي أو المعري فليسكت " [1] ، ويؤكد هذا القول الشاعر عبد المجيد بـن عبدون عندما قام يمدح المعتمد بن عباد بأبيات شعرية منها قوله :

هَيهاتَ لا أَبتَغي مِنكُم هَوًى بِهَوى حَسبي أَكونُ مُحِبّاً غَيرَ مَحبوبِ[2]

قوله : " حَسبي أَكونُ مُحِبّاً غَيرَ مَحبوبِ " لقد أخذ هذا المعنـى واللفظ من قول أبـي الطيب المتنبي باعتباره شاعر المعتمد المفضل :

أَنتَ الحَبيبُ وَلَكِنّي أَعوذُ بِهِ مِن أَنْ أَكونَ مُحِبَّاً غَيرَ مَحبوبِ [3]

ومثـــل هـــذا لابـــد أن يغـري الشـعراء باقتفـــاء أثـــار هـؤلاء الأعـلام مـن الشـعراء الشـرقيين ؛ لكـي ينـالوا رضـا حكـامهم ، ويقـول أبـو هـــلال العسـكري فـي كتـــابه الصناعتيـــن : " لـيس لأحـــدٍ مـن أصـناف القـائلين غنـى عـن تنـاول المعـاني ممَّـن تقَّـدمهم والصـب علـى قوالـب مَـنْ سـبقهم ، ولكـن علـيهم - إذا أخـــذوها - أن يكســـوها ألفاظـــاً من عندهم ، ويبـــرزوهـــا في معارض من تأليفهـم ، ويوردها فـي غيـر حليتهـــا الأولـى ويزيدوهـــا فـي حُسْـنِ تأليفهـا وجـودة تركيبهـا وكمـال حليتها ومعرضها ؛ فإذا فعلوا ذلك فَهُمْ أحقُّ بها ممَّن سبـق إليها ؛ ولـولا أنَّ القائل

---

[1] الذخيرة ٢:٢: ٦٤٠ -٦٤١ .
[2] المصدر السابق ٢:٢:٦٩٨ .
[3] ديوان المتنبي – دار صادر بيروت – طبعة جديدة منقحة سنة ٢٠٠٠ ف : ٤٥٢ .

يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أنْ يقول ؛ وإنَّما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين " [1]

قول ابن الحداد :

فَإلَيْكَها تُنْبِيكَ أنِّي رَبَّها نَسَبُ القَطَا مُتَبَيِّنٌ مَهْمَا قَطا [2]

لقد أخذ معناه من قول المعري حيث يقول :

عُرِفَتْ جُدودُكَ إذ نطَقْتَ وطالما لغَطَ القَطا فأبانَ عن أنْسابِهِ [3]

وكذلك قول ذي الوزارتين ابن زيدون :

ثَوَى صافِناً في مَرْبَطِ الهُونِ يَشْتَكي بِتَصْهَالِهِ مَانَالَهُ مِنْ أَذَى الشَّكْلِ[4] [5]

مأخوذ معناه من قول المتنبي :

وَإِنْ تَكُنْ مُحكَماتُ الشُكلِ تَمنَعُني ظُهورَ جَرْيٍ فَلي فيهِنَّ تَصْهالُ [6]

---

[1] الصناعتين في الكتابة والشعر تصنيف أبي الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، و محمد أبو الفضل – المكتبة العصرية صيدا – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ : ١٩٦ .

[2] الذخيرة ١: ٢: ٧١٢

[3] ديوان المعري " سقط الزند " دار بيروت للطباعة والنشر – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ م : ١٢٦ .

[4] صافنا : الصافن هي الفرس إذا قام على ثلاث أرجل وطرف حافر الرابعة : المعجم الوسيط ١ : ٥١٧

[5] ديوان ابن زيدون :١٥ .

[6] ديوان المتنبي :٤٨٦ .

ثانياً : التأثير في الصور والأخيلة

لقد غلب على الشعر الأندلسي في عهد الطوائف الخيال الذي نماه في ملكات الشعراء ضروب الجمال المنتشرة في ربوع جزيرتهم ، ويساعدهم ذلك على أن يجودوا بالتشبيه ، ويكثروا من استعمال المجاز ، والاستعارة ، والمحسنات البديعية من طباق ، وجناس ، ومقابلة ، وحسن تعليل ، إلى آخره .

والخيال هو الملكة التي يستطيع بها الشعراء أن يؤلفوا صورهم من خلال إحساسات سابقة لا حصر لها مختزنة في عقولهم ، وتظل كامنة في مخيلتهم حتى يحين الوقت فيؤلفون منها الصورة التي يريدونها [١].

وكان الحكام يقولون ، والشعراء ينظمون تبعاً لأقوال رجال دولتهم ، كما جاء في قول المعتصم بن صمادح في وصف الأعلام :

أنْظُرْ إلى الأَعْلامِ خَفَّاقةً قَد عَبِثَتْ فيها أكُفُّ الشمالْ

كأَنها وهي لنا زَينةٌ أفْئِدةُ الأعْداءِ يوم القتالْ [٢].

فلما سمع ابن الأرقم قوله هذا أخذ يمدحه ، ويثني على شجاعته وجودة رأيه في ميدان المعركة بأبيات من الشعر فيها نفس الصورة التي تناولها المعتصم في الأبيات السابقة فقال :

نَشَرتْ عليك من النعيم جَناحا خضراء صَيَّرتِ الصَّباحَ وِشَاحا

تحكي بخَفْقٍ قلبَ من عاديته مهما يصافحْ صفحُها الأرواحا

ضمنتْ لك النعمى برأيٍ ظافرٍ فترقّبِ الفَألَ المُشيرَ نجاحا[٣]

---

[١] ينظر في النقد الأدبي – شوقي ضيف . دار المعارف بمصر – الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨ م : ١٦٧ .
[٢] المغرب :٢ :١٩٦ .
[٣] النفح ٣:٤٩٨ .

لقد أحسن الشاعر في استغلال آلوان تصويره ، فالراية خضراء وفيها الوشاح الأبيض فهي كمرج أخضر سطع في بعض أرجائه نور الصباح ، كأنَّما خفقانها وجيب قلوب أعداء المعتصم فزعا منه .

وفي هذا إشارة واضحة إلى تجاوب الشعراء مع أقوال وأفعال الأمراء والسادة وكان الحكام يحاربون ، والشعراء ينظمون أشعارا تصف معاركهم في صور خيالية رائعة ، ومعان مبتكرة متأثرين بما يحدث لرجال دولتهم خلال تلك المعارك أو بعد انتهائها ، كما جاء في قول ابن الحداد يمدح المعتصم في أحد معاركه :

يهْوِي لقلبِ أعاديه مُكَايدةً كأنها قُتَر للأُسْدِ أو بُرَأُ [١] [٢]

لقد شبه الشاعر دهاء المعتصم وذكاءه في الإيقاع بأعدائه بصيادي الوحوش فهم يعمدون أحيانا إلى حرق الأوبار والشحوم للإيقاع بالوحوش التي تنخدع بالرائحة فتقع في حفرة يكون الصيادون قد أعدوها لهذا الغرض .

وأيضا من بدائع صور ابن الحداد قوله في أهل وادي آش[٣] الذين هزمهم المعتصم وأمر برفع رؤوسهم على الرماح :

وما زالَ شَرْقِيُّ المَرِيَّة عاطلاً إلى أنْ عَلاَهَا من رؤوسِهِمُ عِقْدُ [٤]

لقد صور ابن الحداد شرقي المرية بجيد حسناء ، ولكنه عاطل بدون زينة فحلاه المعتصم بعقد مصنوع من جماجم الرجال الذين هزمهم في المعركة ، إنها صورة دقيقة على الرغم من وجود منظر تشمئز منه النفس .

وكان ابن عمار شاعر المعتمد ووزيره الأول من الشعراء المهتمين بالصور والمعاني البديعة ، فقد صور لنا كيف أطاح المعتضد بالملوك ودق أعناق كماتهم وشجعانهم فيقول :

أثْمَرْتَ رُمحك من رؤوس كماتهم لما علمت الغصن يعشق مُثْمرا

---

[١] قَتَرَ للأسد : وضع له لحما في الزُّبية – لسان العرب ١١:٣٠ .
[٢] الخريدة: ٢:٢٨٥ .
[٣] أش : مدينة الأشات بالأندلس من كورة البيرة ، وتعرف بوادي أش والغالب على شجرها الشاهبلوط ، بينها وبين غرناطة أربعون ميلاً ، معجم البلدان ١: ١٩٨ .
[٤] الذخيرة : ١ :١:٣١٤ .

وصبغت درعك من دماء ملوكهم لما رأيت الحسن يلبس أحمرا[١]

لقد صور رمح المعتضد بالشجرة المثمرة وهو يقطف رؤوس الملوك ، ويشبه نضج الثمار وأحمرارها بالدرع المغطى بالدماء .

وكان المقتدر بن هود أمير سرقسطة شاعرا يقدر الشعر و أهله ، كما كان بطلاً مجاهداً ، وصاحب غزوات مشهورات ، فقصده مرة الشاعر ابن الحداد إثر خلاف وقع بينه وبين المعتصم ، فاستقبله استقبالا حافلا ، وأكثر من إسباغ عطاياه عليه وأكثر ابن الحداد بدوره من التغني بانتصاراته فقام يمدحه بقصيدة مصوراً فيها بسالته الحربية وبناءه حصن المدوَّر[٢] في نحر العدو فقال :

مَسَاعِيْكَ في نَحْرِ العَدُوِّ سِهَامُ ورَأْيُكَ في هَامِ الضَّلالِ حُسامُ

ولَمْحُكَ يُرْدِي القرنَ وَهْوَ مُدَجَّجٌ وذِكْرُكَ يَثْنِي الجَيْشَ وَهْوَ لُهامُ

كأنَّكَ لا تَرْضَى البسيطةَ مَنْزِلاً إذا لم يُطَنِّبْهُ عليكَ قَتَامُ

كأنَّكَ خِلْتَ الشَّمْسَ خَوْداً فلم يَزَلْ يُقَنِّعُها بالنَّقْعِ منكَ لِثامُ [٣] [٤]

لقد أبدع ابن الحداد في تصويره لغزوات المقتدر المستمرة التي كان يشنها على العدو حربا إثر حرب ، إلى درجة صوره فيها بأنه لا يتخذ له مسكنا في الأرض إلا ساحات القتال وقد شدت عليه أطناب القتام ، وغبار القتال الأسود الكثيف ، ويبعد في الخيال فيظن المقتدر يخال الشمس فتاة جميلة ، وكأنه يغار عليها ، فلا يزال يثير غبار الحرب فيتخذ منه لها حجابا [٥].

---

[١] الخريدة ٢:٧٣ .

[٢] المدور : حصن حصين مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة ، معجم البلدان ٥:٧٧ .

[٣] خوداً الخود الفتاة الحسنة الخلق الشابة ، وقيل الجارية الناعمة ، لسان العرب ٣:١٦٥ .

[٤] الذخيرة : ١: ٢:٧٢٨ .

[٥] ينظر تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات في الأندلس ، شوقي ضيف ، دار صادر بيروت : ١٩٨ – ١٩٩ .

وإلى جانب تصويرهم للمعارك ، كان رجال الدولة يبنون القصور ويدعون الشعراء لزيارتهم ؛ ليصفوا ما احتوته قصورهم من تماثيل وتحف ونقوش رائعة فيؤلفون منها صوراً فنية رائعة الجمال ، كما قال ابن حمديس في وصف تماثيل الأسود التي كان يحتويها قصر المعتمد بن عباد :

لها حركاتٌ أودِعَتْ في سُكونِها فما تَبِعَتْ في نقلهنّ يدٌ رِجلا [١]

ثم يكرر المعنى فيقول :

أُسْدٌ كأنّ سكونَها متحرّكٌ في النفس لو وجدتْ هناك مثيرا[٢]

لقد جمع ابن حمديس بين متناقضين ، فأبرز المستحيل في صورة الممكن من خلال وصف آساد القصر ، فطابق بين سكونها وحركتها في نفس الوقت .

وأيضا قال ابن الحداد في وصف قصر بناه المعتصم :

أنت الهوى لكن سلوان الهوى قصر ابن معن والحديث شجون

فالحُسْنُ أَجْمَعُ ما يُرِيْكَ عِيَانُهُ لا ما أَرَتْهُ سَوَالِفٌ وعُيُونُ

والرَّوْضُ ما اشتَمَلَتْ عليه شَمُولُهُ لا ما حَوَتْهُ أباطِحٌ وحُزُونُ

ثم يصف القصر بما فيه من مجالس فيقول :

قد عَطَّلَ الأزهارَ زاهِرُ حُسْنِهِ لا الوَرْدُ مُلْتَفِتٌ ولا النِّسْرِينُ

فَنُجُومُهُ زُهْرٌ ثَوَابِتُ لم يَرُمْ تَعْدِيلَها زِيْجٌ ولا قانونُ[٣]

والمجلسانِ النَّيِّرانِ تآلقَا هَذَا لهذا في البَهَاءِ قَرِينُ[٤].

---

[١] ديوان ابن حمديس : ٣٧٩ .
[٢] المصدر السابق :٥٤٧ .
[٣] الزيج بكسر الزاي خيط البناء وهو المطمر ، لسان العرب ١٢٢:٢ .
[٤] الخريدة ٢٧٩:٢ .

إن المجلسين هما الزاهر والتاج وكل في طرف من أطراف القصر متكافئان في البهاء والجمال ، ثم تحدث عن حناياه وأقواسه في أسلوب هندسي ساحر فيقول :

عُطِفَتْ حَنَايَاهُ وضُمِّنَ بَعْضُها بَعْضَاً وسِحْر ذلك التَّضْمِيْنُ

كتقاطعِ الأفلاكِ إلاَّ أنَّه مُتَبَايِنَانِ تَحَرُّكٌ وسُكُونُ [١]

فَلَكِيَّةٌ لَوْ أنَّها حَرَكِيَّةٌ اعتدَّ منها الرأسُ والتِّنِّينُ

تَتَعاقَبُ الأَعْصارُ فيه وَجوُّهُ أبداً به آذارُ أو تَشْرِينُ[٢]

لقد صور شموخ قبابه حتى زاحمت الأفلاك في مداراتها ، ولو أن القصر ثابت والأفلاك السماوية متحركة لاعتبرت قبابه من أبراج السماء كبرج التنين ، والشيء الذي زاده روعة هو التكيف الطبيعي لجوه ، فهو دائما معتدل صيفا وشتاء ، فكأنَّما الزمان به زمن آذار (مارس) وهو أول الربيع ،أو تشرين (أكتوبر) وهو أول الخريف .

ثم أخذ يتحدث عن الرخام الذي جُملت به جدرانه وواجهاته فيقول :

مُتَلأْلِئٌ فكأنَّما سَالَ المَهَا فيه وذابَ اللؤلؤُ المَكْنُونُ

وكأنَّ مُبْيَضَّ الخُدودِ وَضَاءَةً صَحْنٌ له لا المَرْمَرُ المَسْنُونُ

تُغْشَى بِمُذْهَبِ لَمْعِه فكأنَّما أَبْدَى لَدَيْهِ كُنُوْزَهُ قارُونُ[٣] [٤]

---

[١] الخريدة ٢:٢٨٠ .

[٢] المرجع السابق الصفحة نفسها .

[٣] قارون بن يصهر بن قاهث ، كان قارون ابن عم موسى عليه السلام ، قيل تزوج أبوه يصهر بن قاهر شميت ابنة بناويت بن يركيا بن يقسان بن إبراهيم ، فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر ، فقارون على ما قاله ابن إسحاق عم موسى أخو أبيه لأبيه وأمه ، وكان الله قد أتاه مالاً كثيرا ، كما وصفه الله عز وجل وذكر أن مفاتيح خزائنه تحمل على ستين بغلاً كل مفتاح منها لباب كنز معلوم ، فبغى ولم يشكر الله على نعمه فخسف الله به كل يوم قامة يتجلجل فيها لا يبلغ مقرها إلى يوم القيامة ، ينظر تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨ م ، ١ : ٢٦٢ – ٢٦٧ .

[٤] الخريدة ٢:٢٨٠ .

يقول كأنما هذا الرخام بلور مذاب ، وكأنما فرشت أرض صحنه من الخدود ولبس من الرخام المرصع بالحلي ومزين بالذهب في كل نواحي القصر كأنه أخرج كنوز قارون وعرضها في هذا القصر .

ثم يقول ضمن هذه الأبيات :

وكأنَّ طَرْفِي مسْمَعِي وكأنَّه صَوْتٌ وشَكْلُ خُطُوطِهِ تلحينُ [١]

إنها صورة تجريدية جميلة فقد جمع فيها بين الأوتار الموسيقية ، والخطوط الهندسية في قبة القصر ، ثم يجرد منها النغم الموسيقي الجميل ، وهذا ما يجعلها من الصور النادرة [٢] .

وأيضا من صورهم الرائعة وخيالهم البديع قول ابن حمديس يصف داراً بناها المعتمد بن عباد :

ويا حبّذا دارٌ يدُ اللَّه مَسّحَتْ عليها بتجديدِ البقاءِ فما تبلى

مُقَدَّسَةٌ لو أنّ موسى كليمَهُ مَشَى قَدَماً في أرضها خَلَعَ النعلا

إذا فتحت أبوابُها خلتَ أنَّها تقولُ بترحيبٍ لداخلها: أَهلا

وقَد نَقَلَتْ صُنّاعُها مِن صِفاتِهِ إِلَيها أَفانيناً فَأَحسنَتِ النقلا

فَمِن صَدرِهِ رَحباً وَمِن وَجهِهِ سَناً وَمِن صِيتِهِ فَرعاً وَمِن حِلمِه أَصلا

نسيتُ به إيوانَ كسرى لأنّه أراني له مَوْلى من الفضلِ لا مثلا[٣]

لقد صور الشاعر الدار على أنها مقدسة فلا تبلى ؛ لأن الله مسح بيده عليها فمن دخلها خلع نعليه ، ثم يقول لصانعيها بأنهم أحسنوا في نقل صفات الأمير إليها فمن رحابة صدر وسعا ، ومن وجهه نورا وجمالا ، ومن صيته فرعا ، ومن حلمه

---

[١] الخريدة : ٢:٢٨٠ .

[٢] ينظر البيئة الأندلسية : ٤٦٦ .

[٣] ديوان ابن حمديس : ٣٧٨ ، وينظر حول الأدب الأندلسي – تأليف قيصر مصطفى – دار الأشرف للطباعة والنشر بيروت سنة ١٩٨٧ م : ٦٩ .

وصبره أصلا ، فمن رأها نسي إيوان كسرى ؛ لما تتمتع بـه من حسن وفضل لـه في هذه الدنيا .

وكان رجال الدولة يهتمون بالصور البديعة والأخيلة المبتكرة فحاولوا نقلها إلى الشعراء بشكل غير مباشر ليحظى الشاعر بمكانة عالية لديهم ، ويميزه عن غيره من الشعراء ، كما جاء في قول ابن الحداد في الوصف :

والنَّبْلُ في حَلَقِ الدِّلاَصِ كأنَّها وَابلُ الحَيَا في مائجِ الغُدْرَانِ [١] [٢]

لقد كان الشعراء في الغالب يشبهون سطح الماء المتموج بالدرع ، ولكن ابن الحداد قام بعكس الصورة ، فشبه الدرع بسطح الماء المتموج واسقط عليها النبال التي شبهها بشؤبوب منهمر فجاءت صورته بديعة مبتكرة ، فنال بها عطايا المعتصم وزاد من مكانته عنده .

كما قام الشاعر عبد المجيد بن وهبون بمدح المتوكل بن الأفطس ؛ لأنه كان يهتم بالشعراء ويعطيهم جزءا كبيرا من مالـه ؛ لكي يجودوا بأفضل ما عندهم ، فيقول في مدحه :

طبَّقتُ آفاقَ الكلامِ فلم أدَعْ زَهراً يرفُّ ولا جُماناً يُنْظمُ

لله درُّكَ هل لمجدكَ غايةٌ إلاَّ وأنت بها معنًّى مغرمُ

هزَّتْكَ أرواحُ السماحةِ بانةً ومن الرجاحةِ في حماك يلملمُ

وَتَعَلَّـَمَتْ منك الغمامةُ شيمةً تهمي وفيها للبروقِ تبسُّمُ [٣]

لقد شبه ابن وهبون المتوكل بالبانة التي يشبه بها الشعراء محبوباتهم في الحسن سماحة وجودا ، فهو مثل جبل يلملم في رجاحة عقله وحلمه ، فجاءت الصورة بديعة

---

[١] الدلاص : من الدروع اللينـة ، درع دلاص : براقـة ملساء لينة بينة ، والدلاص : اللين البـراق ، لسان العرب ٣٧:٧ .

[٢] الخريدة ٢٧٥:٢ .

[٣] الذخيرة ٢: ٦٨٥:٢ .

في البيت الأخير إذ جعل المتوكل يغدق أمواله على الشعراء المجيدين وهو مبتسم كأنه غمامة تهطل والبروق فيها تلمع كبسماته التي ترتسم على وجهه .

المبحث الثالث :
التأثير في القوافي و البحور

أولاً : التأثير في القوافي

القافية هي الحرف الأخير الذي يجيء في آخر البيت .

قال الخليل : " القافية من أخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن " [1] فالقافية قد تكون بعض كلمة أو كلمة أو كلمتين [٢] وللقافية مكانة كبيرة في الشعر ، ولا يكون شعراً حتى يكون له وزن وقافية [٣] .

لقد أهتم رجال الدولة في عهد الطوائف بالقافية ، فأمتطوا أغلب القوافي المقيدة منها والمطلقة ، وقد نالت بعض هذه القوافي استحسان الشعراء فنسجوا على منوال الأمراء ، كما جاء في قول المعتمد بن عباد عندما قام باستدعاء ابن عمار ودعوته إياه لمجلس أنس :

قَد زارَنا النَرجِسُ الذَكيُّ وَآنَ مِنْ يَومِنا العَشيُّ

وَنَحنُ في مَجلِسٍ أَنيقِ وَقَد ضمئنا وَثَمَّ ريٌّ

وَلي خَليلٌ غَدا سميّي يا لَيتَهُ ساعَدَ السَميُّ

فأجابه ابن عمار على نفس الوزن والقافية :

لبيك لبيك من منادٍ له الندى الرحب والنديُّ

ها أنا بالباب عبد قنٍ قبلته وجهك السنيُّ

شرفه والداه باسم شرفته أنت والنبيُّ [4]

---

[1] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تأليف : أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، شرحه وفهرسه : صلاح الدين الهواري ، وهدى عودة ، دار مكتبة الهلال بيروت – لبنان الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦ م : ٢٦١/١ والقوافي لأبي الحسن سعيد الأخفش - تحقيق عزة حسن مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ١٩٧٠م : ٦

[2] ينظر العمدة : ٢٦١:١ .

[3] ينظر العروض والقافية ليوسف بكار ، دار المناهل للطباعة والنشر بيروت – لبنان الطبعة الثانية سنة ١٩٩٠م : ٣١ – ٣٢ .

[4] ديوان المعتمد : ١٥٨ – ١٥٩ .

وللمعتمد مع شعرائه مساجلات شعرية تدل على أنه لا يتخلف عنهم في النظم روية ً وارتجالا ً ، ولا يقع دون كبار الشعراء في لفظه ومعناه [1] ، فعندما كان في أغمات قام الشاعر عبد الجبار بن حمديس بزيارته ، فصرفه الخدم في ذلك الوقت فلما علم المعتمد بمجيئه ورجوعه ، عسر ذلك عليه وعنف خدمه ، وكتب إليه يعتذر بقوله :

حُجِبْتَ فَلا وَاللَه ماذاكَ عَن أَمْري فَاصْغ فَدَتَكَ النَّفْسُ سمعا إلى عُذْري

فَما صارَ إِخْلالُ المكارِمِ لِي هوىً ولا دَار إخجالٌ لمثلكَ في صَدْرِي

وَلَكِنَّهُ لَمّا أَحالَتْ مَحاسِني يدُ الدَّهرِ شُلَّتْ عنكَ دأباً يَدُ الدَهْرِ

عُدمتُ مِنَ الخُدّامِ كُلّ مُهَذّبٍ أَشيرُ إِلَيهِ بِالخَفِيِّ مِن الأَمرِ

وَأَنتَ ابنُ حمديس الَّذي كُنتَ مُهْدياً لَنا السْحرَ إِن لَم نأتِ في زَمَنِ السِّحرِ [2]

فيجاوبه ابن حمديس فيقول :

أَمِثْلُكَ مولًى يَبسُطُ العبدَ بِالعذرِ بِغَيرِ انقِباضٍ مِنكَ يَجْري إلى ذكرِ

لَهَدّ قريضَ الفضلِ ما هدّ من قوى وَحَلّ به ما حلّ من عُقْدةِ الصّبرِ

وإنّي امْرؤ في خَجْلَةٍ مُسْتَمرّةٍ يذوبُ لها في الماءِ جامدةُ الصّخْرِ

أتتني قوافيك التي جَلّ قدرُها بما نقطةٌ منهنَّ مُغْرِقَةٌ بَحْري

لَعَلّك إذ أغنيتني منك بالنّدى أردتَ الغنى لي من مَديحك بِالفخرِ [3]

---

[1] ينظر المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع – عبد الوهاب عزام – دار المعارف مصر ١٩٥٩ م : ٢٠ .
[2] ديوان المعتمد : ٣١٠ – ٣١١ .
[3] ديوان ابن حمديس : ٢٧١ .

إنَّ هــذه الأبيـات دليـل علـى تـأثير رجــل الدولـة المعتمـد بـن عبـاد بشـكل غيـر مباشر على إجادة الشاعر في إجابتـه علـى نفس القافيـة ، فاختـار الأمير حـرف الـراء قافية لقصيدته واستخدم من البحور الطويل ؛ لأنه يتسع لكثير من المعـاني [١] ولنفسـه الطويـل الـذي يلائـم عاطفـة الحـزن المعتدلـة ، ولكـن إذا قويـت ونشـطت حركتهـا فقد يلائمها بحر الكامل [٢] .

فبقدر اختيار الشاعر للقافيـة المناسبة للغرض الـذي يتناولـه ، وبقدر توفيقه فـي انتقاء الكلمات والتعابير المناسبة تكون إجـادة الشـاعر أو عدمها ، فقد يختـار الشـاعر قافية مطلقة في الرثاء أو الحنين مع اختيار حـروف التنفيس كالسين والصـاد والـزاي والقـاف مـع حـروف المـد ؛ لأن الشـاعر قـد يحتـاج إلـى مـد صـوته فـي نهايـة البيـت وليتمكن من التعبيـر عن الألم الــذي يحس بــه [٣] ، كمـا جـاء فـي قـول ابن زيـدون في الحنين :

إِنّي ذَكَرتُكِ بِالزَّهْراءِ مُشتاقاً وَالأُفقُ طَلْقٌ وَمَرْأَى الأَرْضِ قَدْ راقَا

وَلِلنَسِيمِ اِعتِلالٌ في أَصائِلِهِ كَأَنَّهُ رَقَّ لي فَاعْتَلَّ إِشفاقا [٤]

إنهـا قصيـدة طويلـة رائعـة بعـث بهـا إلـى حبيبتـه بعـد فـراره مـن قرطبـة إلـى الزهراء وهي ضاحية من ضواحي قرطبة [٥] .

ولقـد أعجـب الشـعراء بقـوافي ذي الـوزارتين ابـن زيـدون ، وحـاول بعضـهم معارضـتها فـي حياتـه وبعد مماتـه ، لمـا نالـت قصـائده مـن استحسـان مـن قبـل رجـال

---

[١] ينظر الشعراء وإنشاد الشعر – تأليف : علي الجندي – دار المعارف مصر سنة ١٩٦٩ م: ١٠٢ .
[٢] ينظـر مجلــة المعرفـة السـورية العـدد ١٨ – ٢١٦ فبرايـر سـنة ١٩٨٠ – دراسـة الجانـب الفنـي فـي المرثيـة الأندلسية : ١٠٦ .
[٣] ينظر دراسات في الأدب الأندلسي – تأليف : العربي سالم الشريف ، دار شموع الثقافة الزاوية – الجماهيرية الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م : ١٨٣ .
[٤] ديوان ابن زيدون : ١٣٩ .
[٥] الزهراء : مدينة صغيرة قرب قرطبة بالأندلس ، معجم البلدان ٣ :٢٦١ .

الدولة وشعرائهم ، ومن هؤلاء الشعراء أبو بكر بن الملح [1] الذي عارض قصيدة ابن زيدون النونية فقال :

هل يسمعُ الربعُ شكوانا فيُشكينا أو يَرجِعُ القولُ مغناهُ فيغنينا

يا باخلينَ علينا أن نودعكمُ وقد بعدتُّم عن اللقيا فحيونا

سترتُمُ الوصل ضنّاً لا فقدتُكمُ فكان بالوهم موجوداً ومظنونا[2]

أراد الشاعر المعارضة ولكنه لم ينفرد كما انفرد بها ابن زيدون عند رجال دولته ومع هذا فإنها تؤكد تأثر الشاعر أبي بكر بن الملح برجل الدولة ذي الوزارتين ابن زيدون بتوجيه خفي .

وقد يفضل رجل الدولة القوافي الساكنة خاصة في أغراض المداعبة والمعاتبة والهجاء ، وخصوصا في الرسائل التي يبعث بها الأمير إلى الشاعر ، فيرد عليه بنفس الوزن والقافية والبحر ، كما في قول المقتدر بن هود [3] لغلام له اسمه يحيى تخلق بالأدب والفضل ، وكان في غاية الحسن والجمال والظرف فكتب إليه يقول :

ماذا ترى في يوم أمْنٍ طرَّزتْ حُللَ السحاب به البروقُ المُذْهَّبهْ

وأنا وكاسي لا جليسٌ غيرهُ ملآن لا يَخلُو إلى أن تشرَبَهْ

والأنسُ إنْ يسَّرْتهُ متيسِّرٌ وَمتى تُصَعِّبهُ فَيا ما أصْعَبَهْ[4]

فأجاب الغلام :

يا مالكاً بَذَّ الملوكَ بعلمهِ وخلا لِه وعلوّهِ في المرتَبهْ

وافى نَدَاك فحِرْتُ عند جوابه إذْ ما تضمّن ريبةً مستغربهْ

---

[1] أبو بكر محمد بن إسحاق اللخمي من أهل شلب يعرف بابن الملح وابن الملاح ، ينظر الذخيرة ٢ : ٤٥٢:١ والمغرب ٣٨٣:١ .

[2] الذخيرة ١: ١ : ٣٦٢ .

[3] المقتدر ملك دانية أحمد بن سليمان عميد بن هود ذو الغزوات المشهورة والوقائع العظيمة ، توفى سنة ٤٧٥ هـ ، ينظر الذخيرة ٣ :١:٤٢٣ ، والمغرب ٤٣٦:٢ .

[4] النفح ٣ :٥٦٢ .

إنَّا إذا نخلو ، تَقَوَّلَ حاسدٌ وغدا بهذا الأمر ينصرُ مذهبهْ

وهُناك فانظرني بعين بصيرةٍ فالشّبلُ يعرفُ أصلَهُ مَنْ جرَّبه [1]

لقد تجاوب الشاعر الغلام مع رغائب رجل الدولة ، فنظم رسالة شعرية فيها تعبير عن أحاسيس ومشاعر الأمير بنفس الوزن والقافية ، وإن كان تأثيره بشكل خفي ، كما فعل المعتصم بن صمادح في عتابه لابن عمار ، فبعث إليه بقوله :

وزهَّدني في الناس مَعْرفتِي بهم وطُولُ اختبارِي صاحباً بعد صاحبِ

فلم تُرِني الأيام خِلاًّ تسرُّني بواديهِ إلا ساءني في العواقبِ

ولا صِرْتُ أرجوهُ لدفْع مُلمَّةٍ من الدهر إلاَّ كان إحدى النَّوائبِ[2]

فأجابه ابن عمار :

فديتُك لا تزْهدْ فَثَمَّ بقيَّةٌ سَتُرغب فيها عند وَقْع التجاربِ

وأبقِ على الخُلْصَان إنَّ لديهُم على البَدْءِ كَرَّاتٍ بحُسن العواقبِ

تكنَّفتني بالنّظم و النّثر جاهداً وسُقتَ عليّ القول من كلّ جانبِ

وقد كان لي-لو شئتُ- ردٌّ وإنَّما أجرَّ لِساني بعضُ تلك المواهبِ

كتبتَ على رسَمْي وبعد نَسيئة قرأتُ جوابي من سطور المواكبِ

ثلاثة أبيات- وهيهات- إنَّما بعثتَ إلى حربي ثلاث كتائبِ[3]

" أما أخوه رفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى بن المعتصم [4] فله أيضا نظم

---

[1] النفح ٣:٥٦٢ .

[2] المطرب : ١٧٣

[3] المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

[4] رفيع الدولــة أبو يحيى بن المعتصم بن صمادح ، كان ينادم أبا يحيى بن مطروح ، ينظر الذخيرة ١:٢:٧٣٧ و المطمح : ٢٢٢ ، و المغرب : ٢:١٩٩ .

رائق منه ، ما كتب به إلى يحيى بن مطروح [١] يستدعيه لأنس :

يا أخي بل سيدي بل سندي في مهماتِ الزمانِ الأنكدِ

لُحْ بأفقٍ غاب عنهُ بدرُهُ في اختفاءٍ من عيونِ الحُسَّدِ

وتعجَّلْ فحبيبي حاضرٌ وفمي يشتاقُ كأسي في يدي [٢]

فأجابه ابن مطروح ، وهو من أهل باغه [٣] ، بقوله :

أنا عبدٌ من أقلِّ الأعَبُدِ قِبْلتي وَجْهٌ بأُفق الأسْعَدِ

كلّما أظمأني وِرْدٌ فما منهلي إلا بذاك المورِدِ

ها أنا بالبابِ أبغي إذنكم والظمأ قد مدَّ للكأس يدي " [٤]

إن هذه الأبيات تدل على مقدرة الشعراء على جلب القوافي التي يفضلها الأمراء ومنها القوافي الصعبة التي ركبها بعض الشعراء مثل قافية الطاء للأسعد بن بليطة [٥] في مدحه للمعتصم بن صمادح فيقول :

وقد دابَ كحلُ الليلِ في دمع فجره إلى أن تَبَدَّى الليلُ كاللّمةِ الشمطا [٦]

كأنَّ الدُّجى جيشٌ من الزِّنجِ نافذٌ وقد أرسل الإصباحُ في إثره القبطا[٧] [٨]

وقال ابن خلكان : " وهي قصيدة طويلة مقدار تسعين بيتا أحسن فيها ناظمها مع وعورة مسلك حرف رويها " [٩] .

---

[١] أبو زكريا يحيى بن مطروح من بيت إمارة ، ينظر المغرب ٢:١٥٥ .
[٢] النفح :٣:٣٦٩ .
[٣] باغة : مدينة بالأندلس من كورة البيرة بين الغرب والقبلة بين باغه وقرطبة خمسون ميلا ، معجم البلدان ١:٣٢٦ .
[٤] النفح : ٣::٣٧٠ .
[٥] الأسعد بن بليطة القرطبي شاعر مشهور ، توفى في حدود ٤٤٠ هـ ، ينظر الذخيرة ١ :٢:٧٩٠ ، والبغية : ٢٠٧ ، والمقتبس : ١٦٦ .
[٦] الشمط اختلاط اللونين الليل والصبح – لسان العرب ٧:١٩٧ .
[٧] القبط : الجمع باليد – لسان العرب ١ :١٥ .
[٨] النفح : ٤:١٠٠
[٩] وفيات الأعيان ٥:٤٣ .

يقول كأن الصبح هو الذي جمع الدُّجى وقبض عليه بطلوع النهار ، وفضل ركوب هذه القافية الصعبة ؛ لكي ينال رضا الأمير واستحسانه أولاً فيميزه عن غيره من شعراء بلاطه ، وثانيا إن الكلام في القوافي السهلة أمر ممكن ، والشاعر الفذ لا يعمل إلا في أي شيء يريده .

قال صاحب البدائع : " ركب أبو محمد بن صارة مع أصحاب له في نهر إشبيلية في عشية سال أصيلها على لجين الماء عقيانا ، وطارت زوارقها في سماء النهر عقبانا ، وأبدى نسيمها من الأمواج والدارات سرورا وأعكانا [١] ، في زورق يجول جولان الطِّرْف ، ويسود اسوداد الطَّرف فقال بديها :

تأمَّلْ حَالنا والجَوُّ طَلْقٌ مُحَيَّاهُ وقد طَفِلَ الَمَساءُ

وَقَدْ جَالَتْ بنا عَذْراءُ حُبْلَى تُجَاذِبُ مِرْطَهَا رِيحٌ رُخاءُ

بِنَهْرٍ كالسَّجَنْجَلِ[٢] كَوْثَرِيٍّ تُعَبِّس وَجْهَهَا فِيهِ السَّمَاءُ[٣]

واتفق أن وقف أبو إسحاق ابن خفاجة على القطعة واستطرفها واستلطفها فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقتها :

أَلا ياحَبَّذا ضَحِكُ الحُمَيّا بِحانَتِها وَقَد عَبَسَ المَساءُ

وَأَدهُمَ مِن جِيادِ الماءِ نَهْدٌ تُنازِعُ جُلَّهُ ريحٌ رُخاءُ[٤]

إذا بَدَتِ الكَواكِبُ فيهِ غَرقى رَأَيتَ الأَرضَ تَحسُدُها السَّماءُ "[٥]

لقد تجاوب ابن خفاجة مع ابن صارة فرد عليه في نفس الموضوع ، فجاءت معانيه سلسلة ورقيقة قريبة من معاني ابن صارة ، ولعل هذا توارد في الطباع

---

[١] أعكانا : العكن هو اطواء وهو ركم الشيء بعضه على بعض وانثنى ، لسان العرب ١٣:٢٨٨ .
[٢] السجنجل : المرآة أو قطع من الفضة وسبائكها – لسان العرب ٦:١٨٢ .
[٣] البدائع : ٣٧٦ .
[٤] نهد وردت في النفح (مُهرٍ) ٣: ٣١٨
[٥] ديوان ابن خفاجة : ٣٦٧ .

ولكن بحسب القريحة يكون الإبداع [١] ، وأغلب القوافي التي سيطرت على قصائد الشعراء في هذا العصر هي الراء ، والميم ، والباء ، والنون ، واللام ، ثم الكاف فهذه الحروف من أكثر القوافي شيوعا في الشعر العربي ، فحرف الراء ، واللام والميم ، والنون ، والياء ، والدال ، والسين ، والعين من أكثرها شيوعاً بين الشعراء أما القاف ، والكاف ، والهمزة ، والحاء ، والفاء ، والباء ، والجيم فهي متوسطة الشيوع ، أما الصاد ، و الطاء ، والهاء ، والتاء ، والضاد فهي قليلة الشيوع ، وأما الذال ، والغين ، والخاء ، والشين ، والزاي ، والظاء ، والواو فهي حروف يندر مجيئها قافية في الشعر العربي [٢] .

يقول ابن حمديس في ختام قصيدة مدح بها المعتمد :

إنّا لَنخجل في الإنشادِ بينَ يَدي رَبِّ القوافي الَّتي حُلّينَ بالفقرِ

مَن ملَّك اللَّهُ حُسنَ القول مقولَهُ فلو رآه ابنُ حُجْرٍ عادَ كالحجَرِ [٣] [٤]

والدليل على صدق مقدرة المعتمد في إنشاد القوافي التي تصعب على بعض شعراء عصره قوله مرة يسترضي أباه :

مَولايَ أَشكو إِلَيكَ داءً أَصبح قَلبي بِهِ قَريحا

سُخطُك قَد زادَني سَقاما فابعَث إِلَيَّ الرِضا مسيحا[٥]

" فقوله (مسيحا) " من القوافي التي يتحدى بها ؛ لصعوبتها على من رامها وأدخلها في بابها إذ كان المسيح بن مريم يشفي من العلل وأوصابها " [٦]

---

[١] ينظر الذخيرة ٢:٢:٧٠٧ .

[٢] ينظر موسيقى الشعر ، تأليف : أنيس إبراهيم أنيس ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت – لبنان الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٥ م : ٢٧٥ .

[٣] ابن حجر هو امرؤ القيس الكندي ، ديوان ابن حمديس : ٢٠٨ .

[٤] المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

[٥] ديوان المعتمد : ٢٠٥ .

[٦] المطرب :١٦ .

ثانياً : التأثير في البحور :

لقد عزف رجال الدولة وشعراؤهم على أغلب بحور الشعر العروضية ، ولكن كان تركيزهم على البحور الخفيفة في الأغراض كالغزل والخمر ومجالس اللهو والأنس ، وأشعار الطبيعة ، فكثر منها المشطور والمجزوء من البحور الطويلة إضافة إلى البحور القصيرة ، أما في الأغراض الأخرى كالفخر والمدح والرثاء وكان العزف على البحور الطويلة مثل الكامل ، والوافر ، والطويل ، والبسيط .

إن الأمر الذي ساعد على ذيوع الشعر في عهد الطوائف يرجع إلى اهتمام رجال الدولة بالشعر والشعراء ، وإن كان بشكل خفي ، فعندما يختار الشاعر البحر المناسب لغرض من الأغراض ويطوعه لكي يتمكن من الإبداع في شعره وانتشاره بين الناس ، وهذا الأمر راجع إلى نفسية الشاعر وميوله وقدرته اللغوية والموسيقية [1] .

قام المعتمد بن عباد برثاء نفسه وقصوره بإشبيلية (الثريا والزاهي وسعد السعود) بقصيدة قال فيها :

غَريبٌ بِأَرضِ المغربينِ أَسيرُ سَيَبكي عَلَيهِ مِنبَرٌ وَسَريرُ

بِزَاهِرِها السامي الذُّرَى جادَهُ الحَيا تُشيرُ الثُّرَيّا نَحْوَنا وَنُشيرُ

وَيلحظُنا الزاهي وَسعْدُ سعودِهِ غيورَينِ وَالصَّبُّ المُحِبُّ غَيورُ[2] .

فأجابه على هذا الشعر شاعره ابن حمديس الصقلي بأبيات قال فيها :

تجيءُ خلافاً للأمور أُمُورُنا وَيَعدلُ دهرٌ في الورى ويجورُ

أغَرَّ الأَسارى أن يقالَ مُحَمَّدٌ غريبٌ بأرض المغربَينِ أَسيرُ

وَلَمّا رَحلتمْ بالندّى في أَكُفِّكمْ وَقُلْقِلَ رَضْوَى مِنكُمُ وثَبيرُ

---

[1] ينظر دراسات في الأدب الأندلسي : ١٨٢ .
[2] ديوان المعتمد : ٣٠٨ – ٣٠٩ .

رَفَعتُ لساني بِالقيامَةِ قَد أَتَت ألا فانظروا هذي الجبال تسيرُ [1]

لقد تأثر ابن حمديس بمصير الأمير فأجابه بأبيات صور فيها سقوط دولته بنهاية العالم ومجيء يوم القيامة ؛ لأن سجن المعتمد يعني نهاية النعيم والرفاه الذي كان يعيش فيه الشاعر ، فمن يهتم بالشعر والشعراء بعد زوال دولته ؟

واختار لقصيدته نفس القافية والبحر الذي تناوله الأمير وهو البحر الطويل لأنه يعبر عن الحالة التي يمر بها الأمير ، وظروف عصره جعلته يترجم أحاسيسه في بحر رحب قادر على استيعاب المعاني العميقة ، والتعبير عن الحالة النفسية المفعمة بالعواطف .

وكما قام الوزير أبو جعفر بن أحمد [2] بمخاطبة أبي بكر الداني بقصيدة في البحر الطويل قال فيها :

هب السحرَ يُملي والمعالي تَدفَّقُ هل الكلُّ إلا من صفاتك يُشْرِقُ

وهبنا شدونا كالبلابل إنَّه جميعُ الملاهي من قريضكِ ينطقُ

جمعت معاني الحسن في طيِّ مُهْرَقٍ ولم أحتسبْ أن يجمعَ الحسنَ مهرقُ

وماذا عسى نُهدي إليك وإننا جداولُ في أدنى بحارِكَ تغرقُ [3]

فأجابه أبو بكر الداني بقوله :

سبقت إلى العلياء وما زلتَ تسبقُ فأرسلتَ ما يندي عليَّ ويعبقُ

كتابٌ كما يُتلى الكتابُ وراءَهُ حديثٌ كما يُرْوى الحديثُ المصدقُ

أضاء الهوى في صَفْحِ ما قد خططته كما ضاءَ وَجْهُ الحقيقة رونقُ[4]

---

[1] ديوان ابن حمديس : ٢٦٨ – ٢٦٩ .
[2] تمت الترجمة له :١٧ .
[3] الذخيرة ٣:٢:٧٧١ .
[4] المصدر السابق ٣: ٢ :٧٧٢ .

أن هذه الأبيات تؤكد تأثر أبي بكر الداني بشعر الوزير بشكل واضح من خلال إجابته له في نفس البحر و القافية .

وقال أبو بكر الداني : وردت على مبشر بن سليمان[١] أمير ميورقة [٢] قصيدة من نظم أبي المظفر البغدادي [٣] أولها :

هو طيفُها و طروقُهُ تعليلُ فمتى يفي لك الوفاءُ قليلُ

وكأنَّ زَوْرَتَهُ تَخيُّلُ بارقٍ فتقت به النكباءُ وهي بليلُ

فكلف أبو بكر الداني بمعارضتها بنفس البحر والقافية فقال :

في الطيف لو سمح الكرى تعليلُ يكفي المحبَّ من الوفاءِ قليلُ

وينوب عن شخصِ الحبيب خيالهُ إن لم يكنهُ فإنه تمثيل[٤]

لقد اختار بحر الكامل ؛ لأنه أصلح البحور لإبراز العواطف البسيطة غير المعقدة كالفرح والحب مثلا .

كما نظم الأمراء وشعراؤهم الكثير من قصائدهم في البحر البسيط ؛ لأنه يفوق البحور رقة وجزالة[٥] ، كما جاء في قول ذي الوزارتين ابن زيدون في إجابته لجارية من جواري الأندلس سألته أن يزيد على بيت أنشدته إياه فقالت :

يا مُعْطشِي من وصالٍ كنتُ وَارِدهُ هَلْ مِنْكَ لي علَّةٌ إنْ صِحْتُ واعَطشي[٦]

فرد عليها ابن زيدون وهو يعلم أنَّها تعشق فتى قرشيا ، وهي لا تعلم أنه يعلم فقال :

كَسَوتَني مِن ثِيابِ السُّقمِ أَسبَغَها ظُلماً وَصَيَّرتَ مِن لُحفِ الضَّنَى فُرُشي

---

[١] مبشر بن سليمان الملقب ناصر الدولة أصله من المشرق تولى ميورقة فترة من الزمن ، ينظر الذخيرة ٣: ١:٤٢٧ ، وتاريخ ابن خلدون ٤:١٥٣ .

[٢] ميورقه : جزيرة في شرق الأندلس بالقرب من جزيرة يقال لها منورقة – معجم البلدان ٥:٢٤٦ .

[٣] المظفر البغدادي من أحد الوافدين على الأندلس ، سكن قرطبة وكان من رؤساء الورَّاقين المعروفين ، ينظر النفح ٣:١١١ .

[٤] الذخيرة ٣ :٢ : ٦٨٩ – ٦٩٠ .

[٥] ينظر موسيقى الشعر : ١٩٣ – ١٩٦

[٦] ديوان ابن زيدون : ١٧٠ -١٧١ .

إنّي بَصَرفِ الهَوى ،عَن مُقلَةٍ كُحِلَتْ بِالسِحرِ مِنكَ ، وَخَدٍّ بِالجَمالِ وُشي

صَبّاً ؛ إذا التَذَّتِ الأَجفانُ طَعمَ كَرًى جَفا المَنامَ ، وَصاحَ اللَّيْلَ: يا قُرَشي

هَذا وَإِنْ تَلِفَت نَفسي فَلا عَجَبٌ قَد كانَ مَوتي مِن تِلكَ الجُفونِ خُشي[1]

وذكر صاحب النفح أن أبا العطاف [2] إذ ورد على إشبيلية رسولا سأل ابن زيدون أن يريه شيئاً من شعره فمطله به ، حتى كتب إليه شعرا يستبطئه ، فأجابه ابن زيدون في العروض والقافية :

أَفْدَتْنِي مِن نَفائِسِ الدُّرَرِ ما أَبْرَزَتْهُ غَوائِصُ الفِكَرِ

مِن لَفْظَةٍ قارَنَتْ نَظيرَتَها قِرانَ سُقْمِ الجُفونِ لِلْحَوَرِ[3]

وكان نظم بعض قصائده في بحر المنسرح ، وإن كان قليلاً ما ينظم الشعراء فيه ، ومع هذا كان للمعتمد العديد من القصائد التي نسجت في هذا البحر[4] .

ومن البحور التي نظم فيها الأمراء وشعراؤهم البحر الخفيف ، كما جاء في قول الوزير أبي عامر بن مسلمة [5] ، وقد بعث إليه أبو الأصبغ بن عبد العزيز [6] باكورة بهار وكتب معها :

وبهار ألمَّ قبل الأوانِ في بهاءٍ يروقُ رأى العيانِ

أمكن القطف في مدى شهر تشر ين على غير عادة الإمكانِ

سبق الزَّهر في الفضائلِ طُرًّا وكسا بالجمال فَضْلَ الزمانِ

---

[1] ديوان ابن زيدون : ١٧١ .
[2] أبو العطاف لم أعثر له على ترجمة ، ينظر النفح ٣ : ٢٧٥ .
[3] ديوان ابن زيدون : ٢٠٦ ، وانظر نفح الطيب ٣:٢٧٥ .
[4] ينظر ديوان المعتمد القصائد رقم : ٩ ، ٣٥ ، ٧٨ ، ٦٩ ، وغيرها .
[5] تمت الترجمة له :٣٢
[6] تمت الترجمة له : ٣٥

فأجابه بأبيات نظمها في البحر الخفيف فقال :

يا إماماً في السبق يوم الرهان كلَّ حينٍ يؤمِّني بالأمانِ

وصل النرجسُ المبكِّر يحكي سَبْقَ عبادٍ المليك اليمانيِ

يا بهار الرياض أنت بهارُ باهر الأنوار والريحانِ[1]

لقد قصد الوزير أبو الأصبغ من وراء إرسال هديته اختبار مقدرة الشاعر أبي عامر على إجابته له في نفس الموضوع والبحر والقافية ، خصوصا في المطارحات الشعرية ، وإنْ دل هذا على شيء فإنه يدل على اهتمام رجال الدولة بالشعر والشعراء .

إن أغلب البحور التي نظم فيها رجال الدولة والشعراء في عهد الطوائف بصفة عامة : الكامل والطويل والبسيط والوافر والمتقارب والرجز ، والسريع والخفيف والرمل والمنسرح ، كما نظموا في المجزوء منها ، وثبت هذا في العديد من قصائدهم [2] .

---

[1] الذخيرة ٢ : ١ : ١٠٨ .

[2] ينظر ديوان ابن زيدون القصائد رقم : ١٢٤ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ٢٠١ ، ٢٢١ ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٩، ٣٠٦، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٣ ، ٤٣٨ ، ٤٤٧ ، ٥٠٢ ، ٥٠٦ ، ٥١٣ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ٥٩١ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، فقد نظمها في بحر الكامل أما القصائد رقم : ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٦١ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، ٣٠٥ ، ٣٣٥ ، ٣٥١ ، ٣٨٧ ، ٤٧٩ ، ٥٢٣ ، ٥٣٩ ، ٥٦٢ ، ٥٩٠ ٥٩٢ فقد نظمها في بحر الطويل . و ينظر ديوان المعتمد بن عباد فقد نظم بعض القصائد في بحر الكامل رقم : ٨ ١٠ ، ١٣، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣، ١٤٨ ، ١٤٩ ١٥٥ ، ١٥٣ ١٧٧ ، ١٨٥ ، أما القصائد التي نظمها في بحر الطويل : ١، ١٨، ٢٠ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١، ٣٦ ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ٥٠ ، ٥١ ، ٧١ ، ٨٨ ، ١٠٢، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٥٧ ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٦ ١٧٠ ، ١٧٦ .

الفصل الثاني :

دورهم في النهوض بالشعر من خلال تفضيل الشعراء

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول :

الاستماع إلى الشعراء وتقديم الحوافز

المبحث الثاني :

تقليدهم المناصب وإرسالهم في مهمات

المبحث الثالث :

الدعوة إلى البديهة والارتجال

المبحث الرابع :

الدعوة إلى تأليف كتب المجاميع الشعرية

المبحث الأول :
الاستماع إلى الشعراء وتقديم الحوافز

أخـذ رجالات الدولة في عهد الطوائف في التنافس والإقبال على الشعراء على نحو لم يكن معهوداً من قبل ، فقد حاول كل منهم الظفر بالشعراء البارعين والاستماع إليهم وتقديم العطايا والحوافز إليهم ، فالمعتضد كان يخصص يوميا من كل أسبوع ، وينصب كرسيا للشاعر فيجلس عليه ويلقي شعره [١].

وأيضا كان المعتصم بن صمادح صاحب ذوق أدبي رفيع ينظم الشعر ، ويرتاح لسماعه كثيرًا [٢] ، فاجتذب الشعراء بنعمه وجزيل عطاياه ، وكان يعقد لهم مجالس يتبارون في النظم ، فخصص يوم الجمعة لمجالس الفقهاء والشعراء ، وكان يجيز الجيد منهم فينال عطاياه [٣] .

وأيضا كان مجاهد العامري يستجلب القراء والشعراء ويفضل عليهم ، وينفق عليهم الأموال ، فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده فكثروا في بلاده [٤] .

وكان بلاط رجال الدولة في عهد الطوائف ملتقى للشعراء والأدباء البارعين ذوي القريحة الأخاذة والملكة الرائعة ، ويؤكد هذا القول المظفر من بني الأفطس [٥] أصحاب بطليوس الذي قال : " من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو شعر المعري فليسكت " [٦]

أولا : التوجيه البين :

كان رجال الدولة يدعون الشعراء إلى مجالسهم ، ويطلبون منهم نظم الشعر في غرض معين ، أو معنى معين بشكل بيّن ، فمن يجيد النظم منهم يكون له العطاء الجزيل ، والمكانة الرفيعة في مجالسهم .

---

[١] ينظر نفح الطيب ٤ : ٢٤٤ .
[٢] ينظر المغرب ٢ : ١٩٦ .
[٣] ينظر تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس – تأليف السيد عبد العزيز سالم دار النهضة للطباعة والنشر بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٩ م : ٧٤ – ٧٥ ، وينظر الحلة السيراء٢ : ٨٢ .
[٤] ينظر معجم البلدان ٢: ٤٣٤ .
[٥] المظفر محمد بن عبد الله بن مسلمة بن الأفطس ، تولى بعد أبيه الملك ، وكان شاعرا أديبا عالما توفى سنة ٤٣٧ هـ ، ينظر الذخيرة ٢: ٢ : ٦٤٠ ، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي تحقيق كولان وليفي برفنسال – دار الثقافة بيروت – لبنان - ٢ : ٢٣٦ .
[٦] الذخيرة ٢: ٢: ٦٤١ .

أنشد عمر بن الشهيد المعتصم بن صمادح قصيدة يقول فيها :

" سَبْطُ اليدينِ كأنَّ كلَّ غمامةٍ قَد رُكِّبتْ فِي رَاحتيه أناملا [1]

لا عَيْشَ إلاَّ حيثُ أنت ، وإنَّما تمضيِ ليالي العُمرِ بعدكَ بَاطلا [2]

والتفت المعتصم إلى من حضر من الشعراء ، وقال : هل فيكم من يحسن أن يجلب القلوب بمثل هذا ؟ فقال أبو جعفر ابن الجزار البطرني [3] : نعم ، ولكن للسعادة هبَّات ، وقد أنشدتُ مولانا قبل هذا أبياتاً أقول فيها :

وما زلتُ أجني منك والدهرُ مُمْحِلٌ ولا ثمرٌ يُجنى ولا الزَّرْعُ يُحْصَدُ

ثمارَ أيادٍ دانياتٍ قُطوفُها لأغصانها ظلٌّ عليَّ مُمدَّد

يُرَى جَارياً ماءُ المكارمِ تحتها وأطيارُ شكري فوقهنَّ تغرِّدُ [4]

فارتاح المعتصم ، وقال : أأنت أنشدتني هذا ؟ قال : نعم ، قال : والله كأنها ما مرت بسمعي إلاَّ الآن ، صدقت ، للسعد هبَّات ، ونحن نجيزك عليها بجائزتين : الأولى لها والثانية لمطل راجيها وغمط إحسانها " [5] .

وأصبح لهذه المجالس تأثيرها على توجيه حركة الشعر في عهد الطوائف ، فذاع صيتها واشتهر ذكر الشعراء أمثال ابن زيدون ، وابن الحداد ، وابن عمار ، وابن اللبانة ، وابن عبدون ، وعبد الجليل بن وهبون ، وابن شهيد ، وغيرهم .

وكان للعطاء دور مهم في توجيه حركة الشعر ، حيث كان الأمير يعطي من ماله ويثيب الشعراء على قصائدهم ، فقد شجع هذا الأمير على ازدهار حركة الشعر في الأندلس .

---

[1] اليدين وردت في النفح البنان ٣: ٤١٣

[2] الذخيرة ١: ٢ : ٦٨٦ .

[3] البطرني هو جعفر أحمد بن الجزار كان يمدح المعتصم ، ينظر ترجمته في المغرب ٢: ٣٥٥ .

[4] النفح ٣:٤١٣ ، والمغرب ٢:٣٥٦ .

[5] النفح ٣:٤١٣ .

كما كان المعتمد مضرباً للأمثــال في سخائه وكرمه ، فتلقى بعد توليه الملك هدية من ابن عمار ، " وهي ثوب صوف بحري يوم نيروز[١] ، وكتب معه :

لما رأيتُ الناس يحتشدون في إتحاف يومك جئتهُ من بابهِ
فبعثتُ نحو الشمس شَبه أَياتها وكسوتُ متَن البحرِ بعضَ ثيابهِ[٢]

فبعث إليه المعتمد بمكبَّة فضةٍ فيها خمسمائة دينار - وقيل خمسة الآف دينار ذهبا ، وكتب معها :

هِبة أنتك من النضار أُلوفُها فاغنم جزيلَ المال من وَهّابهِ
فلو أنَّ بيت المال يحوي قُفُله أضعافها لكسرتُه عن بابهِ
وملأتُ منه يديكَ لا مستأثراً فيه عليك لكي تُرى أولى بهِ
فالبحر يطفح جودهُ لك زاخراً لما كسوتَ البحرَ بعض ثيابهِ " [٣]

مع هذا كله كان المعتمد ناقدا دقيقا للشعر ، لا يجيز إلا الجيد منه ، فكان المجيد يظفر بكرمه الواسع ، فقد ألقى الشاعر عبد الجليل بن وهبون بين يديه بيتين من الشعر :

قلَّ الوفاءُ فما تلقاه في أَحد ولا يمرُّ بمخلوقٍ على بالِ
وصار عندهم عنقاءَ مغربةً أو مِثلَ مَا حدَّثوا عن أَلفِ مثقال[٤]

فقال المعتمد : " عنقاء مغربة ، وألف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء ؟ فقال : نعم ، فأمر له بألف دينار وبألف أخرى ينفقها ، وقال له : الآن حدث بها لا عنها " [٥]

---

[١] النيروز : بالفارسية اليوم الجديد وهو أول يوم من السنة الشمسية ، الإيرانية ، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية ، وعيد النوروز ، أو النيروز أكبر أعياد الفرس ، المعجم الوسيط ٢ : ٩٧١ .
[٢] الحلة السيراء ٢:١٦٢ .
[٣] المرجع السابق ٢:١٦٢-١٦٣ .
[٤] المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تأليف عبد الواحد المراكشي – تحقيق : محمد سعيد العريان: ٣ :١٥٩
[٥] المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

كما قام ابن شرف القيرواني [1] بإرسال قصيدة من طليطلة إلى المظفر بن الأفطس يقول فيها :

خُذها أَبا بَكرٍ غَريبِّيَةً سَرى بِها الوُدُّ إِلَيكُم وَطار

لَيسَت مِنَ الشِعرِ القَصيرِ الخُطى وَلا مِنَ المَسروقِ وَالمُستَعار

قَدَّمتُها قَبلَ قُدومي كَما قَدَّمَتِ الحُجّاجُ رَميَ الجِمار

ثم أردف قائلا :

أَقَمتَ لِلعلمِ مَناراً وَما أَظُنُّ في الدُنيا لِعلمٍ منار

فَما نَداماكَ سِوى أَهلِهِ وَكُلُّهُمْ بَينَ نَدامى العُقار

مَيزُكَ ميزانُ عُقولِ الوَرى وَفَهمُكَ العَدلُ لِكُلِّ عِيار

تَبدو لَكَ الهُجنَةُ في لَحظَةٍ وَتَعرِفُ الأَسنانَ قَبلَ الفِرار[2]

مِن لَفظِهِم تَعرِفُ ما هُم وَفي جَحفَلَةِ العاثِرِ يَبدو العِثار

فَما رَأَتْكَ العَينُ تُصغي إِلى مُحال عِجلٍ سامِرِيِّ الخُوار [3] [4]

فلما سمعها المظفر بعث إليه بمائة مثقال من ضرب السكة لديه [5] ؛لأن فيها من معاني المديح الشيءُ الكثير الذي يدفع الممدوح إلى إكرام المادح .

هذه الأبيات تؤكد دور المظفر الأفطس في الاهتمام بالشعر والشعراء ، مع أنه كان عالماً أكثر منه أديباً ، ولكنه كان يجيد تذوق الشعر وتمييز الجيد منه ، وكان

---

[1] ابن شرف هو أبو عبد الله محمد بن شرف أديب القيروان المشهور ، فلما خرب العرب القيروان رحل إلى الأندلس وظل بها حتى توفى سنة ٤٦٠ هـ ، الذخيرة ٤: ١:١٦٩ ، والمغرب ٢:٢٣٠ – ٢٣١ .

[2] الفرارُ : بيان الأسنان في الفم ، لسان العرب ١٠ : ٢١٧ - ٢١٨ .

[3] السامري : شخص كان مع سيدنا موسى ، وهو الذي أخرج لهم العجل بعد عشرة أيام وقال لهم : هذا إلهكم وإله موسى ، فعكفوا عليه يعبدونه ، تاريخ الطبري ١: ٢٥٠ ، الخوار : صوت الثور وما أشتد من صوت البقر والعجل – لسان العرب ٤:٢٦١ .

[4] الذخيرة ٢:٢: ٦٤٣

[5] المصدر السابق الصفحات نفسها .

يريد الشعر رصيناً عميقاً في معانيه يضارع شعر المتنبي و أبي العلاء [1] .

وجاء في المعجب أن المعتمد بن عباد نزل بطنجة وأقام فيها أياما ، فالتقى بالحصري الشاعر - أبو الحسن علي بن الغني الضرير[2] " فجرى معه على سوء عادته من قبح الكدية وإفراط الإلحاف ، فرفع إليه أشعارا قديمة قد كان مدحه بها وأضاف إلى ذلك قصيدة استجدها عند وصوله إليه ولم يكن عند المعتمد في ذلك اليوم مما زود به فيما بلغني ، أكثر من ستة وثلاثين مثقالا ، فطبع عليها وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قلتها ووجه بها إليه .

وكان هذا الرجل - أعني الحصري الأعمى - أسرع الناس في الشعر خاطراً ، إلا أنه كان قليل الجيد منه – فحركه المعتمد على الله على الجواب بقطعة أولها :

قُلْ لِمَنْ جَمعَ العِلْـ مَ وَما أَحْصَى صَوابَهْ

كانَ في الصرّةِ شعرٌ فَتَنَظَّرنا جَوابهْ

قَد أَثْبَناكَ فَهَلاّ جلبَ الشِّعرُ ثَوابهْ " [3] .

---

[1] ينظر البيئة الأندلسية : ٣٥٥ .

[2] الحصري هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحصري ، توفى سنة ٤٨٨ هـ ، ينظر الذخيرة م ٤ : ١:٢٤٥-٢٤٦ .

[3] ديوان المعتمد : ٢٨٩ .

ثانياً : التوجيه الخفي :

لقد كان المعتمد معجباً بشعر المتنبي ، وكثيراً ما كان يردد أشعاره ويبحثها في مجلسه ، فاستشهد مرة ببيت المتنبي مستحسناً إياه ، وفي حضرته مجموعةٌ من الشعراء ، فكان ابن وهبون من بين الموجودين فقال فور سماعه لبيت المتنبي[١] :

لئن جاد شعرُ ابن الحُسَينِ فإنّما تُجيدُ العطايا واللُّها تفتح اللَّها [٢]

تَنَبَّأ عُجْباً بالقريض ولو دَرَى بأَنَّك تروي شعره لتألّها[٣]

فكافأه المعتمد بمائة دينار .

ومن هذا يبدو أن المعتمد بن عباد كان يرغب في سماع نوع من أنواع الشعر لأنه كان شاعراً مطارحاً لشعراء دولته يتبادل معهم الثناء والمودة ، وهي ليست من المديح الذي ينحدر بصاحبه إلى السؤال ، بل هو إطراء أمير شاعر يعجبه الجميل والجيد من الشعر ، فيثني على صاحبه ، ولا يكتفي بالهبات والأجازات بل قد يتبعها المدح استكمالاً للمعروف . [٤]

جاء رجل إلى المعتصم بن صمادح يشكو إليه عاملا ناقشه في قرية يحرث فيها وأنشده قصيدة رائية قال في مطلعها :

قامتْ تجرُّ ذيول العَصْبِ والحِبرِ ضعيفة الخصرِ والميثاقِ والنظرِ [٥]

إلى أنَّ بلغ في قوله :

لم يبقِ للجورِ في أيامهم أثرٌ إلا الذي في عيون الغيدِ من حَوَرِ

---

[١] البيت هو : إذا ظَفِرَت مِنكِ العُيونُ بِنَظرَةٍ أَثابَ بِها مُعيي المَطِيِّ وَرازِمُه ، ديوان المتنبي : ١٦٧ .

[٢] اللَّها : أفضل العطايا واجزلها ، واللَّهاةُ : لحمة حمراء في الحنك معلقة على عكدة اللسان ، وهي الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم ، أي الأموال تفتح فمه ليقول الشعر . لسان العرب ١٥:٢٦١-٢٦٢ .

[٣] نفح الطيب ٣:١٩٤ ، والمطرب : ١١٨ .

[٤] ينظر الشعراء العرب – تأليف فواز الشعار – إشراف إميل يعقوب – دار الجيل بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩ م : ١٨ .

[٥] تاريخ الفكر الأندلسي – تأليف أنخل جنتالث يالنثيا – ترجمة حسين مؤنس – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة : ١١٠ – ١١١ .

فقـــال المعتصم : " كم في القرية التـي تحرث فيهـا ؟ فقـــال : فيهـا نحـو خمسين بيتـاً ، فقـال لـــه : وأنـــا أسـوغـك جميعهـــا لهـــذا البيـت الواحـــد ، ثـم وقـــع لـه بهـا وعزل نظر كل وال " [1] .

إن هذه القصة تؤكد الأثر الذي تركه المعتصم بن صمادح في شعر الشعراء ؛ لأنَّه كان يقدر الشعر وأهله ، فعندما يتصل الشاعر بالأمير يرتفع بمستوى تفكيره ويوسع من آفاقه ، ويهذب من سلوكه وطباعه ، ويستفيد من ثقافتهم نتيجة لما ينقله عنهم من آداب وعادات من جهة ، ومن جهة أخرى يحمله على كد ذهنه و وزن عباراته ومراجعة فنه ؛ لكي يصل إلى نفوسهم فيكون محل رضاهم ، وموضع تقديرهم . [2]

وكان أمراء الطوائف يتنافسون فيما بينهم للظفر بالفحول من الشعراء ، فكان لهذا التنافس أثر كبير في النهوض بالشعر ، وصدق الشقندي عندما قال في رسالته : " ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادي النواسم بين الرياض ، وتفتك في أموالهم فتكة البراض ، حتى أن أحد شعرائهم بلغ ما رآه من منافستهم في إمداحه أن حلف ألا يمدح أحدا منهم إلا بمائة دينار " [3] .

وكـان أعظـم مباهـاة الأمـراء أن يقـال : " العـالم الفلانـي عنـد الملـك الفلانـي والشـاعر الفلانـي مخـتص بالملـك الفلانـي " [4] ، ومـن هـؤلاء الشـاعر أبـو الفضـل البرجي [5] كان فيلسوفاً حكيماً ، واسع العلم ، استطاع أن يصل في البلاط إلى مكان مرموق بفضل شعره الجيد ، وكان قد قصد أول أمره قصر المعتصم بن صمادح في زي تظهر عليه البداوة ، وألقى بين يدي المعتصم قصيدة قال في مطلعها :

مطل الليلُ بوعد الفلق وتشْكَّى النجم طول الأرق

ضربتْ ريح الصبا مسك الدجى فاستفاد الروض طيب العبق [6]

---

[1] تاريخ الفكر الأندلسي : ١١١ ، والنفح : ٣٩٦:٣ .

[2] ينظر البيئة الأندلسية : ٣٥٦ .

[3] الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه – تأليف إميليوغريسه غومس ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ م : ٤٥ .

[4] نفح الطيب ١٩٠:٣ .

[5] تمت الترجمة له : ٧٧.

[6] تاريخ الفكر الأندلسي : ١١١ .

لقد شبه الندى وهو يسقط على الرياض في الصباح الباكر بالمسك العبق فاستدعى انتباه المعتصم وأهل المجلس فأقبلوا عليه ، وكان ذلك أول صعود أمره [١]

ومن الشعراء الذين وصلوا إلى بلاط المرية أبو الوليد النحلي ، الذي قصد المعتصم في ثياب لا تليق بشاعر مثله ، والناس في المرية قد لبسوا البياض ، فكتب إليه يقول :

أيا من لا يضاف إليه ثانٍ ومن وَرَثَ العُلا باباً فبابا

أُجلك أن تكون سواد عيني وأُبصرُ دون ما أبغي حجابا

ويمشي الناسُ كلهمُ حَمَاماً وأمشي بينهم وحدي غُرابا [٢]

فوصله المعتصم وكساه ، وكتب إليه مراجعاً :

ورَدْتَ ولليَّلِ البهيمِ مطارفٌ عليكَ وهذي للصَّباح بُرودُ

وأنت لديناما بقيتَ مُقرَّبٌ وعيشُكَ سَلْسَالُ الجمامِ بَرودُ [٣]

لقد عرف رجال الدولة أقدار الشعراء ، فبعثوا في طلبهم ، وأغروهم بجزيل العطايا ؛ لكي يجودوا بأفضل ما عندهم في نظمهم للشعر . وهذا المعتمد بن عباد يعطي أبا العرب الصقلي [٤] كيسين من دنانير السكة ، وجملا مرصعا بنفيس الجواهر ، فقال أبو العرب :

أعطيتني جملاً جَوْناً شَفَعْتَ بهِ حملاً من الفضّةِ البيضاء لو حملا [٥]

نتاجُ جُودكَ في أعطانِ مكرمةٍ لا قِدَّ تَعْرف من منَعٍ ولا عُقُلا

---

[١] تاريخ الفكر الأندلسي : ١١٠ – ١١١ .

[٢] الذخيرة ١: ٢:٧٣٦ .

[٣] المصدر السابق ، الصفحة نفسها ، والحلة السيراء ٢:٨٨ .

[٤] أبو العرب الصقلي ولد بصقلية سنة ٤٢٣ هـ ، وكان عالما بالأدب والشعر ، توفى سنة ٥٠٦ هـ ، ينظر ترجمته في الذخيرة م ٤: ١:٣٠١ .

[٥] جون كل بعير أسود يخالطه حمرة كلون القطا ، لسان العرب ١٣ :١٠١.

فأعْجَبْ لشأني فشأني كلُّه عَجَبٌ رَفَّهتني فحملتُ الحملَ والجملا [1]

وعندما وقع المعتمد في الأسر بأغمات وفد عليه شاعره أبو بكر الداني وفادة وفاء ، لا وفادة استجداء ، وحكى أنَّه عزم الانفصال عنه ، فبعث إليه المعتمد بعشرين ديناراً وشقة بغدادية [2] ، وكتب معها :

إلَيكَ النزْرَ مِن كَفِّ الأَسيرِ فان تقْبل تَكُنْ عيْن الشَكُور

تقبَّلْ ما يَذوبُ لَهُ حَياءً وَإن عَذَرَتَهُ حالاتُ الفَقيرِ [3]

وهي عدة أبيات ، فقال أبو بكر إليه جوابها :

سقطت من الوفاءِ على خبيرٍ فذرني والذي لك في ضميري

تركتُ هواك وهو شقيقُ نفسي لئن شُقَّتْ بُرودي عَن عدورِ

ولاكنتُ الطليق من الرَّزايا لئن أصبحتُ أجْحِفُ بالأَسير

أنا أدرى بفضلك منك ،أنِّي لبستُ الظِّل منه في الحَرُورِ [4]

حتى وهو في فقره و أسره لا يبخل بالقليل الذي بين يديه على شاعره المخلص . ومن قول ابن عمار في مدحه للمعتضد :

أدرالزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السُّرى

والصبحُ قد أهدى لنا كافوره لما استردَّ الليل منا العنبرا

ثم قال :

عباد المخضرُّ نائلُ كفه والجو قد لبس الرداء الأَغبرا

---

[1] النفح : ٣:٥٦٩ .
[2] ديوان المعتمد :٣١٢ .
[3] المصدر السابق : الصفحة نفسها
[4] المعجب : ٢٢٠ ، وفيات الأعيان ٥:٣٤-٣٥ .

ملك إذا ازدحم الملوك بموردٍ - ونحاه- لا يَرِدون حتى يَصْدُرا

أندى على الأكباد من قطر الندى وألذ في الأجفان مِنْ سنةِ الكرى

من لا توازنُه الجبال إذا احتبى من لا تُسابقه الرياح إذا جرى [1]

يقول : لقد طلع الصباح وغاب النجم بعد أن كان مطلقاً عنانــه للسير في الظلام فاستعار لون الكافور لنور الصباح ، والعنبر لظلام الليل ، و إذا ازدحم الملوك بمورد وقصد ابن عباد هذا المورد توقف الملوك هيبة له فلا يشربون إلا بعد صدوره عن الماء ، وهذا الملك أطيب للأكباد الحارة من قطر الندى ، وألذ في العيون من النعاس وإذا جلس ممدوحه للشورى والحديث كان عقله أرزن من الجبال ، وإذا جرى للحروب والغارات أسرع من الرياح ، فعندما سمعها المعتضد أمر له بمال وثياب وأن يكتب في ديوان الشعراء [2] .

ويقول أبو جعفر بن الجزار في مدحه للمعتصم بن صمادح :

وما زلتُ أجني منك والدهرُ مُمْحَلٌ ولا ثمرٌ يجنى ولا الزرع يُحْصَدُ [3]

ثمارَ أيادٍ دانيات قُطوفُها لأغصانها ظلٌّ عليَّ مُمَدَّدُ

يُرَى جارياً ماء المكارمِ تحتها وأطيارُ شكري فوقهنَّ تغرِّدُ [4]

يرى الشاعر أن المعتصم روض معطاء وشجرة ظل له ثمار دانية القطوف تجري من تحتها مياه المكارم ، وتغرد فوق أغصانه أطيار الشكر ، فقد صاغ أبياته بقوة ومتانة وبألفاظ سهلة ، فجاءت متناسقة وجميلة أثارت إعجاب المعتصم فأجازه عليها بجائزتين . [5]

---

[1] المطرب : ١٧٠ ، تاريخ الفكر الأندلسي : ٩٠ .
[2] ينظر المطرب : ١٦٩ ، وعصر الدول والإمارات : ١٩٤ .
[3] ممحل في الأصل انقطاع المطر أي احتبس القطر . لسان العرب : ٦١٧:١١ .
[4] النفح ٤١٣:٣ .
[5] المصدر السابق ٣ : ٤٨٦ .

وهذا دليل على أن المعتصم بن صمادح كان لا يجيز إلا الجيد من الشعر ، وما كان حسن السبك صحيح التأليف ، مع رقة اللفظ وجزالته في أغراض أخرى وعذوبة المعنى وسهولته.

وروي في النفح أنّ المأمون بن ذي النون شرب مع أبي بكر محمد بن أرفع رأسه [1] ، وحفل من رؤساء ندمائه كابن لبون وابن سيفان وابن الفرج وغيرهم فجرت مذاكرة في ملوك الطوائف في ذلك العصر ، فقال كل واحد منهم ما عنده بحسب غرضه فقال ابن أرفع رأسه :

دعوا الملوكَ وأبناء المُلوك فَمَنْ أضحى على البحر لم يشتقْ إلى نَهرِ

ما في البسيطة كالمأمونِ ذُو كرمٍ فانظر لتصديق ما أُسمعت من خبرِ

يا واحداً ما على عُلْياهُ مُخْتلف مذ جاد كفُّكَ لم نحتجْ إلى المطرِ

وقَد بدوتَ لنا وُسطى ملوكهم فلم نُعَزِّجْ على شذرٍ ولا دررِ [2]

فداخل ابن ذي النون من الارتياح ما ليس عليه مزيد ، وأمر له بإحسان جزيل عتيد [3] .

وهكذا استطاع رجال الطوائف أن يجمعوا بين إمارة السيف والجود والقلم ، فقد كانوا محببين إلى الشعراء بنوع خاص ؛ وذلك لكرمهم وسماحة طباعهم ، وأيضا بسبب حبهم للشعر وتقديرهم للشعراء ، ولكونهم قبل ذلك شعراء يحسنون النظم ويجيدون القول .

---

[1] أبو بكر محمد بن أرفع رأسه كان مع المأمون بن ذي النون ، وله موشحات مشهورة يغنى بها في بلاد المغرب منها في مدح المأمون بن ذي النون ، النفح ٤:١٣٤ ، و المغرب ٢:١٨.

[2] النفح ٤:١٣٤ .

[3] المصدر السابق : ٤:١٣٥ .

المبحث الثاني :

تقليدهم المناصب وإرسالهم في مهمات

كان رجال الطوائف في الأندلس أدباء وشعراء ، يتذوقون الأدب ويقرضون الشعر ، وكانوا يتنافسون في تعهد الأدباء ، وإثابة الشعراء فبالغوا في إكرامهم وإجزال العطاء لهم ، ومن فرط عنايتهم بالأدب واعتدادهم بالشعر لا يستوزرون وزيراً إلا إذا كان شاعرا أو أديبا ، كما كان يفعل المعتمد بن عباد ، وأهم المناصب التي كانت موجودة في عصر الطوائف :

١. مناصب القصر الحاكم والحاجب .

٢. مناصب الشعب أهمها : القاضي ، وصاحب الشرطة والمحتسب .

٣. مناصب الجيش على رأسها : القيادة والإمارة .

٤. مناصب شائعة كالوزير وذي الوزارتين[٢] .

لقد أخذ رجال الدولة في التنافس والإقبال على الشعراء على نحو لم يؤلف من قبل ، وحاول كل واحد منهم الظفر بالشعراء البارعين ، فقد وثق أبو الوليد ابن جهور بالشاعر ابن زيدون ، وجعله سفيراً بينه وبين الأمراء فأحسن التصرف في ذلك وغلب على قلوب الأمراء [٣] .

فقد أرسله أبو الوليد مرة إلى باديس أمير غرناطة ؛ ليعقد معه حلفا ضد إسماعيل بن عباد أخي المعتضد ، وكان الهدف من هذا الحلف دفع خطر إسماعيل وتأمين قرطبة من هجماته ، وحقق الحلف هدفه بهزيمة إسماعيل سنة ٤٣١ هـ ، وسجل ابن زيدون ذلك في أبيات من الشعر قال فيها :

سَلِ المَعْشَرَ الأَعداءَ إِنْ رُمْتَ صَرفَهُمْ عَنِ القَصْدِ إِنْ أَعْيَاكَ مِنْهُ مَرامُ

أَتوْكَ كَآسادِ الشَّرَى فَرَدَدتَهُمْ كَما أَجفَلَتْ ،وَسطَ الفَلاةِ نَعامُ [٤]

ثم انتقل إلى مدح باديس :

فِداءٌ ، لِباديسَ النُفوسُ ، وَجَادَهُ مِنَ الشُّكرِ– في أُفْقِ الوَفَاءِ –غَمامُ

---

[٢] ينظر البيئة الأندلسية : ٣٤ ـ ٣٥ .

[٣] ينظر الذخيرة ١:١:٣٣٧ .

[٤] معنى الشرى : موضع تنسب إليه الأسدَ ، ويقال للشجعان ما هم إلا أسود الشرى ، لسان العرب ١٤:٤٣١ .

فَما لَحِقَتْ ، تِلْكَ الْعُهودَ ، مَلامَةٌ؛ وَلا ذُمَّ – مِن ذاكَ الْحِفَاظِ – ذِمَامُ[1]

ثم مدح رئيس الوفد أبا الوليد :

لَعَمْرِي لَقَد أَحظَيْتَهُ بِوِفادَةٍ لأَسْنَى كَرِيمٍ ، أَنجَبَتْهُ كِرامُ [2]

إنَّ هذه الآبيات تدل على تأثير الشعراء بالسفارة بطريق مباشرة ، فكان ابن زيدون لا يرسل رأيا دون تفكر وتدبر ، وإذا تحدث أفصح عن نفسه ، وإنْ سكت كان ذا مهابة بين الناس [3] .

وبعد ذلك ذهب إلى إشبيلية إثر خلاف وقع بينه وبين ابن جهور ، فرحب المعتضد به وأحسن استقباله ، واستطاع ابن زيدون أن يشق طريقه في بلاط المعتضد فقال قصيدة يستهلها بقوله :

لِلحُبِّ في تِلكَ القِبابِ مُرادُ لَوْ ساعَفَ الكَلِفَ المَشُوقَ مُرَادُ

ثم أردف قائلاً :

إنِّي" رَأَيتُ المُنذِرَيْنِ" كِلَيهِما في كَوْنِ مُلْكٍ لَم يُحِلْهُ فَسادُ

وَأَتى بِيَ النُّعْمانُ يَومَ نَعيمِهِ نَجمٌ تَلَقّى سَعْدَهُ المِيلادُ

و قال أيضاً :

في آلِ عَبّادٍ حَطَطْتُ فَأَعصَمَتْ هِمَمي بِحَيثُ أَنافَتِ الأَطوادُ

أَهلُ المَنـاذِرَةِ الَّذينَ هُمُ الرُّبا فَوقَ المُلوكِ إِذِ المُلوكُ وِهادُ[4]

يشير الشاعـــر في هذه الأبيات إلى دولة المناذرة التي ينتمي إليها المعتضد ويقصد بقوله : " رأيت المنذرين " المنذر الأكبر والمنذر الأصغر ، وقوله : " أتي

---

[1] ديـوان ابن زيـدون ورسائله : ٣٣٥-٣٣٦ .
[2] المصدر السابق : ٣٣٧ .
[3] ينظر البيئة الأندلسية : ٢٦٥ .
[4] ديوان ابن زيدون : ٤٥٧ .

بي النعمان يوم نعيمه " [1] هذه إشارة إلى ما ظفر به ابن زيدون من نعم المعتضد وإكرامه وحفاوته ، ولما سمع المعتضد هذه القصيدة طرب واهتز لها كثيرا ، وزاد في إكرامه لابن زيدون ، فرفعه إلى مرتبة ذي الوزارتين ، وهو لقب يخص به الملك أفرادا معدودين يشاركونه في التدبير فضلا عن الشورى ، ثم جعله رئيسا لوزرائه وعهد إليه بالسفارة بينه وبين ملوك الطوائف ، ثم اتخذه كاتبا له ونديما يشاركه في مجالس لهوه وسمره [2] ، ويبيح له دخول حمـــام قصره ، ولا يكتفي المعتضد بذلك بل يبعث إليه بالطيب والبخور ، فيلهج الشاعر بالثناء على المعتضد فيقول :

رِضاكَ لَنا قَبلَ الطَّهُورِ مُطَهِّرُ وَقُربُكَ مِن دُونِ البَخورِ مُعَطِّرُ

فَلَو عَزَّ حَمّامٌ لأدفَأَنا ذَراً يَفِيضُ بِهِ ماءُ النَدى المُتَفَجِّرُ

وَلَو لَمْ يَكُن طيبٌ لأغنَتْ حَفاوَةٌ تُمَسَّكُ مِنْهَا حالُنا وَتُعَنبَرُ

فَلا فارَقَ الدُّنيا سَناءٌ مُقَدَّسٌ بِعَيْشِكَ فيها أَو ثَناءٌ مُجَمَّرُ

وَدُمْتَ مُلَقّىً كُلَّ يَومٍ صَبيحَةً يُغاديكَ فيها بِالفُتوحِ مُبَشِّرُ [3]

ويبيح له المعتضد مع سطوته وقوة شكيمته التنزه مع بعض نسائه في إحدى حدائقه [4] ، ويهدي إليه المعتضد ويستهديه ، ويرفع المعتمد من قدره فيناديه يا سيدي [5] .

ولقد كان الشعراء يصلون إلى كرسي الوزارة بقصيدة شعر ، كما حصل لابن جاخ [6] البطليوسي الذي عده الأستاذ الرافعي " من أعاجيب الدنيا ؛ لأنه كان أميا

---

[1] ملخص قصة النعمان ينظر ديوان ابن زيدون : ٢١-٢٢ .
[2] ديوان ابن زيدون : ٢٢
[3] المصدر السابق : ٢٢٤ .
[4] ينظر البيئة الأندلسية : ٤٢٠ .
[5] ديوان المعتمد: ٢٣٨ .
[6] ابن جاخ الصباغ البطليوسي : شاعر مشهور منتجع يقصد الملوك بالمدح ، ينظر بغية الملتمس : ١٥٩ .

وقد بلغ من حسن شعره أن ولاه المعتضد رياسة الدنيا إذ كانت له دارة مخصوصة بهم ، وديوان تقيد فيه أسماؤهم " [١]

فعندما دخل ابن جاخ على المعتضد في مجلسه أنشده شعرا أعجبه ، قال فيه :

ولربَّ خرقٍ قَدْ قَطَعْتُ نياطهُ والليلُ يرفلُ في ثيابِ حِدادِ

بشملّةٍحَرْفٍ كأنَّ ذميلها سُرُحُ الرياحِ وكلُّ برقٍ غاديٍ

والنجمُ يحدوهاوقَدْ ناديتها يا ناقتي : عُوجي على عَبَّادِ

ملكٌ إذا ما أُضرمتْ نارُ الوغى وتلاقتِ الأجْنادُ بالأجْنادِ

فترى الجسومَ بلا رؤوسٍ تنثني وترى الرؤوس لقىً بلا أجسادِ

يا أيُّها الملكُ المؤمَّلُ والذي قُدْمًا سما شرفاً على الأندادِ

إنَّ القريضَ لكاسدٌ في أرضنا وله هنا سوقٌ بغيرِ كسادِ

فجلبتُ من شعري إليك قوافياً يفنى الزمانُ وذكرها متمادي

من شاعرٍ لم يضطلعْ أدباً ولا خطَّتْ يداهُ صحيفةً بمداد [٢]

فقال له المعتضد : أنت ابن جاخ ؟ قال : نعم .

فقال : اجلس فقد وليتك رئاسة الشعراء ، وأحسن إليه ، ولم يأذن في الكلام في ذلك اليوم لأحد بعده [٣].

وأخذ الشعراء يقطعون الأندلس طولاً وعرضاً يقصدون قصور رجال الدولة لينالوا جزيل الصلات ، وتخلع عليهم أعظم الوظائف قدراً ، وأعلاها منزلة ، فكان الواحد منهم يرتجل المقطوعة القصيرة فيبلغ بها الوزارة [٤] .

---

[١] تاريخ آداب العرب – تأليف مصطفى صادق الرافعي – راجعه درويش الجويدي – المكتبة العصرية صيدا – بيروت – الطبعة الأولى – سنة ٢٠٠٠ ف : ٣:٢٨٠ .

[٢] نفح الطيب ٤:٢٤٤ .

[٣] المصدر السابق - الصفحة نفسها .

[٤] ينظر الشعر الأندلسي : ٤٦ .

وروى صاحب النفح : " ولما وصل المعتمد لورقة [1] استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع [2] ليلته تلك في وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ، ولم يبد فيه غير نجم ثاقب ، فوصل وما للأمن إلى فؤاده وصول ، وهو يتخيل أن الجو صوارم ونصول ، بعد أن وصى بما خلف ، وودع من تخلف ، فلما مثل بين يديه آنسه ، وأزال توجسه ، وقال له : خرجتُ من إشبيلية وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي ، وكففت فيه غَرْبَ دموعي ، بفتاة هي الشمس أو كالشمس أخالها لا يجول قلبها ولا خلخالها ، وقد قلت في يوم وداعها ، عند تفطر كبدي وانصداعها :

وَلَما التَقينا للوَداع غُدَيَّةً وَقَد خَفَقَتْ في ساحَة القَصر راياتُ

بَكَينا دَماً ، حَتّى كأنَّ عُيونَنا لِجرْي الدُّموع الحُمر مِنها ، جِرَاحاتُ[3]

وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي ، وأبرأتني من توجعي ، ومكنتني من رضابها ، وفتنتني بدلالها وخضابها فقلت :

أَباحَ لِطَيفي طَيفُها الكَرَى الخدَّ فَعَضَّ بِهِ تُفَّاحَةً وَاِجْتَنى وَرْدَا

وَلَو قَدَرَتْ زارَتْ عَلى حال يَقظَةٍ وَلَكِن حِجابُ البَينِ ما بَينَنا مُدّا

أَما وَجَدَتْ عَنّاالشؤونُ مُعَرَّجا وَلاوَجَدَتْ مِنّا خُطوبُ النَوى بُدّا

سَقى اللَهُ صَوْبَ القَطر أَمَّ عُبَيدَةَ كَما قَد سَقَتْ قَلبِي عَلى حَرِّه بَردا

هيَ الظَّبْيُ ، جيداً وَالغَزالَةُ مُقلَةً وَرَوضُ الرُّبى فواحا،وَغُصن الَّنقى قَدّا[4]

فكرر استجادته ، وأكثر استعادته ، فأمر له بخمسمائة دينار وولاه لورقة من حينه " [5]

---

[1] لورقة هي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وبها حصن ومعقل محكم – معجم البلدان ٥:٢٥ .
[2] أبا الحسن بن اليسع وفد على المعتمد وولاه مملكة مرسية ، ينظر المغرب ٢:٨٧ .
[3] ديوان المعتمد : ١٣٣ .
[4] المصدر السابق ، ١٣٧ .
[5] النفح ٤:٢٧٨- ٢٧٩ .

إنَّ هــذه الأشعــار تؤكد حقيقـة واحـدة هـي أنَّ السفــارة قـد عملـت علـى رقـى الشعراء السفراء [١] ، فهم أكثر الشعراء اهتماما بصـناعة شـعرهم ، واختيـار ألفـاظهم في المواقف الرسمية .

وكــان مـروان بـن عبـد الملـك بـن غصــن [٢] مستوليــاً علـى وزارة ابـن عبيـدة ولسانه ينشد :

وشيَّدتُ مجدي بين أهلي ولم أقلْ ألا ليت قومي يعلمون صنيعي [٣]

ثم قام بهجاء المأمون بن ذي النون فقال :

تلقبت بالمأمون ظلماً ، وأنَّني لآمنُ كلباً حيث لست مؤمِّنَهْ

حرامٌ عليهِ أن يجود ببشره وأما الندى فأندبْ هنالك مدفَنَهْ

سطور المخازي دون أبوابِ قصرهِ بِحجابِهِ للقاصدينَ مُعَنْونَهْ [٤]

فلما تمكن المأمون منه وسجنه ، كتب إلى ابن هود يستجديه بأبيات منها :

أيا راكبَ الوجْناء بلِّغ تحيّةً أميرَ جُذامٍ من أسيرٍ مُقيَّدِ

ولمَّا دهتني الحادثاتُ ولم أجدْ لها وزراً أقبلْتُ نحوك أغتدي [٥]

ثم أردف قائلا :

وها أنا في بطن الثرى وهو حاملٌ فيَسِّرْ على رُقْبي الشفاعة مولدي

حنانيك ألفاً بعد ألفٍ فإنّني جعلتك بعد الله أعظم مقصدي

فرق له ابن هود ، وتحيل حتى خلصه بشفاعته ، فلما قدم عليه أنشده :

حياتي موهوبةٌ من عُلاكا وَكيف أرى عادلاً عن ذراكا [٦]

---

[١] ينظر البيئة الأندلسية : ٢٦٨ .

[٢] أبو مروان بن غصن الحجاري واسمه عبد الملك بن غصن الخشني من أهل وادي الحجارة كان فقيها أديبا شاعرا توفى بغرناطه سنة ٤٥٤ ، ينظر الذخيرة ٣: ١:١٣١ ، والمغرب ٢:٣٣ .

[٣] النفح ٣:٣٦٣ .

[٤] المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

[٥] المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

[٦] المصدر السابق ، ٣ : ٣٦٤ .

ولو لم يكنْ لك من نعمةٍ عليَّ وأصبحتُ أبغي سواكا

لناديتُ في الأرض هل مُسعفٌ مجيبٌ فلم يُصْغ إلا نَداكا[1]

" فطرب ابن هود ، وخلع عليه ثوب وزارته ، وجعله من أعلام سلطنته وإمارته " [2]

ولقد كثر الوزراء في القرن الخامس كثرة لم تكن فيما قبله ، ولم تعهد فيما بعده فكان الأمراء لا يستوزرون إلا من كان أديباً يجيد الشعر ، كما جاء في قول أبي عبد الله محمد بن عبادة الوشاح [3] في المعتصم بن صمادح :

ولو لم أكن عبداً لآل صمادحٍ وفي أرضهم أصْلي وعيشي ومَولدي

لما كان لي إلا إليهمْ تَرَحُّلٌ وفي ظِلِّهم أُمسي وأُضحي وأغتدي

" فأرتاح المعتصم ، وقال : يا ابن عبادة ، ما أنصفناك بل أنت الحر لا العبد فاشرح لنا أملك ، فقال : أنا عبدكم كما قال ابن نباته :

لم يُبقِ جودُكَ لي شيئاً أؤمِّلُهُ تَركتني أصحبُ الدنيا بلا أملِ[4]

فالتفت إلى ابنه الواثق يحيى ولي عهده ، وقال : إذا اصطنعتَ الرجال فمثل هذا فاصطنع ، ضمه إليك وافعل معه ما تقتضيه وصيتي به ، ونبهني إليه كل وقت فأقام نديماً لولي العهد المذكور " [5]

وإلى جانب توليهم المناصب ، كان الأمراء يرسلون شعراءهم في مهمات سياسية بين ملوك الطوائف ، فقد أرسل المعتصم بن صمادح الوزير الشاعر أبا الأصبغ بن أرقم رسولاً إلى المعتمد بن عباد ، وكان معه الوزير أبو عبيدة البكري

---

[1] النفح ٣: ٣٦٤ .

[2] المصدر السابق ٣:٣٦٤ .

[3] عبادة بن عبد الله بن ماء السماء من فحول شعراء الأندلس متقدم فيهم مع علمه وله كتاب في أخبار شعراء الأندلس ذكره أبو محمد علي بن أحمد أنه كان حياً سنة ٤٢١ هـ ، ينظر البغية : ٣٤٧ ، والجذوة : ٢٧٤ .

[4] النفح ٣:٤١٢ .

[5] المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

والقاضي أبو بكر بن صاحب الأحباس ، فلما دنا من حضرة المعتمد واقترب ، وبات منها على قرب ، معتقدا حلولها فجر الغد ، فأرسل إلى المعتمد بيتين من الشعر هما :

يا ملكاً عظَّمْتهُ العُرْبُ والعَجَمُ وواحدا وهو في أثوابهِ أممُ

إنَّا وَرَدْناك و الأقطارُ مُظْلمةٌ والبدْرُ يُرجَى إذا ما التحتِ الظُّلمُ[1]

فكتب إليه المعتمد يقول :

أَهلاً بِكُم صَحِبَتْكُمُ نَحوي الدِّيَمُ وَحانَ أَن يَتَسَنَّى لي بِكُم حُلُمُ

حُثّوا المَطيَّ وَلَوْ لَيلاً بمجهلةٍ فَلَن تَضِلُّوا وَمن بِشري لَكُم عَلَمُ

لأَنْتُم القَومُ إِنْ خطُّوا،يُجِد قَلَمٌ وَإِن يَقولوا يُصِبْ فصل الخِطاب فَمُ

أَقْدِم أَبا الأَصْبغ المَحبوبَ تلقَ فَتىً هَشَّ المَوَدَّةِ لا يُزري بِهِ سأمُ

هَذا فُؤادي قَد طارَ السُرورُ بِهِ إِن كُنتَ تَثْقُلْكَ الوَخّادَةُ الرُّسُمُ

سأكتُم اللَّيْلَ ماأَشكوهُ مِن بُعْدٍ وَأسألُ الصُّبحَ عَنكُمْ حِينَ يَبتَسمُ [2]

لقد أكدت هذه الأبيات الدور الذي يلعبه الشعر في المخاطبات الرسمية ؛ لأنه يعطي المفاوضات مزيداً من الدعم والقوة ، فقول بيت من الشعر في لحظة إلهام سعيدة قد يحطم قيود أسير ، أو ينقذ محكوما عليه بالإعدام من الموت ، أو يعطي إشارة البدء في أشد المعارك ، وأغزرها دماً أو لدفع خطر العدو عنهم [3] .

ومن بين مهمات الشعراء مهمة ابن عمار عندما أرسله المعتمد بن عباد ليدفع خطر الأذفونش [4] عن أرض اشبيلية ، فقد استطاع صرفه بألطف حيلة وأيسر تدبير " فقد صنع سفرة شطرنج في غاية الإتقان ، فبلغ خبرها الأذفونش ، فلما خرج

---

[1] ديوان المعتمد : ٢٥٩ .

[2] المصدر السابق ٢٦٠

[3] ينظر الشعر العربي في إسبانيا وصقلية ، تأليف فون شاك – ترجمة : الطاهر أحمد مكي ، دار الفكر العربي القاهرة سنة ١٩٩٩ م ، ١:٥٩ – ٦٠ .

[4] الأذفونش (ألفونسو السادس) . تاريخ الفكر الأندلسي : ٩١ .

للقائه سأله عنها فقال : أتيك بها على أن ألعب معك عليها فإن غلبتني فهي لك ، وإن غلبتك فلي حكمي ، وغلب الأذفونش فطلب إليه ابن عمار أن يرجع فلم يسعه إلا الارتداد " [1] .

وبفضل هذه المناصب تهيأت لشعراء الطوائف أسباب الشعر ، وتوافرت لديهم دواعيه ، فطبعوا على الشغف به ، وانبسطت ألسنتهم بقوله ، فقل أن تجد منهم من ألم بطرف من الأدب ، ولم يقل الشعر.

وكان لا يشغل مثل هذه المناصب إلا الفقهاء والعلماء والشعراء [2] ومن أبرز الوزراء في عهد ملوك الطوائف ، لا على سبيل الحصر ذو الوزارتين ابن زيدون وذو الوزارتين القائد أبو الحسن بن اليسع ، وذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين ، والوزير ابن عمار ، وابن عبدون ، والفقيه أبو حفص بن الحسن الهوزني والقاضي أبو الوليد الباجي ، وأبو عامر بن مسلمة ، وأبو الوليد عبد العزيز المعلم وعبد العزيز بن سعيد البطليوسي ، وأبو بكر بن قزمان ، وزيد بن عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني ، وابن الحداد ، وأبو بكر بن القوطية ، وابن شهيد ، وغيرهم [3] وهؤلاء جميعاً لهم مكانة شعرية مرموقة ، وهذه الإجادة في صناعة الشعر هي التي مكنتهم من الارتقاء في مناصب الدولة .

---

[1] تاريخ الفكر الأندلسي : ٩١ .
[2] في الأدب الأندلسي ، جودت الركابي – دار المعارف بمصر الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦ م : ٥٣ .
[3] ينظر الذخيرة : ١: ٢: ١٩١ ، ٣٣٦ ، ٦٩١ ، ٢ : ٢ : ١١٢ ، ٨١ ، ٣٦٨ ، ٢٣٢ ، ٢١٥ ، ٦٤٠ ، ٧٥٣ ، ٧٧٤ ٧٨٦ .

المبحث الثالث :
الدعـوة إلى البـديهـة والارتجـال

إنَّ لفظ الارتجـــال مأخوذ من الانصبـــاب والسهولة ، فالشعر لا يسمى ارتجالاً إلا إذا كان انهماراً أو تدفقاً ، فهذه سنة العرب في جاهليتهم ، فقد كان ذلك نوعا من كلامهم متى بعث أَحدهم عليه انبعث ، و من أسباب الارتجال الطبيعية ترجع إلى حملة النفس وما تجده من لذة المغالبة والمدافعة ، وخصوصاً في شعر العواطف كالغزل ، والرثاء ، والاستغاثة ، والتحريض ، وما إليها .

ومن أجل ذلك ابتدأ الشعر عند العرب بالبيتين ، ولا يكاد الرجل يجد سبب الأبيات حتى ينتزعها من نفسه ، وينبعث بها طبعه ثم فعلت الوراثة في ذلك فعلها فعظم الشعر وصار في الارتجال شيءٌ من الصنعة يكفي له تقليب العين ، وخطرة الوهم ، فيجيء الشاعر بالقصيدة فيها بديع التشبيه ، وبارع الاستعارة ، وكرم الديباجة وحسن الرونق ، وعند مجيء الإسلام ضعف شأن الارتجال إلا في بعض الموازنات ثم رجع إلى التطور والظهور عند شعراء بني أمية ، والشعراء العباسيين أيضاً ثم انتقل الارتجال والبديهة عن طريق عبد الرحمن الناصر الداخل من أمراء الدولة الأموية إلى الأندلس [١] .

الفرق بين البديهة والارتجال :

لقد فرق ابن بسام بينهما فقال : " وقد فرق حذاق النظر بين البديهة والارتجال فجعلوا الارتجال ما كان على طريق الانهمار والتدفق لا يتوقف فيه قائله " [٢] وقال ابن رشيق القيرواني مفرقاً بين الاثنين :" البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة في بلدنا أو من أهل عصرنا هي الارتجال ، وليست به ؛ لأن البديهة فيها الفكرة و التأيد ، والارتجال ما كان انهمارا وتدفقا لا يتوقف فيه قائله " [٣]

---

[١] ينظر تاريخ آداب العرب ٣ : ٣٩ – ٤٢ .
[٢] الذخيرة ٤: ١: ٣٦ .
[٣] العمدة : ١:٣١٧ .

وأما في كتب اللغة فالبديهة هي " أن تستقبل الإنسان بأمر مفاجأة " [١] والارتجال هو " ما ارتجلت أي اركب ما ركبت من الأمور ، وارتجال الخطبة والشعر ابتداؤه من غير تهيئة ، وارتجل الكلام ارتجالا إذا اقتضبه اقتضاباً ، وتكلم به من غير أن يهيئه من قبل " [٢] ، والهدف من البديهة والارتجال هو إظهار المقدرة على ارتجال الشعر أو تحدي المخاطب أو اختباره [٣] .

وكان لرجال الدولة دورهم البارز في توجيه الشعراء نحو البديهة والارتجال من خلال مجالسهم سواء كان بطريق مباشر أو غير مباشر ، وقد توصل البديهة صاحبها أعلى المراتب ، كما حدث مع اعتماد الملقبة بالرميكية زوجة المعتمد وقيل أن سبب معرفته بها أنه ركب النهر ومعه ابن عمار وزيره ، وقد زردت الريح بسطح النهر ، فقال لابن عمار أجز :

" صَنَعَ الريحُ من الماءِ زَرَد " [٤]

فأطال ابن عمار الفكرة ، فقالت فتاة من الغسالات :

" أَيُّ درعٍ لقتالٍ لو جمدْ "

فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به ، مع عجز ابن عمار ، ونظر إليها فإذا هي صورة حسنة فأعجبته فسألها : أأنت متزوجة ؟ فقالت : لا ، فتزوجها ، وولدت له أولاده الملوك النجباء [٥] .

---

[١] لسان العرب لابن منظور ٣:٤٧٥ .
[٢] المصدر السابق ١٣ : ٢٨٨
[٣] ينظر مجلة دراسات أندلسية – العدد الرابع والعشرين سنة ٢٠٠٠ – طبع بالمطبعة المغاربية للطباعة والنشر – تونس :١٨ .
[٤] الزرد حلق المغفر والدرع أي تداخل الدرع بعضها في بعض بالتحريك ، لسان العرب ٣:١٩٤ .
[٥] ينظر النفح ٤:٢١١ .

أولاً : الدعوة إلى البديهة والارتجال بطريق خفي :

١- في رحلات النزهة والصيد :

كانت الطبيعة الجميلة التي حبا الله بها الأندلس مدعاة للخروج والتنزه على ضفاف الأنهار ، وفي رحاب الحدائق والمنتزهات ، وكانت تعقد بهذه المتنزهات مجالس أدبية بطلب من رجال الدولة ؛ لتقييم الشعراء ، والتعرف على مواهبهم الفذة .

روى صاحب النفح أن المعتمد ركب في حشد من الشعراء لنزهة بظاهر إشبيلية وتسابق معهم فجاء فرسه بين البساتين ، فرأى شجرة قد أينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت ، فسدد إليها عصا كانت في يده فأصابها وثبت في أعلاها فأطربه ذلك لما رأى من حسنها و ثباتها ، وألتفت ليخبر به من لحقه من أصحابه فرأى ابن جاخ الصباغ [١] أول من لحق به فقال له أجز :

كأنَّها فوقَ العصا

فقال ابن جاخ : هامةُ زنجيٍّ عصا

فزاد طرب المعتمد وسروره بحسن ارتجاله ، وأمر له بجائزة سنية [٢] وكان المعتمد يعطي الشعراء الجوائز السنية مكافأة وتقديراً للأذهان الحاضرة والمواهب المتحفزة منهم [٣] .

وكان للمتوكل ابن الأفطس فرس أدهم أغر محجل على كفله ست نقط بيض فندب المتوكل الشعراء لوصفه ، فصنع أبو الوليد النحلي شعراً حيث قال :

ركب البدْرُ جواداً سابحاً تقفُ الريحُ لأدنى مَهْلِةْ

لَبِسَ الليل قميصاً سابغاً والثُّريَّا نُقَطٌ في كَفْلِهْ

---

[١] ابن جاخ الصباغ تمت الترجمة له : ٨٨.
[٢] نفح الطيب ٣:٦٠٨ .
[٣] ينظر دراسات أدبية في الشعر الأندلسي – إسماعيل شلبي – دار النهضة للطباعة والنشر مصر : ٢٩ .

وغديرُ الصبحِ قد خيض به فبدا تحجيلُهُ من بللهْ

كلُّ مطلوبٍ وإن طالتْ به رجله من أجْلِهِ في أجَلِهْ [1] .

ثم صنع ابن اللبانة أبياتاً تصف الفرس بأنه أدهم اللون مثل الظلام مع بياض في قوائمه حيث قال :

لِلّه طَرْفٌ جال ياابنَ محمد فحبتْ به حوباؤه التأميلا [2]

لما رأى أنَّ الظلام أديمهُ أهدى لأربعه الهدى تحجيلا

وكأنما في الردف منه مباسمٌ تبغي هناك لرجله تقبيلا [3]

ومن هذا النوع ورد العديد من القصائد الشعرية التي لها وجود في كتب الأدب .

٢- في مجالس الأنس والطرب :

كانت تضم هذه المجالس ، في الغالب الأصدقاء من الأمراء والشعراء ويتنافس فيها الحاضرون على وصف شيء ما ، أو الزيادة على بيت شعري بناء على طلب الأمير ، فقد كانت إشبيلية المدينة الأولى للغناء والطرب والرقص وملتقى الشعراء وكل راغب في حياة المتعة واللذة [4]

" ومن نوادر الآفاق الحلوة المساق الغريبة الاتفاق خبر أبي الوليد النحلي مع المعتمد بن عباد ، وذلك أنه مشت بين يديه يوما بعض نسائه ، في غلالة لا تكاد تفرق بينها وبين جسمها ، ولها ذوائب تخفي إيَاةُ الشمس في مدلهمها ، فسكب عليها إناء ماء ورد فامتزج الكلُّ لينا واسترسالا ، وتشابه طيباً وجمالاً ، فأدركت المعتمد أريحية الطرب ومالت بعطفيه راح الأدب " [5] فقال :

---

[1] نفح الطيب ٣:٣٣٣ .
[2] الحوباء : النفس – لسان العرب ٣:٣٧٦ .
[3] نفح الطيب ٣ : ٣٣٣
[4] ينظر في ربوع الأندلس تأليف : عيسى الناعوري ، الدار العربية للكتاب - ليبيا – تونس سنة ١٩٧٨ م : ٧٣ .
[5] الذخيرة ٢:٢:٨١٠ .

عُلِّقتُ جائِلَةَ الوِشاحِ غَريرَةً تَختالُ بَينَ أَسِنَّةٍ وَبَواتِرِ [1] .

" ثم تعذر عليه المقال أو شغلته تلك الحال ، فقال : لبعض الخدم القائمين على رأسه : سر إلى النحلي وخذه بإجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه ، فأضاف النحلي إليه لأول وقوع الرقعة بين يديه هذه الأبيات :

راقَتْ مَحاسِنُها وَرَقَّ أَدِيمُها فتكادُ تبصرُ باطِناً مِن ظاهِرِ

وَتَمايَلَتْ كَالغُصنِ في دعص النقِا تلتفُّ في وَرَقِ الشَباب الناضِرِ [2]

يَندى بِماءِ الوَرد مُسْبَلُ شعرِها كَالطلِّ يَسقُط مِن جَناحِ الطائِرِ

تُزهى بِرَونَقِها وعز جمالها زَهوَ المُؤيَّدِ بالثَناءِ العاطِرِ

مَلِكٌ تَضاءَلَتِ المُلوكِ لِقدره وَعَنا لَهُ صَرفُ الزَمانِ الجائِرِ

وإذا لَمَحتَ جَبينَهُ وَيَمِينَهُ أَبصَرتَ بَدراً فَوقَ بِحرٍ زاخِرِ

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له : أحسنت ، أو معنا كنت ؟ فأجابه النحلي بكلام معناه : يا قاتل المحل [3] أو ما تلوت : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [4] " [5]

إن هذه الأبيات تدل على بلاغة الشاعر وحسن تصويره للمواقف ، وقدرته الفائقة على ارتجال الشعر في أي موضوع ، فمن السهل على الشاعر أن يكمل أفكاره هو ، ولكن الصعوبة تكمن في تكميل أفكار غيره بما يلائمها من معان وألفاظ مناسبة [6] .

---

[1] ديوان المعتمد : ١١٤ ، وردت في الذخيرة " و هويت سالبة النفوس " ٢:٢: ٨١٠ .
[2] دعص : قورٌ من الرمال مجتمع ، لسان العرب ٣٥:٧ .
[3] المَحْل : الجوع ، انقطاع المطر ويبس الأرض ، المعجم الوسيط ٢ : ٨٥٦ .
[4] سورة النحل ، الآية : ٦٧ .
[5] الذخيرة ٢:٢: ٨١٠ – ٨١١ .
[6] ينظر دراسات أدبية في الشعر الأندلسي : ٣٣ .

جلس المعتصم بن صمادح يوماً في مجلسه ، وعُرضتْ عليه جارية اسمها غاية المنى [1] ، وكانت قينة مغنية ، وتجيد نظم الشعر ، فلما مثلت بين يديه قال لها : ما اسمك ؟

قالت : غاية ، فقال لها : أجيزي :

" سل هوى غايةِ المُنى "

فقالت بديهةً : " مَنْ كسا جسمي الضنى

وَأراني متيماً سيقولُ الهَوى أنا [2]

وروي في البغية أنّ ابن جاخ [3] قصد فخر الدولة أبا عمرو بن عباد بن محمد بن عبـاد [4] فلما وصل إليه ودخل عليه قال له : أجز :

إذا مررت بركب العيس حييها

قال ابن جاخ في الحال : يا ناقتي فعسى أحبابنا فيها

ثم زاد فقال :

يا ناقِ عوجي على الأطلال علَّ بها منهم غريب يراني كيف أبكيها

أو " كيف " أرفض طيب العيش بعدهم أو كيف أسبل دمعي في مغانيها

وإني لأكتم أشواقي وأسترها جهدي ولكن دمع العين يبديها [5]

---

[1] غاية المنى : هي جارية أندلسية متأدبة ، ينظر النفح ٤:٢٨٦ .
[2] النفح ٤: ٢٨٦ ـ٢٨٧ .
[3] ابن جاخ تمت ترجمته : ٨٨ .
[4] تمت الترجمة له : ٢٢ .
[5] البغية :٤٦٨ .

ومن طريق خفي يأتي تأثير الخمرة واحتسائها على الشعراء ، وهو سلوك اجتماعي مشين شاع في عهد ملوك وأمراء الطوائف ، فقال ابن طوفان [١] : " دعا أبي أبا الوليد النحلي ، فلما قضوا وطرهم من الطعام سقيتهم ، وجعلت أترع الكاسات فلما مشت في النحلي سورة الحميا أرتجل :

لابن طوفانٍ أيـاد قَلَّ فيها مُشْبهوهُ

ملأ الكاسـاتِ حتى قيل في البيتِ أبوهُ " [٢]

قال ابن بسام : حضر ابن عمار وأبو بكر بن الأشبيلي [٣] مجلس أنس بقصر الرشيد بن المعتمد [٤] ، فلما دارت الكأس ، وتمكن منهم الأنس ، وغنى أبو بكر الأشبيلي أصواتاً ، وذهب به الطرب كلَّ مذهب ، فقال ابن عمار ارتجالا :

ما ضرَّ أن قيل إسحاق وَمَوْصِلهُ ها أنت أنت وذي حمصٌ وإسحاقُ[٥]

أنت الرشيد وَدَعْ من قد سمعت به وإن تشابه أخلاقٌ وأعراقُ

لله درَّكَ دارِكهْا مشعشعةً واحفزْ بساقيك ما قامتْ بنا ساق [٦]

ولقد كثر شعر الخمر في هذه المجالس ، فأخذ الشعراء يصفون حبابها ويتحدثون عن مزاجها وعناقها ويصفون كأسها وأباريقها [٧] ، كما جاء ذلك في قول

---

[١] ابن طوفان – لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم ما عدا ما ورد عن ذكره في النفح ٣:٣٣١

[٢] النفح ٣ :٣٣١ – ٣٣٢ .

[٣] أبو بكر الأشبيلي : هو مغنٍ عاصر الرشيد بن المعتمد ، ولم اعثر له على ترجمة في كتب التراجم ، ينظر الذخيرة ٢ : ١ : ٣٨٥ .

[٤] الرشيد بن المعتمد أكبر أولاده توفى سنة ٥٣٠ هـ في المغرب في قلعة مهدي ، ينظر الحلة السيراء ٢:٦٨ والخريدة ٢ :٤٧ .

[٥] إسحاق الوصلي : هو أبو محمد إسحاق إبراهيم بن ماهان - ويقال له أيضا: ميمون - بن بهمن بن نسك التميمي بالولاء، الأرجاني، المعروف بالنديم ، الموصلي: ولم يكن من الموصل، وإنما سافر إليها وأقام بها مدة فنسب إليها، هكذا ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني.وهو من بيت كبير في العجم. وانتقل والده ماهان إلى الكوفة وأقام بها. وأول خليفة سمعه المهدي بن المنصور، ولم يكن في زمانه مثله في الغناء واختراع الألحان وكان إذا غنى إبراهيم ، وضرب له منصور المعروف بزلزل، اهتزلهما المجلس ، وفيات الأعيان ١ : ٢٠٢ – ٢٠٤ .

[٦] الذخيرة ٢:١ :٣٨٥ .

[٧] ينظر البيئة الأندلسية : ٩٧ .

أبي جعفر بن سعـدون في رسالته لذي الرياستين [1] :

فديناك لا يسطيعك النظم والنثر فأنت مليك الأرض وانفصل الأمرُ

وقد جلبت ساعاتنا لهو يومنا وساعد سعدٌ منه لو ساعدَ السكرُ

وفضلك للجود المتمم ضامنٌ فمن عندهِ خمرٌ ومن عندنا شكرُ

فأجابه ذو الرياستين :

رغبتْم وأرغبناكمُ وهي الخمرُ فما لم يكن سُكران فليكن السُّكرُ

إليكم فاني في الوغى والندى فتىً هوالبحرُ إنْ أعطى وإنْ صال فالدهرُ [2]

ثم أردف قائلاً :

فَلا نقل إلاَّ ما تقول بديهةً ولا خمرَ ما لم تأتِ مِن فمك الخمرُ [3]

إن هذه النصوص تؤكد تأثير الخمرة على ارتجال الشعر في عهد ملوك الطوائف .

٣- مجالس الحكام وكبار الدولة :

أسهمت هذه المجالس أيضاً في تشجيع الشعراء ، والترغيب في نظم الشعر وكان الشعراء يتسابقون إلى التجويد في نتاجهم في هذه المجالس ، وخصوصاً ما جاء منها بديهة وارتجالا ؛ لكي ينالوا رضا الأمير وعطاياه ، فقد كان المعتمد مغرما بإنشاد اشطار من الشعر ومطالبة جلسائه بإجازتها ، وكأنه يريد أن يختبر مقدرتهم على نظم الشعر .

وقال عبد الجبار بن حمديس [4] : " أقمتُ بإشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت إلي ولا يعبأ بي ، حتى قنطت لخيبتي مع فرط تعبي ، وهممت بالنكوص على عقبي ، فإني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي إذ بغلام معه شمعة

---

[1] ذو الرياستين هو أبو مروان عبد الملك بن رزين الملقب بحسام الدولة ، الذخيرة ٣ : ١ : ١٠٩ .
[2] الذخيرة ٣ : ١ : ١٢٠ – ١٢١ .
[3] المصدر السابق : ٣ :١ : ١٢٣ .
[4] ابن حمديس : هو أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي أحد الوافدين على المعتمد ، توفى سنة ٥٢٧ هـ الذخيرة م٤:١ -٤٢٠ .

ومركوب فقال لي : أجب السلطان ، فركبتُ من فوري ودخلت عليه ، فأجلسني على مرتبة فنك [1] ، وقال لي : افتح الطاق التي تليك ففتحتها فإذا بكور زجاج على بعد ، والنار تلوح من بابيه ، وواقدة تفتحها تارة وتسدها أخرى ، ثم دام سد أحدهما وفتح الأخرى وحين تأملتهما قال لي : أجز :

أنظرهما في الظلام قد نجَما

فقلت : كَما رَنا في الدُّجُنَّةِ الأَسَدُ

قال: يفتح عينيهِ ثمَّ يُطبقهُما

فقلت : فِعلُ اِمري في جُفونِهِ رَمَدُ

قال : فابتزَّهُ الدهرُ نورَ واحدةٍ

فقلت : وَهَل نَجا مِن صُروفِهِ أَحَدُ

فاستحسن ذلك وأمر لي بجائزة سنية ، وألزمني خدمته " [٢] لقد اختبر المعتمد مقدرة ابن حمديس على إجادة الشعر قبل أن يلحقه بشعراء بلاطه .

وركب المعتمد في بعض الأيام قاصداً الجامع ، وابن عمار يسايره ، فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد :

هذا المؤذّنُ قد بدا بأذانِهِ

قال ابن عمار : يرجو بذاك العفو من رحمانِهِ

قال المعتمد : طوبى له من شاهدٍ بحقيقةٍ

قال ابن عمار : إن كان عَقْدُ ضميره كلسانِهِ[٣]

---

[١] فنك : جلد يلبس أي مرتبة من الجلد – لسان العرب ١٠:٤٨٠ .

[٢] النفح ٣:٦١٦ -٦١٧ ، وتاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات -دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة : ٣٣٥ .

[٣] المصدر السابق – الصفحة نفسها ، ديوان المعتمد : ٢٤١.

وذكر الوزير ابن اللبانة الداني في كتابه : " سقط الدرر ولقيط الزهر " أنَّ المعتمد بن عباد صنع قسيماً في القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي [1] وهو :

سعد السعودِ بيتهُ فوق الزاهي

ثم استجاز الحاضرين فعجزوا ، فصنع ولده عبد الله الرشيد :

وكلاهُما في حُسْنِهِ مُتناهي

ومن أغْتَدى سكناً لمثل محمدٍ قد جلَّ في العليا عن الأشباه

لا زال يبلغُ فيهما ما شاءه ودهت عداه من الخطوبِ دواهي [2]

ثانياً : الدعوة إلى البديهة والارتجال بشكل بيِّن :

1: في مجالس الأنس :

لقد كثر هذا النوع من الأشعار وشاع ذكره بين الشعراء ، وهو ناجم عن شيوع هذا اللون الشعري في الوسط الأدبي ، ويعود أولاً بطبيعة الحال إلى تطور حركة الشعر في عهد ملوك الطوائف ، وترغيب الشعراء في الشعر من كل جانب روية ً وبديهة ً ، وارتجالاً .

ويؤكد هذا الكلام قول المتوكل بن الأفطس : كان إذا خلا إلى نفسه ونظم شيئاً من الشعر أو قال شيئا وأراد أن يتطارحه مع نديم ، استدعى ابن عبدون ، فصنع مرة شطر بيت هو " الشعر خطة خسف " فتعذر عليه المقال ، فاستدعى ابن عبدون لكي يجيز له البيت ، فقال ابن عبدون :

الشِعرُ خُطَّةُ خَسْفِ لِكُلِّ طالِبِ عُرْفِ

---

[1] " الثريا وسعد السعود والزاهي الذي ذكر في الشعر أسماء قباب ومصانع سلطانية كان تأنق في بنيانها المعتمد ابن عباد ، وهي مِنْ قصور إشبيلية " الذخيرة ٢:١:٧٦ .

[2] النفح ٣:٦١٢ .

لِلشَيخِ عَيْبَـةُ عيبٍ وَلِلفَتى ظَرْفُ ظَرْفِ [1]

هـذا دليل على أنَّ الأمراء كانــوا يشجعون الشعراء على الارتجال بشكل واضـح من خلال ارتجالهم للشعر في حضور الشعراء .

وذكر ابن بسام أنَّ المعتمد بن عباد غُنَّي بين يديه بقول ابن المعتز [2] :

وخمارة من بنات المجوس ترى الزقَّ في بيتها شائلا

وَزَنّا لها ذهباً جامداً فكالتْ لنـا ذهباً سائلا

فقال المعتمد بديهاً يجيزه :

وَقُلتُ خُذي جَوهَراً ثابِتاً فَقالَت خُذوا عَرَضاً زائِلاً [3]

وكان رجال الدولة في بعض الأحيان يقيمون مجالس للغنـاء للترويح عن أنفسـهم وبحضور شعرائهم ، كالمجلس الذي أعده المعتصم بن صمادح ، اجتمع فيه أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء ، فجلس المعتصم وبين يديه ساقية ماء يلتوي في نواحيها التواء فضة السوار فقال ارتجالا :

انظرْ إلى حُسنِ هذا الماء في صَبَبِهِ كأنَّه أرقمٌ قد جدَّ في هربه [4]

ثم أمر مغنيا بالغناء من قول النابغة :

فَلَمّا دَنَونا لِجَرسِ النُّبوحِ وَلا نُبصِرُ الحَيَّ إلاَّ التِماسا

أَضاءَتْ لَنا النارُ وَجهاً أَغَرَّ ومُلتَبِساً بالفؤادِ التِباسا [5]

فاستطــاب المعتصم واستحسنــه ، وجعله أبــدع ما للنابغة وأحسنه ، ثم أمــر

---

[1] النفح ٣:٦٠٩ .

[2] ابن المعتز هو عبد الله بن المعتز العباسي ولد سنة ٢٤٧ ، وتوفى سنة ٢٩٦ ، ينظر معجم الشعراء العباسيين إعداد عفيف عبد الرحمن جروس – دار صادر بيروت – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠ ف : ٥٢٢ ، وينظر موسوعة شعراء العرب ٢: ٤٨٤ ، وديوانه : ١٥ .

[3] ديوان المعتمد بن عباد : ١٢٢ ، و النفح ٣:٦١٥-٦١٦ .

[4] الذخيرة ١: ٢ :٧٣٦ .

[5] ديوان النابغة الجعدي ، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق – الطبعة الأولى ١٩٦٤ م : ٨٠ .

ابن الحداد [1] بمعارضته فقال على البديهة :

إذا ما التَمَسْتَ الغِنَى بابنِ مَعْنٍ ظَفِرْتَ وَأَحْمَدْتَ منه التماسَا

وَمَنْ يَرْجُ شَمْسَ العُلَى من نَجِيبٍ فليس يَرَى مَنْ رَجَاهُ شِمَاسَا [2]

إن هذه الإجازات دليل على شيوع الشعر وقدرة شعراء الأندلس عليه في عصر ملوك الطوائف ، والفضل في هذا الانتشار راجع إلى اهتمام رجال الدولة بالشعر حتى أصبح أفراد الأسرة الواحدة يشتركون في الإجازة ، فهذا أبو بكر ابن منجل [3] وابنه يقدمان هجاء هما لبني الملاح فقالا :

أبو بكر : تَتُقٌّ ضفادع الوادي

ولده : بصوتٍ غير مُعتادِ

أبو بكر : كأنَّ نقيق مِقْولها

ولده : بنو الملاح في النادي

أبو بكر : وتصمتْ مثل صمتهُم

ولده : إذا اجتمعوا على زادِ

أبو بكر : فلا غَوثٌ لملهوف

ولده : ولا غَيْثٌ لمرتادِ

قال أبو بكر لولده : أحسنت والله ما منها قسيم إلا وقد أجزته بما وقع عليه خاطري [4] .

---

[1] ابن الحداد تمت الترجمة له : ١٠.

[2] قلائد العقيان : ٥٥ .

[3] أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن منجل الشلبي ، شاعر أندلسي من أهل شلب ، كان بينه وابن الملاح مباعدة ، ونشأ ابنهما على ذلك ، فعتب ابن المنجل ولده على شتمة ولد ابن الملاح ، فأنشده هجاءً فيه لولد ابن الملاح ، وكانا على وادي تنق ضفادعه ، توفي في حدود سنة ٥٦٠ هـ ، ينظر المغرب ١:٣٨٧ والأعلام ٥:٢٩٦

[4] النفح ٣:٥٢٠ ــ ٥٢١ .

وروى صاحب النفح نقلا عن ابن ظافر [١] : أن الوزير ابن عمار مر على ابن جاخ الصباغ في حانوته وهو آخذ في صباغته ، والنيل قد جَرَّ على يديه ذيلاً ، وأعاد نهارهما ليلاً ، فأراد أن يعلم سرعة خاطره ، فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء وأشار إلى يده وقال :

كم بين زَنْدٍ وزَنْدِ ؟

فقال ابن جاخ : ما بينَ وَصْلٍ وَصَدِّ

فتعجب من حسن ارتجاله ، ومبادرة العمل واستعجاله [٢] .

ثم دخل على يحيى القصاب السرقسطي [٣] ، ولحم الخرفان بين يديه ، فأشار ابن عمار إلى اللحم وقال :

لحم سِباطِ الخرفانِ مهزولُ

قال الجزار : يقول يا مشترين مه زولوا [٤]

ويتضح من خلال النصوص السابقة أن الشعراء عندما يجيزون يجدون صعوبة ومعاناة أكثر من الذين يرتجلون الشعر ؛ لأن من السهل على الإنسان أن يكمل أفكاره ، أما أن يكلف تكميل فكرة غيره فهذا أمر لا يخلو من الصعوبات [٥] .

٢: في مجالس الحكام وكبار رجال الدولة :

كان رجال الدولة يدعون الشعراء إلى مجالس حكمهم ؛ لكي يرتجلوا الشعر في حضورهم ، فمن كانت لديه القريحة والموهبة الفذة كان الحائز على رضا الأمير وعطائه .

---

[١] ابن ظافر الأزدي صاحب كتاب بدائع البدائة ، ينظر البدائع ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية صيدا بيروت سنة ١٩٩٢ .

[٢] ينظر النفح ٣:٦٠٨ .

[٣] يحيى الجزار السرقسطي ، كان في دكان لبيع اللحم ، فتعلقت نفسه بقول الشعر وله أمداح في الملوك من بني هود ووزرائهم ، ينظر الذخيرة ٣: ٢:٩٠٥ ، والمغرب ٢:٤٤٤ .

[٤] النفح ٣:٦٠٩ .

[٥] ينظر دراسات أدبية في الشعر الأندلسي – سعد إسماعيل شلبي – دار نهضة مصر للطبع والنشر : ٣٣ .

وكان للمعتصم [1] دوره في الحث على الارتجال والبديهة بشكل واضح من خلال مجلسه الذي كان يحضره كبار الشعراء والأدباء .

قال ابن بسام : " اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه ، فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللعب المطرب ، وحضر أيضا هناك لاعب مصري ساحر فكان لعبه حسناً ، فأرتجل ابن حداد :

كَذَا فَلْتَلُحْ قَمَراً زاهراً وتَجْني الهَوَى ناظراً ناظرا

وسَيْبُكَ سيبُ نَدىً مُغْدِقٍ أَقام لنا هامِياً هَامِرَا

وإنَّ لِيَوْمِكَ ذا رَوْنَقاً مُنِيراً كنُورِ الضُّحَى بَاهِرَا

وأَسْمَعَتْنَا لاحِناًفاتِناً وأَحْضَرتْنَا لاعِباً ساحِرَا

يُرَفْرِفُ فوق رؤوسِ القِيانِ فَنَنْظُرُ ما يُذْهِلُ النَّاظِرَا

وسَعْدُكَ يجتلبُ المغرباتِ فيجعلُ غائبها حاضرا " [2]

لقد أراد الشاعر أن يثبت للمعتصم بن صمادح قدرته الفائقة على نظم الشعر بشكل واضح من خلال إحضاره للوصيفة واللاعب المصري إلى مجلسه في حضرة الشعراء .

كما حضر ابن مرزقان [3] ليلة عند ذي النون بن خلدون[4] ، وبحضرته وصيفة تحمل شمعة ، فاستحسنها ابن مرزقان ، فقال بديها :

يا شمعةً تَحْملُها أخْرى كأنَّها شمسٌ عَلَتْ بدرا

---

[1] المعتصم تمت الترجمة له : ٤

[2] النفح ٣:٢٦٣ – ٢٦٤ .

[3] أبو القاسم بن مرزقان مولى المعتمد بن عباد ذكر أنه قتل يوم دخول الملثمين إشبيلية على المعتمد ، قال ابن بسام فيه : هو أكثر القوم قولا ، وإصابة فإنه يوفق في إصابة الأغراض وكلامه سهل قريب ، ينظر الذخيرة ٢ : ١:٥٢٠ ، والمغرب ١:٢٦٦ .

[4] ذي النون بن خلدون أندلسي محدث روى عنه ابن سعيد بن ذي النون مات بالأندلس ذكره أبو سعيد بن يوش ولم يذكر له شيئا ، المقتبس : ٢٠٠ .

امتحنتْ إحداكما مُهْجتي بمثلِ ما تمتحنُ الأخرى [1]

وجلس المعتمد يوما في مجلسه والبُزاةُ تعرض عليه ، فاستحثَّ الشعراء في وصفها فصنع ابن وهبون بديهاً :

للصيدِ قبلكَ سنّةٌ مأثورةٌ لكنّها بكَ أَبْدَعُ الأشياءِ

تمضي البزاة وكلّما أمضَيْتُها عاطيتها بخواطِرِ الشعراءِ

فاستحسنها ، و أسنى جائزته [2] .

وأيضاً من دلائل تأثر الشعراء برجال الدولة في ارتجال الشعر ، قول ابن وهبون عندما خرج لينظر هلال شوال والوزير أبو بكر بن القبطرية [3] يسايره وهو يومئذ غلام يخجل البدر ، وصفحته لم يسطرها العذار بأنفاسه ، و وردة خده لم يسترها الشعر بأسه ، فارتجل عبد الجليل :

يا هلالُ اسْتتِرْ بوجهكَ عنّي إنَّ مولاكَ قابضٌ بشمالي

هَبْكَ تحكي سناه خدّا بخدٍ قمْ فجئني لقدّهِ بمثالِ [4]

---

[1] النفح ٣: ٢٦٤ .

[2] المصدر السابق ٤: ٢٦٠ .

[3] أبو بكر عبد العزيز أبو محمد طلحة القبطرية كان كاتب للمتوكل بن الأفطس ، كان من أسرة أصالة وبيت جلالة أخذوا العلم أولا عن أخر ، ورووه كابراً عن كابر ، وهم منتهى قول القائل وأعجوبة الأواخر والأوائل ، توفى سنة ٥٢٠ هـ ، المغرب ١:٣٦٧ .

[4] النفح ٣:٢٦٨ .

المبحث الرابع :
الدعوة إلى تأليف كتب المجاميع الشعرية

صارت الأندلس في عهد ملوك الطوائف أندلسيات كثيرة ، وراجت فيها سوق الآداب والفنون والعلوم ، فألفت فيها كتب كثيرة ، حيث رَغَّبَ رجال الدولة في تأليف هذه الكتب ، فانبرى الشعراء إلى جمع دواوينهم ، والأدباء إلى تأليف كتب الاختيارات الشعرية ، وفي كتب التراجم إشارات كثيرة تدل على وجود كتب ألفتْ وأهديت إلى أَمراء الطوائف ، وطرزت بأسمائهم في جميع المجالات وخاصة في الأدب والشعر والفلسفة ، والتاريخ والطب وغيرها [١] .

فقد ألفت في الدولة الصمادحية العديد من الكتب في التفسير والحديث ، و لزم حضرة المعتصم بن صمادح العديد من الفحول الشعراء أمثال ابن الحداد ، والأسعد ابن بليطة ، وأبي حفص بن الشهيد ، فقد استفرغوا شعرهم في المجالس التي كان يعقدها بقصره للمذاكرة يوماً من كل أسبوع ، ويعتبر المعتصم بن صمادح صاحب المرية من الأمراء الذين صعدوا بالتأليف في الثقافة والأدب إلى الأوج ، فقد ألف ابن الحداد وزير المعتصم وشاعره ثلاثة كتب :

١- كتاب في العَروض (المستنبط في علم الأعاريض المهملة عند العرب) .

٢- كتاب قيد الأوابد وصيد الشوارد .

٣- كتاب باسم الامتعاض للخليل [٢] .

ويعتبر السميسر من الشعراء الذين لم يطيقوا العيش في غرناطة ؛ بسبب إهمال أمرائها البرابر للأدب والشعر ، فلم يزدانوا بعلم يوطئ لأهل الأدب أكنافهم ، فلجأ إلى حضرة المعتصم بن صمادح ، وقد ألف كتاباً سماه (شفاء الأمراض في انتهاك الأعراض) تناول فيه ما كان يدعيه أهل عصره من خصال لم تكن فيهم ووضعهم موضعهم الصحيح [٣] ، كما كان باقعة عصره وأعجوبة دهره كما يقول ابن بسام [٤] .

---

[١] ينظر في الأدب الأندلسي – محمد رضوان الداية ، دار الفكر دمشق – سوريا ، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠ ف : ٤٣ .

[٢] ينظر الذخيرة ١ : ٢ : ٦٩٢ .

[٣] ينظر تاريخ الفكر الأندلسي : ١١٢ -١١٣ .

[٤] ينظر الذخيرة ١ : ٢ : ٨٨٢ .

وأيضاً كان للمظفر من بني الأفطس ببطليوس دوره في تشجيع الأمراء على جمع أشعارهم ، وتأليف الكتب حيث قال ابن بسام : فقد كان أديب ملوك الطوائف غير مدافع ، ولا منازع ، وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة المشتهر باسمه أيضاً كتاب " المظفري " في خمسين مجلداً ، يشتمل على فنون وعلوم من معان وسير و مثل وخبر وجميع ما يختص به علم الأدب [١] .

وكان لأمراء الدولة الجهورية بقرطبة دورهم في تشجيع الأمراء على التأليف وتجميع الأشعار ، فقد ألف عبد الرحمن بن فتوح [٢] كتابا بعنوان (بستان الملوك) ورفعه إلى ابن جهور أيام إمارته بقرطبة ، وله تأليف في الأدب ترجمه بكتاب (الأغراب في رقائق الآداب) رفعه إلى المأمون يحيى بن ذي النون [٣] وتصنيف آخر سماه (الإشارة إلى معرفة الرجال والعبارة) [٤] .

كما أصبح بلاط بني عباد بإشبيلية مقصدا للشعراء من جميع أنحاء الأندلس فقد كان المعتضد شاعراً يشجع الشعراء على التأليف وقول الشعر ، فقد ألف له الأعلم الشنتمري [٥] كتاب (شرح الأشعار الستة) و (شرح ديوان الحماسة) وألف غيرها من الدواوين و التصانيف التي لم تخرج إلى الناس [٦] .

كما قام ابن شرف القيرواني بتأليف كتاب (أبكار الأفكار) وبعث بهِ إلى المعتضد دون أن يلتحق ببلاطه ، وكتابه (أعلام الكلام) أيضاً [٧] .

وألف ابن اللبانة كتاب (دار الطراز) في موشحات الأندلسيين يمدح فيها المعتمد بن عباد [٨] .

---

[١] ينظر الذخيرة ٢ : ٢ : ٦٤٠ ، والبيان المغرب ٣ : ٢٣٦ – ٢٣٧ .

[٢] عبد الرحمن بن فتوح بن المطرف ، كان رجلا جيد الدين وراوية للشعر وكتب الآدب ، كان يعرف بابن صاحب الإسفريا " وهي نوع من الطعام " وهو من مشاهير الأدباء ، وله شعر كثير ، الذخيرة ١ : ٢ : ٧٧٠

[٣] المأمون يحيى بن إسماعيل ، قال الحجاري : لم يكن فيهم أعظم قدراً ولا أشهر ذكراً منه ، أجتمع في مجلسه العديد من الفحول الشعراء ، ينظر الذخيرة ٢ : ١ : ٢٦٨ و المغرب ٢ : ١٢ .

[٤] الذخيرة ١ : ٢ : ٦٩٢

[٥] أبو الفضل جعفر بن محمد بن الأعلم ، ذو اللسان الذلق والجبين الطلق والدال على كرم الخلق الذي سابق فبذَّ وأشرف ، وناضل قادة الكلام فأنصف وساجل بحور النثار والنظام فما تلعثم ولا توقف ،وهو قاضي شنتمرية توفى سنة ٥٤٧ هـ ، ينظر المغرب ١ : ٣٩٦ ، والبغية : ٢٣٩ .

[٦] ينظر البيان المغرب ٣ : ٢٨٤ .

[٧] ينظر الذخيرة ٤ : ١ : ١٧١ .

[٨] ينظر المصدر السابق ٣ : ٢ : ٦٦٦ .

وكانت فترة الطوائف حافلة بشخصيات لامعة في مختلف نواحي المعرفة وخاصة في مجال الشعر والنثر ، بحيث صار لهذه الفترة تأثيرها على عصر المرابطين ومن جاء بعدهم ، كما قال عبد الله عنان : إنَّ النهضة الفكرية لعصر المرابطين لم تكن وليدة عصرهم ، بل كانت أثراً من آثار النهضة الفكرية في عصر الطوائف [١] .

وإنَّ أكثر الأعلام الذين خلفوا إنتاجاً فكرياً في عصر المرابطين كانوا في القرن الخامس الهجري ودرسوا وتعلموا على شيوخ هذا العصر ، والفضل في هذا التطور راجع إلى اهتمام رجال الدولة بالتأليف وتجميع الأشعار في دواوين ، ومن هؤلاء الشعراء ابن اللبانة ، فقد كان " شاعراً يتصرف ، وقادراً لا يتكلف مرصوص المباني ، ممتزج الألفاظ والمعاني ، وكان من امتداد الباع ، و الانفراد بالانطباع كسيف الصقيل الفرد ، توحد بالإبداع وانفرد " [٢] ، ومن مؤلفاته في الأدب " نظم السلوك في وعظ الملوك ، و سقيط الدر ولقيط الزهر " [٣]

كما قام ابن عبد البر [٤] بتأليف كتاب (بهجة المجالس وأنس المُجالس) [٥] ولقد ألف بعض الشعراء في عهد الطوائف كتباً في الربيع ووصف الطبيعة من شجر وزهر وحيوان ونبات وماء ، وكل ما يتصل بذلك من إحساسات وانفعالات ووصف النزهات ، ومجالس الأنس التي كان يقيمها رجال الدولة ، فقد ألف يوسف بن هارون الرمادي [٦] كتاب (البديع في وصف الربيع) و لأبي عامر محمد بن عبد الله بن مسلمة كتاب (الارتياح بوصف الراح) ذكر فيه الرياض و البساتين ووصف النواوير ، و أيضاً كتاب (التشبيهات من أشعار أهل الأندلس) لأبي

---

[١] ينظر دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي – محمد عبد الله عنان – العصر الثاني – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ م : ٤١٧ .

[٢] الذخيرة ٣ : ٢ : ٦٦٦

[٣] المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

[٤] أبو عمر يوسف بن عبد البر النميري القرطبي إمام الأندلس في علم الشريعة ورواية الحديث له كتاب (بهجة المجالس) ، توفى سنة ٤٦٣ ، ينظر المغرب ٢ : ٤٠٧ .

[٥] المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

[٦] يوسف بن هارون الكندي أبو عمر يعرف بالرمادي ، وهو شاعر قرطبي كثير الشعر ، قال الحميدي : أضن أحد آبائه كان من رمادة موضع بالمغرب ، وهو شاعر قرطبي كثير السفر سريع القول ، مشهور عند العامة والخاصة ثم مدح الملوك والرؤساء بعده وعاش إلى أيام الفتنة ومات في تلك الشدائد . البغية : ٤٣٠ و الجذوة ٣٤٩ .

الحسن علي بن محمد بن أبي الحسين الكاتب المشهور بالأدب والشعر ، و كان في الدولة العامرية [١] ، وكتاب (التشبيهات من أشعار أهل الأندلس) لأبي الطيب الكتاني ، و كلاهما مقصور على تشبيهات الأندلسيين دون سواها .

ومن أشهر الكتاب في عصر الطوائف :

١- أبو الأصبغ عبد العزيز بن محمد بن أرقم النميري كان وزيراً للمعتصم بن صمادح في المرية ، وهو " احد كتاب الجزيرة المهرة ، و النقدة الشهرة " [٢] .

٢- الأديب الكاتب أبو حفص بن برد الأصغر " فلك البلاغة الدائر ومثلها السائر " [٣] وهو صاحب كتاب (سرد الأدب وسبك الذهب) [٤] ، وصاحب فصول في التحميدات وشكر النعم ووصف القلم والأمان ومدح الإخاء [٥] وصاحب الرسائل الشهيرة ومنها رسالة في السيف والقلم ، ورسالة في النخلة ورسالة في تفضيل لهب الشتاء على ما يغترس من الوطاء سماها بالرسالة البديعية [٦] .

٣- الأديب أبو حفص عمر بن الشهيد التجيبي فارس النظم والنثر [٧] ، وصاحب رسائل أخوانية [٨] ، ومقامات [٩] .

٤- الأديب أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف الجذامي " الناظم الناشر الكثير المعالي والمأثر " [١٠] ، صاحب الحكم الموجزة المقتضبة [١١] والرسائل وبعض المساجلات [١٢].

---

[١] ينظر الجذوة : ٢٩٠ .
[٢] الذخيرة ٣ : ١ : ٣٦٠ .
[٣] المصدر السابق ١ : ١ : ٤٨٦ .
[٤] ينظر المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
[٥] ينظر المصدر السابق ١ : ١ : ٥٠٢ – ٥٠٣ .
[٦] ينظر المصدر السابق ١ : ١ : ٥٣٢ .
[٧] ينظر المصدر السابق ١ : ٢ : ٦٧٠ .
[٨] ينظر المصدر السابق ١ : ٢ : ٦٧١ .
[٩] مختارات من أحدى مقاماته ، ينظر المصدر السابق ١ : ٢ : ٦٧٤ .
[١٠] القلائد : ٧٩٠ – ٧٩١ .
[١١] ينظر الذخيرة ٣ : ٢ : ٨٨١ .
[١٢] ينظر المصدر السابق ٣ : ٢ : ٨٨٣ .

٥- الأديب أبــو محمد بن مالك القرطبي صاحب المقامة النقدية التي رفعها إلى ابن صمادح [١] ، و له فيها " أطناب وشن فيها الغارة على عدة شعراء وكتاب " [٢]

إن كثـرة المؤلفـات والكتـب الشـعرية فـي هـذا العصـر تـدل علـى اهتمـام رجـال الطوائف بالأدباء والكُتَّـاب والشعراء ، فقد أكثروا من الإغداق عليهم ، والعناية بهم ورعـايتهم ، وكـان بعضـهم ينقطـع إلـى أمير بذاتـه ويعيش فـي كنفـه ، وتحـت رعايتـه ومن آثار ازدهار الحركة الفكرية والشعرية في عصر الطوائف ذيوع المكتبات العامة والخاصة ذيوعاً شديداً ، فقد كان أمراء الطوائف يتنافسون فـي اقتنـاء الكتـب النفيسـة و النادرة ، فقد كان الوزير أحمد بن عباس وزير زهير العامري [٣] من أعظم هواة جمـع الكتـب ، ويقـال إن مكتبتـه العظيمـة كانـت تضـم أربعمائـة ألـف مجلـدٍ اشـتهرت ببطليوس في ظل بني الأفطس ؛ لتقدمها العلمي والثقافي [٤] .

---

[١] ينظر الذخيرة ١ : ٢: ٧٤١ .
[٢] المصدر السابق ١ : ٢ : ٧٥٢ .
[٣] الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس ن كان أشد النـــاس في وقته في أربعة أشياء : المال ، والبخل والعجب ، والكتابة ، المغرب ٢ : ٢٠٥ .
[٤] ينظر دول الطوائف : ٤٣٧ .

الفصل الثالث : نـقـدهم للشعــر

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

نـقدهم للمعاني والألفاظ

المبحث الثاني :

السرقــات الشعريــة

المبحث الثالث :

نـقد الصــور و الأخيلة

إنَّ النهضة الحقيقية للأدب في الأندلس كانت مع بداية عهد عبد الرحمن الداخل الخليفة الأموي ، فلم توجد أية أشارات نقدية تستحق الذكر قبل هذه الفترة ؛ لأن النقد مرحلة ثابتة تعتمد على الأدب الذي هو مصدر مادته ، فميز الشعراء الأندلسيون الشعر قبيل عصر الطوائف بين مذهبين : القديم وهو مذهب العرب الذي يعتمد على جزالة اللفظ وفخامته ، والحديث وهو مذهب المحدثين ، الذي يسير على نهج أبي تمام ، و ابن المعتز ، والبحتري ، وأبي نواس وغيرهم ، وقد نالت هذه النماذج القسط الأكبر من إعجابهم [١].

ومع هذا فإن الحركة النقدية في الأندلس لم تظهر بمثل النشاط الذي ظهرتْ به في المشرق ؛ لأن النقد كان في بدايته ، ولقلة النقاد الأندلسيين في تلك الفترة [٢] .

ولم يزدهر النقد الأدبي في الأندلس إلا في القرن الخامس الهجري ، ولعل أعظم أثنين مارسا النقد في هذا العصر هما ابن شهيد [٣] ، وابن حزم الأندلسي [٤] ، فقد كانا صديقين يلتقيان على بعض شؤون الحياة ، ثم يفترقان وكان لكل منهما طريقته في النقد ، فابن شهيد كان أقرب إلى عالم النقد من ابن حزم ؛ لأن إعجابه الذاتي بنفسه وضعه موضع التفرد في نظر نفسه إزاء الآخرين ، فكان ينظر إلى اللغويين من علِ فنشأت خصومة بينه وبينهم تدور حول دعواهم بأنهم يستطيعون تعليم البيان ، فأراد أن يثبت لهم البعد ما بين الموهبة والاكتساب ؛ ولهذا كان العامل الموجه في مذهبه النقدي ؛ هو إيمانه بطريقته في الشعر [٥] .

وهناك العديد من أمراء الطوائف الذين جمعوا بين السياسة والأدب ، لا بل هناك من تخصص في نقد الشعر ، وكشف عيوب الشعراء ، منهم مجاهد العامري [٦]

---

[١] ينظر ابن شهيد وجهوده في النقد الأدبي - – عبد الله سالم المعطاني – المعارف بالإسكندرية مركز الدلتا للطباعة : ٢٠ - ٢١ .

[٢] المصدر السابق : ٢١

[٣] تمت الترجمة له : ١٦.

[٤] تمت الترجمة له : ٣٨ .

[٥] ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب – إحسان عباس – دار الثقافة بيروت – الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٢ م : ٤٧٥ .

[٦] مجاهد بن عبد الله العامري أبو الجيش الموفق مولى عبد الرحمن الناصر كان من أهل الأدب والشجاعة محباً للعلوم وأهلها ، توفى سنة ٤٣٦ هـ ، مقدمة ابن خلدون ٤ : ١٦٤ ، والجذوة : ٣٣١ – ٣٣٢ .

صاحب دانية [1] " مع علمه وحبه لمن طلبه أشد الناس في الشعر ، وأحرمهم لأهله وأنكدهم على نشيده ، ولا يزال يتعقبه عليه كلمة كلمة كاشفا لما زاغ فيه عن لفظة أو سرقة ، فلم تسلم على نقده قافية ، ثم لا يفوز المتخلص من مضماره على الجهد لديه بطائل " [2] .

[1] دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا ، وكانت قاعدة ملك أبي الجيش مجاهد العامري ، معجم البلدان ٢ : ٤٣٤ .

[2] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي – تحقيق : كولان وليفي بروفسنال – الدار العربية للكتاب بيروت – الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٣ م ، ٣: ١٥٦ .

المبحث الأول :
نقـــد المعـــاني والألفـــاظ

لقد تميز الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري بالوضوح في المعاني والبساطة في التعبير ، والبعد عن التعقيد ، فجاءت ألفاظه واضحة سهلة رقيقة عذبة وخاصة في شعر الغزل والاستعطاف [١] ، فكثر الشعراء في عهد ملوك الطوائف واشتد التنافس بينهم مما أدى إلى أن يقف منهم رجال الدولة موقف الحكم بينهم فأجازوا الجيد منهم ونال رضاهم وإعجابهم ، فقد كان المعتمد ناقداً يناقش بعض شعرائه فيما ينشدون بين يديه موجها لهم ، وهذه القصة التي نقلها لنا صاحب النفح تروي أن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الحجاري [٢] ، قد توجه يوم الزلاقة إلى المعتمد بن عباد وأخذ ينشده قصيدته ، ولما انتهى قال : " وجعل يجيل النظر والفكر فيها ، وأنا مرتقب لنقده ؛ لكونه في هذا الشأن من أئمته ، وكثيراً ما كان الشعراء يتحامون لذلك ، إلا من عرف من نفسه التبريز ووثق بها ، إلى أن انتهى إلى قولي :

لا رَوَّعَ الله سِرْباً في رحابهُم وإنْ رمَوَنْي بترويعٍ وإبعادِ

ولا سقاهمْ على ما كان من عطشٍ إلا ببعض نَدَى كفّ ابن عبّادِ

قال : لأي شيء بخلت عليهم – حتى يسقوا بكفه ؟ ، فقلت : إذا كان يلحقني من النقد ما لحق ذا الرمة في قوله : ولا زال مُنْهَلاً بجرعائك القطر [٣] وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك ، فتألقتْ غرَّته ، وبدت مسرَّتهُ ، وقال : إنا لله على أنَّ لم يُعنا الزمان على مكافأة مثلك " [٤] .

وللمجالس الأدبية التي كان يشهدها بلاط الأمراء دورها في تطور حركة النقد في عهد الطوائف ، مثل بلاط المعتضد بن عباد والمعتمد ، فقد كتب ابن عمار إلى المعتمد قصيدته :

---

[١] ينظر قطوف من ثمار الأدب الأندلسي – علي أحمد عبد الهادي الخطيب – دار نهضة الشرق مصر : ٤٧ – ٤٨ .

[٢] محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن الحجازي صاحب كتاب المسهب في فضائل المغرب ، وهو أول من أسمى هذا التصنيف ، وفتح بابه لمن بعده من بني سعيد ، توفى سنة ٦٤٥ هـ ، ينظر المغرب ٢ : ٣٥ .

[٣] نص البيت :

ألا يا اسلمي يا دار ميٍّ على البلى ولا زال مُنهلاً بجرْعائِكِ القطرُ

ديوان ذي الرمة ، أحمد بن حاتم الباهلي – حققه : عبد القدوس أبو صالح – مؤسسة الإيمان للتوزيع والنشر و الطباعة ـ لبنان ، سنة ١٩٨٢ م ، ١ : ٥٥٩ .

[٤] النفح ٣ : ٥٧٠ – ٥٧١ .

سجاياك إنْ عافيت أندى وأسمح وعذرك إنْ عاقبت أجْلى وأوضحُ

وختمها بقوله :

وبين ضلوعي من هواهُ تميمةٌ ستنفعُ لو أنَّ الحِمَام يُجلِّحُ [1] [2]

" فجعل من بحضرة المعتمد من أعداء لابن عمار ينتقدون شعره ، ويطلبون له عيباً ويقولون : أي معنى أراد ، ما قال شيئا ولا كاد ؟ فقال لهم المعتمد : مهما سلبه الله من المروءة والوفاء فلم يسلبه الشعر ، إنما قلب بيت الهذلي فأحسن وهو قوله :

وَإذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ [3]

فسكت القوم في مجلسهم إلا أبا سالم العراقي [4] فإنه جعل يتمضغ بقوله في القصيدة :

ولم لا وقد أسلفتُ وداً وخدمةً يكرَّان في ليلِ الخطايا فَيُصْبِحُ [5]

ويقول : ما معناه ، وهلا بدل هذا اللفظ بسواه ، فقال له المعتمد :

أراه طنز [6] عليه ،وأشار بالتقصير إليه : أبا سالم أنزله ، وأن استطعت بفضلك فأبدله فأحجم و تلعثم ، ولم يتأخر ولا تقدم " [7] .

إن هذه الحكاية تؤكد إيمان المعتمد بشاعرية ابن عمار ، ومعرفته بنواحي الجودة في الشعر .

وقول ابن عمار في وصف وقعة أوقعها المعتضد بالبربر :

شفيتَ بسيفك أمةً لم تعتقدْ إلا اليهود وإنَّ تسموا بربرا

أثمرتْ رمحك من رؤوسِ كماتهم لما علمت الغصن يعشقُ مثمرا

---

[1] جلح علينا : أتى علينا ، والتجليح السير الشديد ، لسان العرب ٢ : ٤٢٥ .
[2] الذخيرة ٢ : ١ : ٤٢٠ – ٤٢١ .
[3] البيت لأبي ذؤيب الهذلي – شرح أشعار الهذليين – أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري – حققه : عبد الستار أحمد فرج – مكتبة دار العروبة مصر ١ : ٤ .
[4] أبو سالم العراقي : لم أعثر على ترجمته إلا ما ورد ذكره في الذخيرة ٢ :١ : ٤٢٢ .
[5] الذخيرة ٢ : ١ : ٤٢٠ .
[6] طنز : كلمة استهزاء ، و الطنز : السخرية – لسان العرب ٥: ٣٦٩ .
[7] ينظر الذخيرة ٢ : ١ : ٤٢٢ .

وصبغتَ درعَكَ من دماءِ ملوكهم لما رأيت الحسن يلبس أحمرا

السيف أفصح من زياد خطبة في الحرب إن كانت يمينك منبرا [١]

ولما أنشد المعتضد هذه القصيدة استحسنها وأمر له بمال وثياب ومركب وأمر أن تكتب في ديوان الشعراء [٢] .

ونلاحظ من خلال النصوص الشعرية الموجودة في الذخيرة أن المعاني التي كان يتناولها الشعراء في ذلك العصر مأخوذة من سابقيهم ، وقول المعتمد يؤكد ذلك :

وَسايرْتَهُم وَاللَيلُ غُفْل ثَوْبُهُ حَتّى تَراءى لِلنَواظِرِ مَعلما

فَوَقفتُ ثَمَّ محيّراً وَتسلَّبتْ مِني يَدُ الاصباحِ تِلكَ الأنجُما[٣]

يشير في معنى البيت الأخير إلى قول المجنون[٤] :

فَأَصبَحْتُ مِنْ لَيلى الغَداةَ كَناظِرٍ مَعَ الصُّبحِ في أَعْقابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ [٥]

فقد اشترك المعتمد مع المجنون في المعنى ، حيث غاب عن كليهما النجم مع إطلالة الصباح .

إنّ هذا الكلام يؤكد تأثر الأمراء بالشعراء المشارقة القدامى ، فكان لهذا التأثير دوره في توجيه الشعراء الأندلسيين إلى النسج على منوال رجال دولتهم ، سواء كان بطريق بيِّن أو خفي ، ويؤكد ذلك قول المعتمد بن عباد في سجنه عندما رأى سرب القطا فهاج وجده وأثار من لاعج الشوق ما عنده ، فقال :

بَكَيْتُ إِلى سربِ القَطا إِذ مَرَرْنَ بي سَوارِحَ لا سِجْنٌ يَعُوقُ وَلا كبْلُ [٦]

---

[١] الخريدة ٢ : ٧٣ .
[٢] ينظر قصة الأدب في الأندلس : ٢٦٠ .
[٣] ديوان المعتمد : ١٢٣ .
[٤] المجنون : هو قيس بن الملوح بن مزاحم العامري شاعر غزل من المتيمين من أهل نجد ، ولم يكن مجنونا وإنما لُقب بذلك لهيامه في حب ليلى بنت سعد ، وقيل إنه مات في وادي كثير الحجارة ، وما دل عليه إلا رجل من بني مرة فحضر أهله وغسلوه وكان ذلك في حدود الثمانين من الهجرة ، ينظر الأعلام ٥ :٢٠٨ و وفوات الوفيات ٣ : ٢٠٨ .
[٥] ديوان مجنون ليلى – يوسف فرحات – دار الكتاب العربي بيروت – الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٩ م : ٤٢ .
[٦] القطا : طائر معروف يسمى بذلك لثقل مشيته – لسان العرب ١٥ : ١٨٩ .

وَأَن لَمْ تَبِتْ–مِثْلي– تَطيرُ قُلوبُها إذا اهتَزَّ بابُ السجنِ أَو صلصلَ القفلُ

وَما ذاكَ مِمَّا يَعْتَريني وَإِنَّما وَصَفتُ الَّذي في جِبْلَةِ الخَلق مِنْ قَبْلُ[1]

فكان لهذه الأبيات تأثيرها على من حوله من الشعراء في انتقاء الألفاظ والمعاني التي يفضلها أمراء الطوائف ، ومن بينهم أبو عامر بن شهيد فقد قال :

وما اهْتَزَّ بابُ السِّجْنِ إلا تَفَطَّرتْ قُلُوبٌ لنا خَوف الرَّدى وكُبُودُ

ولَست بِذِي قَيْدٍ يرِنُّ وإنَّما على اللَّحْظِ مِن سُخْطِ الإمامِ قُيُودُ[2] .

لقد كان رجال الدولة يوجهون الشعراء إلى انتقاء الألفاظ والمعاني التي يريدون سماعها ، فاستجاب الشعراء لهم بطريق غير مباشر ؛ لكي ينالوا رضاهم أولا وليضمنوا نقدهم الايجابي لشعرهم ثانيا ، كما حدث مع الشاعر أبي بكر محمد بن أرفع رأسه الطليطلي والأمير المأمون بن ذي النون ، فقد شرب الأمير المأمون مع أبي بكر بن أرفع رأسه مع حفل في رؤساء ندمائه ، فجرت مذاكرة في ملوك الطوائف ، فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه فقال ابن أرفع رأسه ارتجالاً :

دعوا الملوكَ وأبناءَ الملوكِ فَمَنْ أضحى على البحرِ لم يشتقْ إلى نهرِ

ما في البسيطة كالمأمونِ ذُو كرمٍ فانظرْ لتصديق ما أسمعتَ مِن خبرِ

يا واحداً ما على عُلْيَاهُ مُخْتلف مُذْ جاد كفُّك لم نحتجْ إلى المطرِ

وقد بدوتَ لنا وُسْطى ملوكهم فلم نُعرِّجْ على شَذَرٍ ولا درر [3]

فداخل المأمون من الارتياح ما ليس عليه مزيد ، وأمر له بإحسان جزيل عتيد مع أنه لم يأتِ بالجديد في هذه الأبيات ، فألفاظه سهلة معروفة ومعانيه مطروقة من قبل ، وهذا دليل آخر على تأثير رجال الدولة في شعر الشعراء مما أدى إلى

---

[1] ديوان المعتمد : ٣٢٩ – ٣٣٠ .
[2] ديوان ابن شهيد : ٦٤ .
[3] النفح : ٤ : ١٣٤-١٣٥ .

تطـور حركة الشعر في عهد الطوائف ، فقد أتبع رجال الدولة نهج المحدثين أيضا واتخذوه موروثا لهم ، ومناراً يهتدون به [١] .

فقد كان المعتمد و المتوكل بن الأفطس من أشد المعجبين بشعر المتنبي ، وكان يعتبر الشاعر المفضل لكليهما ؛ فحاول العديد من الشعراء النسج على منوال المتنبي لكي ينالوا رضا المعتمد والمتوكل كما أسلفت الذكر؛ ومن أشد شعراء المتوكل نسجا على طريقة المتنبي في السياق وبناء القصيدة هو عبد المجيد بن عبدون الذي عاش في كنف المتوكل صاحب بطليوس ، ومن شعره الذي يذكر طريقة أبي الطيب قوله في وصف السيوف :

فَيورِدُها ظِماءً وَهيَ ماءٌ وَيُصْدِرُها رِواءً وَهي نارُ

وَيقرضها أَعادِيه لجيناً وَتَرجِعُ وَهيَ لَو سَلمَتْ نضارُ [٢]

فبيته الثاني نسجه على بيت أبي الطيب بعد نقله من الوادي إلى السيف ، فقال :

رَكَضَ الأَميرُ وَكَاللُجَينِ حَبابهُ وَثَنى الأَعِنَّةَ وَهوَ كَالعِقيانِ [٣] [٤]

فقد شبه ماء النهر الأبيض بالفضة ، عندما أجرى خيله إلى الروم ، وعاد وماؤه أحمر كالذهب من دماء قتلاهم .

وقوله أيضا يخاطب الوزير أبا القاسم بن الجد :

وللطير في الوَرَقِ النضر شدوٌ كشدوِ القيان عليها الكلل[٥]

فأبتُ وذنبي أميرُ الذنوبِ ودولته فوق تلك الدول [٦]

لقد أشار في البيت الثاني إلى قول أبي الطيب :

---

[١] ينظر تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة – إحسان عباس – دار الثقافة بيروت – لبنان – الطبعة السادسة سنة ١٩٨١ م : ٤٧ .

[٢] الذخيرة : ٢ : ٢: ٧١٧ .

[٣] اللجين : الفضة – لسان العرب ١٣ : ٣٧٩ ، والعقيان : الذهب – المصدر نفسه ١٣ : ٢٨٨ .

[٤] ديوان المتنبي : ٤١٥ .

[٥] قيان مفردها قينة ، وهي المغنية – لسان العرب ١٣ : ٣٥٢ .

[٦] الذخيرة : ٢ : ٢ : ٧١٥ ـ٧١٦ .

مُطاعَةُ اللَّحْظِ في الأَلحاظِ مالِكَةٌ لِمُقلَتَيها عَظيمُ المُلْكِ في المُقَلِ [1]

فالسياق العام لشعر ابن عبدون فيه احتذاء شديد لأبي الطيب ؛ إلا أنه يخالفه في فلسفته ، فإذا كان ابن عبدون يترسم مبنى المتنبي دون فلسفته ، فإن ابن وهبون يترسم الاثنين معاً كما في قوله :

وإني لفي دهرٍ فرائسُ أُسْدِهِ سُدًى عبثتْ فيه نيوبُ كلابِ

أتخفى على الأيامِ غُرُّ مناقبي وقد بذَّ شأوي شأوَ كلِّ نَقَابِ

ويركبني رسمُ الخمولِ وقد غدتْ خصالُ العلا والمجدِ طوعَ ركابي[2]

إنه يحمل على الدهر الذي رفع من قدر الخامل ، وأحط من شأن النابه ، و إن غر مناقبه فيه غدت مشهورة وهي طوع ركابه ، مع أن الخمول يلازمه ، و لكنه سيظل يسعى لينال المجد و السمو ، فلا يستسلم للضياع بسهولة [3] ، وقوله أيضاً متحدثا عن النفس ومصيرها ، والجسد ونهايته المحتومة ، هل يفنيان معاً ؟ أم يفنى الجسد وتخلد النفس ، فيقول :

ما النفسُ إلا شُعلةٌ سقطتْ إلى حيثُ استقلَّ بها الثرى والماءُ

حتى إذا خلصتْ تعودُ كما بدتْ ومن الخلاصِ مشقَّةٌ وعناءُ[4]

فقد صور النفس بالشعلة التي حلَّتْ بالجسم ، أو تتخلى عنه عند الوفاة ، ثم تعود لبدايتها ، وفي سقوطها هذا مشقة وعناء [5] .

ومما سبق تأكد أن فلسفة ابن وهبون فيها أثر من فلسفة المتنبي و المعري فقوله هذا فيه احتذاء شديد بشاعر المعتمد المفضل أبي الطيب المتنبي في قوله :

تَخالَفَ الناسُ حَتّى لا اِتِّفاقَ لَهُمْ إلاَّ عَلى شَجَبٍ وَالخُلفُ في الشَجَبِ

---

[1] ديوان المتنبي : ٣٣٦ .
[2] الذخيرة : ٢ : ١ : ٤٩٧ .
[3] ينظر الأدب العربي في الأندلس : ٢٩٦ .
[4] الذخيرة : ٢ : ١ : ٤٧٩ .
[5] ينظر الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين : ١٢٧ - ١٢٨ .

فَقِيلَ تَخلُصُ نَفسُ المَرءِ سالِمَةً وَقيلَ تَشرَكُ جسمَ المَرْءِ في العَطَبِ [1]

فالمتنبي يقول إن للفلاسفة رأيين في النفس : الفناء مع الجسد ، أو خلودها وفناء الجسد [2] .

وأيضا قول ابن وهبون :

شهروا بسلاح الدَّمعِ خَلْفَ سريرِهِ إذا لمْ يكنْ للباتراتِ غناء [3]

كقول المتنبي :

بِأَبي الوَحيدُ وَجَيشُهُ مُتَكاثِرٌ يَبكي وَمِن شَرِّ السِّلاحِ الأَدْمُعُ [4]

ولقد تأثــر بعض رجال الدولــة بألفاظ ومعاني بعض الشعراء السابقين لهم ، فكان لهذا التأثير وقعه على شعر بعض الشعراء في عصرهم ، ومن ذلك قول الوزير أبي عامر بن مسلمة وقد كان في مجلس أنس مع أبي جعفر ابن الأبار بشعر الأشتر [5] في التحريض على معاوية حيث يقول :

بَقَّيْتُ وَفْري وانحرفتُ عن العلا ولقيتُ أضيافي بوجه عبوسِ

إنْ لمْ أَشُنَّ على ابنِ هندٍ غارةً لم تخلُ يوماً من نهابِ نفوسِ [6]

فسأل الوزير أبا عامر ابن الأبار الرد عليه ، فقال على الارتجال :

غادرتُ عرضي عُرْضةُ وأبحتُهُ وتُركتُ نهب نفائسٍ ونفوسِ

وقذفتُ أمَّ المؤمنين تمرّداً وكفرتُ من حربٍ بكلِّ رئيس[7]

إن لم نصبّحكم بكل مصممٍ وبكلِّ ذِمْرٍ في اللبوسِ عبوسِ

---

[1] ديوان المتنبي : ٤٣٦ .
[2] ينظر الأدب العربي في الأندلس : ٣٠٤ .
[3] الذخيرة : ٢ : ١ : ٤٨٤ .
[4] ديوان المتنبي : ٤٩٢ .
[5] الأشتر : هو مالك بن الحارث ، ينظر الأعلام ١ : ٣٣١ .
[6] الذخيرة : ٢ : ١ : ٣٩٦ .
[7] أم المؤمنين : هي عائشة زوج الرسول (ﷺ) .

خيلٍ كأمثالِ الأجادلِ فوقها ليس غطارف عامدون لليس [١]

فإذا كسوناكم حِداد مآتمٍ أبْنا بصافيةِ الأديم عروس[٢]

نسقيكمُ خمر الردى بصوارمٍ ونُعَلَّ من خمر المنى بكؤوس [٣]

فقال أبو عامر : لقد سلَّم ابن الأبار لتلك الطائفة المردود عليها ، وتخلص ألطف تخلّص ، على أن الأشتر ما سلم ولا كرم [٤] .

ولقد ساوى الوزير الناقد ابن شهيد بين الألفاظ والمعاني من حيث الأهمية ، ويرى أن الواجب على الشاعر اختيار الجيد منها ، ولقد حذر الوزير ابن شهيد من خداع الألفاظ المسروقة و حلاوتها ، وقدم أراء تستحق الاهتمام والوقوف عندها ؛ لأن الألفاظ قد تكون رشيقة أنيقة ، ولكن لا تحمل معنىً كريماً : " فقد ترى الشعر فضي البشرة ، وهو رصاصي المكسر ، ذا ثوب معضد أو مهلهل ، وهو مشتمل على بهقٍ أو برصٍ ، مبنياً بلبن التماثيل ، وصفوان التهاويل ، وهو لا يُجِنّ صاحبه عن النسيم فضلا عن الحرجف [٥] ولا يقيه رقيق ريق النّدى فضلا عن شؤبوب الكنهور[٦] " [٧]

و أهل صناعة الكلام عند ابن شهيد ثلاثة أقسام :

١- قسم ينظم الأوصاف ويخترع المعاني ، ويحرز جيد الألفاظ ، ولكن توفيقه بينهما يعتمد على كد القريحة دون جدوى ، فيعجز عن بهاء البهجة وشرف المنزلة .

٢- قسم ماهر في التلفيق والحيلة ، فهو أخذ بأطراف المحاسن ويشارك في إنماء الصنعة بالحيلة .

---

[١] الأجادل : الصقور ، لسان العرب ١١ : ١٠٣ ، الغطارف : البازي الذي أخذ من وكره ٩ : ٢٧٩ – ٢٦٩ والليس : الشجاع الذي لا يبالي الحرب ، ٦ : ٢٩١

[٢] الأديم : الجلد ، واستعاره بعضهم للحرب ١٢ : ٩ .

[٣] الذخيرة : ٢ : ١ : ٣٩٧ .

[٤] ينظر المصدر السابق الصفحة نفسها .

[٥] الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب ، الوسيط ١: ١٦٥ .

[٦] الكنهور : من السحاب : قطع منه أمثال الجبال ، المصدر السابق ٢ : ٨٠٨ .

[٧] الذخيرة : ١ : ١ : ٣١٠ .

٣- قسم هم أصحاب الحدة البيانية الذين يبنون الكلام على الأندفاع و الانصباب إذا أزدحم عليه الكلام وحشرت عليه الصعاب اندفع وبقي كاللقوة[١] في المرقب سام نظره وقد ضم جناحيه ، ووقف على مخلبه ، لا تتاح له جارحة إلا اقتصَّها ولا تنازله طائرةٌ إلا اختطفها ، فمن خرج عن هذه الفئات الثلاثة لا يدخل في صناعة الكلام [٢].

ويتضح من خلال ما ورد سابقاً أن شعراء ملوك الطوائف لم تكن لديهم نزعة التعميق والتقصي ، والتكلف في الغوص وراء المعاني ، واصطياد الأفكار العميقة التي عرفت عند شعراء المشرق ، بل تركوا أنفسهم على سجيتها لتعبر عن خواطرهم ، وانفعالاتهم في كثير من العفوية ، و تأتي أفكارهم ملبية لهم ، ولهذا نجد أفكارهم ترد عفو الخاطر ، وهذا لا يعني أن شعرهم كان يفتقد الفكرة العميقة ، بل إننا نجد فيها الكثير منها ، ولكننا نحس في الوقت ذاته بالعفوية ، وربما يعود ذلك إلى بيئتهم وحياة الترف التي كانوا يعيشون فيها بالقرب من حكامهم .

---

[١] اللقوة : العقاب الخفيفة السريعة الأختطاف ، الوسيط ٢ : ٨٤٢ .

[٢] ينظر الذخيرة ١ : ١ : ٢٣٨ – ٢٣٩ ، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب : ٤٨٠ – ٤٨١ .

المبحث الثاني :
السرقـــــــات الشعريـــة

السرقة هي مماثلة المأخوذ للمأخوذ منه ، وتشير الروايات إلى وجودها بين الشعراء في العصر الجاهلي وانتشارها في العصر الأموي ، وتفشيها في العصر العباسي وقد تناولها النقاد بالدراسة منذ ذلك الوقت ، و نجد ابن شرف في مقامته " مسائل الانتقاد " وابن رشيق القيرواني يحدثنا عن السرقة في كتابه العمدة [١] ومن الملاحظ أن مشكلة السرقات الشعرية شكلت موضوعاً هاماً من موضوعات النقد في الأندلس منذ بدايته ، وقد حفظت المصادر الأندلسية صوراً منها وخاصة في مجالس الأمراء في عهد ملوك الطوائف ، ومن ذلك قول أبي عيسى بن لبون يخاطب كاتب أخيه أبا اليسع [٢] الذي خلفه من بعده على لورقة [٣] :

لو كنتَ تشهدُ يا هذا عشيَّتنا والمزنُ يسكبُ أحياناً وينحدرُ

والأرضُ مصفرَّةٌ بالمزنِ كاسيةٌ أبصرت تبْراً عليه الدرُّ ينتثر[٤]

فقوله هذا أخذه من الوزير الأسعد بن بليطة [٥] ، وقد أجاد فيما أراد :

لو كنتَ شاهدنا عشية أمسنا والمزنُ تبكينا بعيَنْي مذنبِ

والشمسُ قد مدَّت أديمَ شُعَاعِها في الأرضِ تجنحُ غير أن لمْ تذهبِ

خلتَ الرَّذاذَ بُرادةً منْ فضَّةٍ قد غربلتْ من فوقِ نطعٍ مَذهبِ[٦] [٧]

لقد قام ابن لبون بسرقة المعنى من الوزير في قوله : بأن المزن يبكي بعين المذنب ، فخاله برادة من فضة ؛ لشدة لمعان المزن عند سقوطه على الأرض

---

[١] ينظر العمدة ٢ : ٤٢٢ -٤٢٣ .
[٢] تمت الترجمة له : ٩٠ .
[٣] لورقة : هي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وبها حصن ومعقل محكم ، معجم البلدان ٥ : ٢٥ .
[٤] الذخيرة : ٣ : ١ : ١٠٦ .
[٥] تمت الترجمة له : ٦٤.
[٦] الرذاذ : المطر الخفيف ، لسان العرب ٣ : ٤٩٢ ، والبرادة : ما يتساقط من الحديد أو نحوه في أثناء برده معجم الوسيط ١ : ٤٧ .
[٧] الذخيرة ١ : ٢ : ٧٩١ .

فأصبحت تبراً عليه الدرُّ منتثر ، بعد أن كانت مصفرة ، فهذه سرقة محمودة في نظر بعض رجال الدولة [١] .

١- مواضع السرقات الشعرية :

تكون السرقات الشعرية في المعاني أكثر من الألفاظ ، فقد تنفد الألفاظ ويصبح من الصعب جداً اختراع ألفاظ جديدة ، وإنما تتحقق السرقة في المعاني التي تنقسم إلى قسمين :

معاني مشتركة ، ومعاني مخترعة ، فالمشتركة لا سرقة فيها؛ لأنها مما تفطن إليه النفس البشرية دون الاحتياج إلى من يلهمها مثل تشبيه الحسن بالشمس ، والجود بالبحر والشجاع بالأسد وغيرها ، أما المعاني المخترعة فهي المعاني التي لم يسبق اختراعها [٢] .

وللوزير ابن شهيد رأيه في السرقة فيقول : " إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك فأحسن تركيبه ، وأرق حاشيته فأضرب عنه جملة ، وإن لم يكن بد ففي غير العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن لتنشط طبيعتُك ، وتقوى مُنّتُك " [٣]

٢- دور رجال الدولة في توجيه السرقات بين الاستحسان والاستهجان :

لقد كان لرجال الدولة في عهد الطوائف دورهم في توجيه السرقات الشعرية فقد أخذوا أغلب معاني سابقيهم من الشعراء ، وخصوصاً الفحول منهم أمثال المعري ، والمتنبي ، والبحتري ، وغيرهم ويؤكد ذلك قول المتوكل بن الأفطس لشعرائه : " من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو شعر المعري فليسكتْ " [٤]

وأيضا كان مجاهد العامري صاحب دانية : " من أشد الناس في الشعر وأحرمهم لأهله ، وأنكدهم على نشيده ولا يزال يتعقبه عليه كلمة كلمة كاشفا لما زاغ

---

[١] ينظر مجلة دراسات أندلسية العدد ٢٨ ، مقالة للدكتورة : حميدة البلداوي – المطبعة المغاربية للطباعة والنشر تونس ٢٠٠٠ -٢٠٠٢ : ٨ .

[٢] ينظر أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني – تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجة ، وعبد العزيز شرف – دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١ م : ٣٠٧ – ٣٠٨ ، وتاريخ النقد الأندلسي : ٢٩٩ .

[٣] الذخيرة : ١:١: ٢٨٧ .

[٤] الذخيرة : ٢ :٢: ٦٤١ .

فيه من لفظه أو سرقة ، فلا تسلم على نقده قافية ثم لا يفوز المتخلص من مضماره على الجهد لديه بطائل " [1] .

وقول الشاعر عبد الجليل بن وهبون يؤكد ذلك :

يا تُرْبَةُ استبقي سناه ، ويا فَلاَ لا تَلْحقنْكَ جريمةٌ شنعاء [2]

البيت كقول المعري :

فيا قبرُ واهٍ مِنْ تُرابكَ لَيّناً علَيهِ وآهٍ مِنْ جنادِلِكَ الخُشْنِ[3]

لأُطبِقتَ إطباقَ المَحارَةِ فاحتَفِظْ بلؤلؤةِ المَجْدِ الحَقيقَةِ بالخزْنِ[4]

شبه القبر في إطباقه على الميت بالمحارة في احتفاظها باللؤلؤة فترابه لين مثل تراب الفل ، فأخذ ابن وهبون المعنى وزاد عليه ، وهذه من السرقات المحمودة في نظر الأمراء .

وقول ابن عبدون في الرشيد بن المعتمد :

هَفَتْ بي وَالدُجى يَهفو حَشاهُ كَما كَسَرَتْ عَلى خُززٍ عقابُ [5]

كقول المتنبي :

يَهُزُّ الجَيشُ حَوْلَكَ جانِبَيْهِ كَما نَفَضَتْ جَناحَيْها العُقابُ[6]

لقد نسخ ابن عبدون لفظ المتنبي مع إنه قصر عنه في المعنى [7] .

وقوله أيضا :

بَلِّغ سَلامَ فَمي يَدَي مَلِكٍ غابَ المُلوكُ عَنِ العُلا وَشَهد[8]

---

[1] البيان المغرب ٣ : ١٥٦ .
[2] الذخيرة ٢ :١ : ٤٨٤ .
[3] جندل المكان الغليظ فيه حجارة – لسان العرب ١١ : ١٢٨ – ١٢٩ .
[4] ديوان سقط الزند – أبو العلاء المعري – دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٨٠م : ١٧
[5] الذخيرة ٢ : ٢ : ٧٠٩ .
[6] ديوان المتنبي : ٣٨١ .
[7] الذخيرة ٢ : ٢ : ٧٠٩ .
[8] المصدر السابق ٢ : ١ : ٤٤٢ .

أخذه من الوزير حسان بن المصيصي [١] في مدحه للمعتمد :

مَنْ مُبْلِغٌ يَدَهُ أني نظمتُ لها شكراً جعلتُ قوافيه من القبلِ [٢]

هذه من السرقات المحمودة لدى الأمراء .

وقول الشاعر زيد بن عبد الرحمن بن مقانا في ابن حمود [٣] :

والندى يقطرُ من نرجِسهِ كدموعٍ اسبلتهنَّ الجفون [٤]

فقوله : " والندى يقطر من نرجسه " أخذه من قول ابن الرومي :

كأنَّ تلك الدموع قطرُ ندى يقْطُر من نرجسٍ على وردِ [٥]

لم يجد الشاعر سرقة المعنى ، فقد نقص منه وقصر عن المعنى الذي ذكره ابن الرومي [٦].

ولقد أفاد شعراء الطوائف من مذهب البحتري الشعري ، وعلى رأسهم الوزير ابن زيدون ، وخصوصا في سهولة الأسلوب ، وإشراق الديباجة وروعة الموسيقى الداخلية ، حتى لقبه النقاد ببحتري المغرب ، فقد حذا حذوه في كثير من المعاني وقوله :

لِلشَّفيعِ الثَّناءُ وَالحَمدُ في صَو بِ الحَيا لِلرِّياحِ ، لا لِلْغُيومِ [٧]

يرى ابن بسام [٨] أنه أخذه من قول البحتري :

حازَ حَمدي وَلِلرِّياحِ اللَّواتِي تَجْلُبُ الغَيْثَ مِثْلُ حَمْدِ الغُيُومِ [٩]

---

[١] أبو الوليد حسان بن المصيصي الشلبي كان مع ابن عمار وابن الملح في شلب اترابا ً متمازحين فلما سمت الحال بابن عمار أنف ابن الملح من خدمته ورضيها ابن المصيصي ، فقربه من المعتمد واستكتبه المأمون بن المعتمد وولاه مملكة قرطبة ، الذخيرة ٢ : ١ : ٤٣٣ ، والمغرب ١ : ٣٨٥ .

[٢] الذخيرة ٢ : ١ : ٤٣٩ .

[٣] تمت الترجمة له : ٤٣ .

[٤] الذخيرة ٢ : ٢ : ٧٩٢ .

[٥] ديوان ابن الرومي ٢ : ٧٦٧ .

[٦] الذخيرة ٢ : ٢ : ٧٩٣ .

[٧] ديوان ابن زيدون : ٢٨٣ .

[٨] ينظر الذخيرة ١ : ١ : ٣٤٧ .

[٩] ديوان البحتري – محمد التونجي – دار الكتاب العربي بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤ م : ٢ : ١١٣٠ .

وقوله أيضاً :

وَعَذَرْتُ سَيفي في نُبُوِّ غِرارِهِ أَنّي ضَرَبتُ فَلَم أَقَعْ بِالمَضرَبِ[1] [2]

فقام أبو الفضل بن شرف بنقل المعنى ، ولكن زاد فيه حسن النقل وبراعة التشبيه [3] فقال :

تقلدتْني الليالي وهي مدبرةٌ كأنني صارمٌ فيِّ كفِّ منهزمِ [4]

وقول ابن عبدون في المعتمد :

وَعلاً نَشَأنَ مَعَ النُجومِ وَقَبلَها وَلَهُنَّ مِن بَعدِ النُجومِ خُلودُ [5]

فقوله " وَعلاً نَشَأنَ مَعَ النُجومِ وَقَبلَها " مأخوذ من قول المعري ، وله فيه زيادة تجاوزت الغاية في الإجادة ، وخرقت في الإحسان كل عادة ، وهو قوله يصف خيلاً " [6] :

نَشَأنَ مع النَّعَامِ بكُلِّ دَوٍّ فقَدْ أَلِفَتْ نتائِجُها الرّئالا[7] [8]

وقوله :

وَعاوِنْ عَلى اِستِنجازِ طَبعٍ بِهَبَّةٍ ترقّصُ في أَلفاظِهنَّ المَعانِيا [9]

قال ابن بسام إنها من سرقاته الغريبة ، واختلاساته العجيبة تدق عن إعداد من المباني و إنها من خفيات المعاني ، ويراه من قول إدريس بن اليماني [10] ، وإن كان ملح وزاد حيث يقول :

---

[1] النُبُوِّ : الكلال والوهن ، الغرار : حد الرمح والسيف والسهم – لسان العرب ٥ : ١٦ .
[2] ديوان البحتري ١ : ١٣٨ .
[3] ينظر الذخيرة ٢ : ١: ٤٩٢.
[4] المصدر السابق ٢ : ١: ٤٩٣.
[5] المصدر السابق ٢ : ٢ : ٧٠٧ .
[6] المصدر السابق الصفحة نفسها .
[7] الرئالا : الرأل ولد النعام ، لسان العرب ١١ : ٢٦١ – ٢٦٢ .
[8] الذخيرة ٢ : ٢ : ٧٠٧ .
[9] المصدر السابق ٢ : ٢ : ٦٩٠ .
[10] أبو علي إدريس بن اليمان العبدري اليابسي ، توفى سنة ٤٧٠ هـ ، الذخيرة ٣ : ١ : ٣٣٦ ، والمغرب ١ : ٤٠٠ ، والجذوة : ١٦٠ .

ثقلتْ زجاجاتٌ أتتنا فُرَّغاً حتى إذا مُلئِتْ بصرف الراحِ

خَفّتْ فكادت تستطير بما حَوَتْ وكذا الجسومُ تخفُّ بالأرواحِ [1]

نلاحظ من خلال النصوص السابقة تأثر رجال الدولة بالشعراء السابقين من المشارقة ، فكان لهذا التأثير دوره في توجيه الشعراء إلى الأخذ من معاني السابقين لهم ؛ على أن يكون الأخذ فيه زيادة حسنة ؛ لتبين براعة الشاعر وتفوقه في قول الشعر ، فقد كان الأسعد بن بليطة حسن السرد ، وافترس المعالي كالأسد الورد وأبرز درر المحاسن من صدفها ، وحاز من بحر الإجادة وشرفها [2] فقوله :

وتلذ تعذيبي كأنك خلتني عوداً فليس يطيب ما لم يحرقِ [3]

مأخوذ من قول الوزير الشاعر ابن زيدون :

تَعدونني كَالمَنْدلِ الرَّطب ،و إِنَّما تَطيبُ لَكُمْ أَنفاسُهُ حينَ يُحْرَقُ [4]

ويعتبر ابن حمديس الصقلي شاعر المعتمد المقرب من أشد الشعراء المتأثرين بشعر المشارقة ، وخاصة بشعر ابن المعتز ، فقد قال في تصوير مأساة المعتمد بن عباد :

وَلَمّا رَحلتمْ بالنّدى في أَكفِّكمْ وَقُلْقِلَ رَضْوَى مِنكُمُ وثَبيرُ

رَفَعتُ لساني بِالقيامَةِ قَد أَتَت ألا فانظروا هذي الجبال تسيرُ [5]

لقد أخذ لفظه ومعناه من قول ابن المعتز في رثائه لعبيد الله بن سليمان [6] فقد قال :

---

[1] الذخيرة : ٢ : ٢: ٦٩٢ .
[2] ينظر المصدر السابق : ١ : ٢: ٧٩٠.
[3] النفح ٤ : ٥٢ .
[4] ديوان ابن زيدون ورسائله : ٥٩٠ .
[5] ديوان ابن حمديس : ٢٦٩ .
[6] عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي أبو القاسم : وزير من أكابر الكتاب استوزره المعتمد العباسي ، ينظر الأعلام ٤ : ١٩٤ .

قَدِ اِستَوى الناسُ وَزالَ الكَمالْ وَنـادَتِ الأَيّامُ أَينَ الرِجالْ

هَذا أَبو القاسِمِ في نَعشِـهِ قوموا اِنظُروا كَيفَ تَزولُ الجِبالْ [1]

وأيضاً قول رفيع الدولة بن المعتصم :

باكرْ إلى القصْفِ أبا عامرٍ فإنما نُجْحُ الفتى في البُكَرْ

مِنْ قبلِ أن يمسحَ كفُّ الصَّبا دمعَ الغوادي من خدودِ الزَّهرْ [2]

أخذ هذا البيت ابن حمديس في قصيدة مدح بها الرشيد بن المعتمد أولها :

قُمْ هاتِها من كفّ ذاتِ الوِشاحْ فقَد نَعَى اللّيلَ بشيرُ الصّباحْ

باكرْ إلى اللّذّاتِ وارْكَبْ لها سَوابقَ اللّهوِ ذواتِ المِراحْ

من قبل أنْ تَرْشُفَ شمسُ الضّحى ريقَ الغوادي من ثُغُورِ الأقاحْ [3]

إنها سرقة مليحة ، فلا مانع من أن يأخذ شاعر من شاعر آخر ، فقد تتوارد الألسنة وتتلاقى الخواطر ، فقد تلاقى الشاعران في المعنى مع اختلاف بسيط في صياغة الألفاظ ، فقد صاغ رفيع الدولة ألفاظه في قالب شعري رقيق ، فأخذ منه ابن حمديس المعنى مع تغيير في اللفظ ، فقال : ريق الغوادي من ثغور الأقاح ، بدلا من : دمع الغوادي من خدود الزهر .

---

[1] ديوان ابن المعتز ٢ : ٣٢٦ .
[2] الحلة ٢ : ٩٥ .
[3] ديوان ابن حمديس : ٨٩ .

المبحث الثالث :
نقـــد الصـــور و الأخيلـــــــة

أن الشعر الأندلسي تربى على الذوق المحدث ، وكان السبب في نمو هذا الاتجاه بقوة هو قيام الحضارة الأندلسية فاهتم الشعراء بوصف الجمال في الطبيعة والإنسان عن طريق الصور و الأخيلة ، وكان من أبرز العناصر التي ألتفت إليها النقاد المتذوقون عنصر التشبيه ، والدليل على ذلك وجود كتابين في القرن الخامس الهجري كتبا في التشبيهات ، أحدهما : كتاب أبي الحسن علي بن محمد بن الحسن الكاتب [١] ، والثاني : كتاب أبي الكتاني الطبيب [٢] ، كلاهما مقصور على تشبيهات الأندلسيين دون سواها ، فكلما تَحَضَّر الذوق زاد التفنن في طلب الصورة ، والفضل في هذا التطور راجع إلى اهتمام رجال الدولة بتجسيم الصور وبناء الأخيلة ، فأغلب صورهم مستوحاة من مجالسهم التي كانوا يعقدونها للشعراء وعامة العظماء ، فمن الطبيعي أن يتناول الشاعر بعض ما يجد أمامه من هذه الموصوفات بشكل بيّن أو خفي ، واعتمدوا في تلوين صورهم بألوان البيان المختلفة منها : التشبيه والاستعارة ، مع شيء من الصنعة التي تأتي ملائمة طيعة أحياناً ، ومزدحمة عصية متكلفة أحيانا أخرى ، مع نغمات عذبة ، وموسيقى تنساب انسياب خرير المياه في لين ورقة [٣] والدليل على ذلك تباحث المعتمد بن عباد مرة مع جلسائه في بيت المتنبي المشهور :

أَزورُهُم وَسَوادُ اللَيلِ يَشفَعُ لي وَأَنثَني وَبَياضُ الصُبحِ يُغري بي[٤]

فقال المعتمد : إن جمال هذا البيت يشوبه بعض التشويه ، فسأل الحاضرين فقالوا له : ما وقفنا على شيء . فقال المعتمد : الليل لا يطابق إلا بالنهار ، ولا يطابق بالصبح ؛ لأن الليل كلي والصبح جزئي ، فدهش الحاضرون لدقة ملاحظته وتدقيقه في انتقاده [٥] .

---

[١] أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسين الكاتب مشهور بالأدب والشعر ، وله في التشبيهات من أشعار أهل الأندلس كان في الدولة العامرية ، وعاش إلى أيام الفتنة ، الجذوة : ٢٩٠ .

[٢] هو كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس – تحقيق : إحسان عباس – دار الثقافة بيروت – لبنان .

[٣] ينظر الأدب العربي في الأندلس :٩٠

[٤] ديوان المتنبي : ٤٤٨ .

[٥] ينظر النفح ٤ : ٢٦١ .

كما قام الشاعر عبد الجليل بن وهبون مدح المعتمد بقصيدة فيها تسعون بيتاً فأجازه بتسعين ديناراً فيها دينار مقروض ، فلم يعرف العلة في ذلك إلى أن تأملها ، فإذا هو قد خرج من العروض الطويل إلى العروض الكامل فعرف حينئذ السبب [١] .

وروى صاحب النفح أن ابن الصابوني [٢] حضر يوماً بين يدي المعتضد العبادي ملك إشبيلية ، وقد نثرت أمامه جملة من دنانير سُكَّتْ باسمه ، فقال :

قد فَخَرَ الدينارُ والدرهمُ لمّا علا دين لكم مِيَسمُ

كلاهما يُفْصِحُ عن مجدكم وكلَّ جزءٍ منه فرد فم [٣]

ثم أردف قائلا في وصف الدنانير :

كأنَّها الأنجمُ والبعدُ قد حقق عندي أنَّها الأرْجم [٤]

فأشار المعتضد إلى وزيره ، فأعطاه منها جملة ، وقال له : بدل هذا البيت لئلا يبقى ذماً [٥] ، فقد شبه الدنانير بالنجوم في بعدها عنه ، ويتمنى أن يرمى بهذه الدنانير بدلا من هذه الحجارة .

ومع هذا فلم تصلنا مواقف نقدية غير الذي ذكر تبين رأيهم بشكل مباشر في اختيار الصور وبراعة الخيال لدى الشعراء ، إلا أنهم كانت لديهم إيحاءات تُظهر استحسانهم لصورةٍ معينة لدى شاعر دون آخر ، وبطبيعة الحال فقد كان لشعرائهم إحساس مرهف ، وخيال بارع في تصوير ما يحسون به تجاه رجال دولتهم فكان لهذا الإحساس تأثير غير مباشر على توجيه الشعراء نحو الصور التي يرغب الأمراء في تصويرها وتجسيمها كما جاء في قول ابن زيدون عندما بعث إلى أميره أبي الوليد بن جهور هدية تفاح ، وكتب معها :

---

[١] ينظر البيئة الأندلسية : ٢٦١ .

[٢] أبو بكر محمد بن الفقيه أبي العباس أحمد بن الصابوني شاعر اشبيلية ، ينظر النفح ٣ : ٥١٩ ، والمغرب ١ : ٢٦٨ .

[٣] ينظر النفح ٣ : ٥١٩ .

[٤] الأرجم : الرجم الشهب أو هي ما يظهر في السماء كأنها نجوم تتساقط ، المعجم الوسيط : ١ : ٣٣٣ .

[٥] ينظر النفح ٣ : ٥١٩ .

أَتَتكَ بِلَونِ الحبيبِ الخَجِلْ تُخَالِطُ لَونَ المُحِبِّ الْوَجِلْ

ثِمارٌ تَضَمَّنَ إدراكَها هَواءٌ أَحاطَ بِها مُعتَدِلْ

ثم يقول

لَها مَنْظَرٌ حَسَنٌ في العُيونِ كَدُنْيَاكَ لَكِنَّهُ مُنْتَقِلْ

وَطَعمٌ يَلَذُّ لِمَنْ ذاقَهُ كَلَذَّةِ ذِكْراكَ لَو لَمْ يُمَلْ

يُمَثِّـــلُ مَلمَسُـهـــا لِلأَكُـ فِّ لينَ زَمــانِـكَ أَوْ يَمْتَثِـلْ [1]

لقد شبه احمرار التفاح بخد الحبيب إذا ضربه الحياء ، و باصفراره إذا برح به الوجد واستبد به الخوف ، فأنضج الهواء المعتدل هذا التفاح ، فجاء غضا عذب المذاق ، ومنظر هذا التفاح جميل يشبه منظر دنياك الرائعة ، ولكنه زائل وهي باقية ومذاقه لذيذ يشبه ذاكراك العذبة الحلوة ، ولكن حلاوته تمل بعد حين ، أما ذكراك فعذوبتهـا مشتهـــاة على الدوام ، وملمسه الناعم المصقول يشبـــه زمنك الرقيق الندي ؛ أعجب الأمير بهذه القصيدة أيما إعجاب فأصبح ابن زيدون وزيره الأول فقد كان ابن زيدون يتمتع برهافة في المشاعر ، وخيال واسع يقظ ، فقد جمع بين الأوصاف الحسية والمعنوية ، وإبراز المؤثرات الجمالية في الحواس الإنسانية [2] .

ويقول المعتضد :

أَتَتكَ أُمُّ الحَسَنِ تَشدو بِصَوتٍ حَسنِ[3]

تَمُدُّ في أَلحانِها مَدَّ الغناءِ المَدَني

تَقود منّي سَلسلاً كَأَنَّني في رسنِ

---

[1] ديوان ابن زيدون: ٢٤٣ – ٢٤٤ .

[2] ينظر ديـــوان ابن زيـدون ورسائلـــه : ٢٤٣ - ٢٤٤ .

[3] أم الحسن : نوع من أنواع الطيور وهو البلبل حسن الصوت يضرب به المثل في طلاقة اللسان وحسن الصوت ، المعجم الوسيط ١: ٦٧ .

أَوراقُها أَستارُها إذا شدَتْ في فَنَنِ [1]

شبه المعتضد صوت الجارية وهي تغني خلف الستار بصوت البلبل عندما يغني على الشجر خلف الأوراق في فصل الربيع ، فاستعار الأوراق وجعلها أستاراً ، وهذا نوع من الخيال الشعري حيث ذهب به إلى تصوير الأوراق بالأستار

ولقد أُعجب بهذه الصورة الكثير من الشعراء على الرغم من رقتها وبساطتها فقال ابن عبدون في نفس الصورة :

يا نفحةَ الزَّهْرِ من مَسْراك وافاني خلوصُ ريَّاكِ في أنفاسِ آذار

والأرضُ في حُللٍ قد كادَ يُحْرقُها توقُّدُ النور لولا ماؤها الجاري

والطيرُ في ورقِ الأشجار شاديةٌ كأنهنَّ قيانٌ خلف أستار[2]

إن هذه الأبيات تؤكد تأثير رجال الدولة في رسم الصورة وبناء الأخيلة ، وإن لم تكن هناك دلالات ومواقف نقدية واضحة تؤكد نقدهم لصور الشعراء بشكل بيِّن ولكن كان رجل الدولة يوجه شعراءه إلى رسم الصور التي يفضلها هو ، ويمكن أن يعتبر هذا نوع من النقد ؛ لأن النقد في تلك الفترة كان نقداً ذاتيا مبنياً على الفطرة ولم يكن نقداً موضوعياً بكل المقاييس كما هو الآن .

ومع هذا فقد تميز الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف بشتى مظاهر الجمال الطبيعية والصناعية ، فتزاحمت الصور الخيالية تزاحماً ظاهراً ، وقد أتوا في هذه الصور بالعجائب من أوصاف جميلة ، وخيال واسع وتشبيهات رائعة ، ولا سيما في وصف القصور والحدائق ومجالس الشراب لدى الأمراء ، ومن التشبيهات المبتكرة قول ابن حمديس :

زادَتْ على كحْلِ العيونِ تَكَحّلاً ويسمُّ نَصْلُ السّهْمِ وهو قَتولُ [3]

---

[1] الذخيرة ٢ : ١ : ٣٠ .
[2] المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
[3] ديوان ابن حمديس : ٥٥٨ .

لقد استخدم الشاعر التشبيه الضمني ليرسم صورة تجمع بين صفتي الجمال الطبيعي والجمال الصناعي ، فقد شبه العين بالسهم القاتل ، الذي يضاف إليه السم الفتاك ؛ ليكون أشد قوة وتأثيراً [١] .

وروى صاحب النفح أن ابن الحداد قال أبياتاً في المعتصم :

واصِلْ أخاكَ وإنْ أَتاكَ بِمُنْكَرٍ فَخُلُوْصُ شيءٍ قَلَّمَا يتَمَكَّنُ

ولكلِّ شيءٍ آفةٌ مَوْجُوْدَةٌ إنَّ السِّراجَ على سَنَاهُ يُدَخِّنُ [٢]

فعندما سمعها المعتصم ابتسم وقال : لمن حوله من الموجودين في مجلسه : أتعرف إلى من أشار بهذا المعنى ، فقال أحد الأدباء : ما أعرف إلا أنَّه مليح ، فقال المعتصم : كنت في الصبا وهو معي ألقب بسراج الدولة ، قاتله الله ما أشعره ! فبحث الحاضرون في ذلك ، وأقروا بحسن حدس المعتصم ، ففر ابن الحداد من المرية فحبس المعتصم أخاه ، فقال :

الدَّهْرُ لا يَنْفَكُّ مِنْ حَدَثَانهِ والمَرْءُ مُنْقَادٌ لِحُكْمِ زَمَانِهِ

وعَلِمْتُ أنَّ السَّعْيَ ليس بِمُنْجِح ما لا يكونُ السَّعْدُ من أَعْوَانِهِ

والجِدُّ دُونَ الجَدِّ ليس بنافعٍ والرُّمْحُ لا يمضِي بغير سِنَانِهِ[٣]

فلما بلغت الأبيات المعتصم قال : شعره أعقل منه ، صدق فإنه لا يتهيأ له صلاح عيش إلا بأخيه ، فهو منه بمنزلة الرمح ، ثم أمر بإطلاق سراحه ، وإلحاقه به [٤] .

وأيضا من الشعراء الذين لهم خيال واسع يقظ شاعر المعتمد ابن حمديس الصقلي ، فقد كان يمثل في صورة المحسوس بالمعقول ، والمعقول بالمحسوس في أسلوب عذب ، وبيان ناصح ، وتعبير جميل وخير دليل على قوة تصويره وبراعة خياله قوله يصف نهراً صافيا :

---

[١] ينظر دراسات في الأدب الأندلسي : ١٩٠ .
[٢] الذخيرة : ١ : ٢ : ٧٢٩ .
[٣] المصدر السابق : ١ : ٢ : ٧٢٤ .
[٤] ينظر النفح ٤ : ٥٠٤ .

وَمُطَّرِدِ الأَجزاءِ يَصقُلُ مَتْنَهُ صَبا أَعْلَنَتْ لِلعَينِ ما في ضَميرِهِ

جَريحٌ بِأَطرافِ الحَصى كُلَّما جَرى عَلَيها شَكا أَوجاعَهُ بِخَريرِهِ [1]

شبه النهر بالإنسان الجريح و الذي يزداد ألمه كلما وضع يديه على الجرح . وقول ذي الوزارتين المعتضد بن عباد ، وقد دخل بستاناً لأبي الوليد الحميري [2] اكتسبه من نوافل كرمه ، و سوابغ نعمه ، فرأى يا سميناً فيه ، فقال :

كَأَنَّما ياسَمينُنَا الغَضُّ كَواكِبٌ في السَّماءِ تَبْيضُّ

وَالطُرُقُ الحُمْرُ في جَوانِبِهِ كَخَدٍّ عَذْراءَ نالَهُ العَضُّ [3]

لقد شبه النَّوار بالكواكب ، وخضرة ورقه بخضرة السماء ، ثم صور الطرق الحمر في جوانبه بخد حسناء أصابه العضُّ ، فقال أبو الوليد : لم أسمع لأحد قبله حمرته ، وهي تكثر عن قلّة الياسمين في زمن الشتاء ، وتقل عند كثرته [4] فأعجب الشعراء بهذه الصورة و تأثروا بها ، و من ذلك قول ابن حمديس في تصويره لزهرة الشقيق :

نَظَرتُ إِلى حُسْنِ الرِّياضِ وغَيمُها جَرَى دَمْعُهُ مِنهُنَّ في أَعيُنِ الزَّهْرِ

فَلَمْ تَرَ عَيني بَينها كَشَقائِقٍ تُبَلبِلُها الأَرواحُ في القَضَبِ الخَضرِ

كَما مَشَطَتْ غِيدُ القِيانِ شُعورَها وَقامَتْ لِرَقصٍ في غَلائِلِها الحُمْرِ [5][6]

لقد قام ابن حمديس بتجديد وابتكار صورة المعتضد السابقة ، فشبه زهرة الشقيق في استوائها واتساقها بثغور القيان الممشطة ، وهن يرقصن في غلائل حمراء .

---

[1] ديوان ابن حمديس : ١٨٦.

[2] أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري ، توفى سنة ٤٤٠ هـ ، ينظر الذخيرة ٢ : ١ : ١٢٤ و المغرب ١ : ٢٥٠ والجذوة : ١٥٢ ، والبغية :١٩٤ .

[3] ديوان المعتمد : ٤٠١ .

[4] ينظر البديع في وصف الربيع لأبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري ، تصحيح : هنري بيرس – منشورات دار الأفاق الجديدة المغرب ١٩٨٩ م : ٧٢ .

[5] غيد غيداً تمايل وتثنى في لين ونعومة ،أي المرأة المنثنية من اللين وقد تغايدت في مشيتها ، ينظر المعجم الوسيط : ٢ : ٦٧٤ .

[6] ديوان ابن حمديس : ١٩٢ .

والفضل في وجود مثل هذه الصور يعود إلى اهتمام رجال الدولة بالشعر وخاصة في مجالسهم العجيبة والأوصاف البارعة ، والفنون المستطرفة من صور التشبيهات إلا أن ذلك جميعه كان يعود على الأدب بالفائدة ، والمنفعة ، حتى كاد أن يكون بهم القرن الخامس الهجري تاريخاً بحد ذاته [١] .

وقول أبي عامر بن مسلمة [٢] وزير المعتضد في وصف البهار والبنفسج :

قدِم البهارُ مع البنفسج فاشـ ربنَّ عليهما بين الرياض الغضَّهْ

هذا كمعشوق وعاشقه وذا مثلُ الحزين و دُموعه مَرْفَضَّهْ

وترى البهار كأنه يا قوتة صفراءُ تحملها أكُفٌّ بضَّهْ

قد ستَّرت حَذَرَ الرقيب معاصماً بمطارفٍ خُضْرٍ وأبدت فِضَّهْ

وجرى النُّضارُ بها فحسَّن خلقها كمثال معشوقٍ تَشكَّى مَرْضَهْ

وكأن ذاك بخدها وبنحرها عند العيانِ لنا بقايا عضَّهْ[٣]

وقوله كأن ذاك أشار إلى البنفسج إذ بعد ذكره لانشغاله بوصف البهار ، ولقد بعث الشاعر في الزهور الحياة ، وأعطاها صفات البشر ، فهي تشعر وتتحرك وتفرح وتبتئس وتحس بكل ما يحس به الإنسان فأعجبت هذه الصور المعتضد إيما إعجاب ؛ لأنه كان مشغوفا بحبه للورد عامة ، وللبهار والياسمين و البنفسج خاصة فلم يصدر أي تعليق نقدي على هذه الأبيات ؛ لأن وزيره أحسن اختيار الزهور المفضلة لدى أميره .

وقوله أيضاً في مدح ذي الوزارتين القاضي (ابن عباد) :

وروضةٍ مُشرْقةٍ بكل نَوْرٍ مُجْتَنَى

فيها بهارٌ باهرٌ ونرجس يشكو الضنى

---

[١] ينظر تاريخ آداب العرب ٣ : ٢٥١ .
[٢] تمت الترجمة له : ٣١ .
[٣] البديع : ٣٤ .

وياسمين أرضهُ ونوْره تلوّنا

كالليل مُخضرّاً ولـ كن بالنجوم زُيِّنا

فاجتن أورداً وارداً وسوسَناً مُلسَّنا

وحولـه نَيْلوفَرُ فِتْنةُ رانٍ إن رَنا [1]

وهنا نجد إحساس الشاعر بالألوان واضحاً ، وكيف حاول رسم صورة مركبة مليئة بالحركة والحياة .

وللحاجب أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي [2] في وصف النواوير أبيات بارعة فيها تشبيهات رائعة ، ومنها قوله :

أنظر إلى الروضِ الأريض تَخالُه كالوشْي نُمِّقَ أحسن التنَّميقِ

وكأنما السُّوسان صبتٌ مدنفّ لعبتْ يداه بجيبْه المشقوقِ

يوم الوداعِ ومُزِّقت أثوابُه جزعاً عليه أيَّما تمزيقِ

والنرجس الغضُّ الذكيّ محاجِرٌ تَعبِتْ من التسهيدِ والتأريقِ

يحكي لنا لون المحبّ بلونه وإذا تنسَّم نكهة المعشوقِ

وكأنّ دائرة الحديقة عندما جاد الغمامُ لها برَشْفِ الرِّيقِ

فَلَكٌ من الياقوتِ يسْطع نُورهُ فيه كواكبُ جوهرٍ وعقيقِ [3]

" شبه أوراق السوسن في افتراقها بجيب مشقوق ، وهو معنى دقيق أنيق ، وقد

---

[1] البديع : ٣٤ .

[2] عثمان بن الوزير أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي ، من أهل الأدب والشعر ، الجذوة : ٢٨٦ والبغية : ٣٦٠ .

[3] البديع : ٣٠ .

تداوله جماعة وأظنه من اختراعه ، وتشبيهه الأخير في الحديقة من التشبيهات العقم على الحقيقة " [1] .

إذن فقد كان في عصر ملوك الطوائف شعراء يجيدون قول الشعر في جميع أغراضه ، وخاصة في الأغراض التي كان يفضلها رجال الدولة في القرن الخامس الهجري ، وإن لم تكن هناك مواقف نقدية كثيرة توضح رأي رجال الدولة إلا أن شعرهم كان مرآة صادقة توضح اهتمام رجال الدولة بالشعر ورغبتهم في تطويره وازدهاره ، من خلال عنايتهم بالشعراء وتوجيههم التوجيه الصحيح .

[1] تاريخ النقد الأندلسي : ٢٩١ .

الخـــاتمـــة

لقد استغرق البحث مـدة طويلة من الزمن ؛ حيث واجهتُ بعض المصاعب منها عدم توفـر العدد الكـافي من المصـادر والمراجـع ، كمـا ذكـرت فـي المقدمـة ، والتـي تعـين الباحثـة وتفـتح أمامهـا آفـاق البحـث ، وتجعـل تفكيرهـا يـزداد تعمقـاً وشـمولاً للموضوع فهــذه من أهــم العقبــات التي تحد من طمـوح الباحث وتثنـي من عزمـه وتجعلـه يشـعر باليــأس فـي بعض الأحيــان ، وبـالرغم من ذلك كلـه فقد تمكنـت من إنجــاز هـذا البحث بمـا تـوفر لـدي من مصــادر ومراجـع ، ولقد أدركـت جملـة من النتائج أختصرها في النقاط التالية :

1- إن لملوك الأندلس في عهد الطوائف شخصية واضحة في شعرهم ، استمدوها من بيئـتهم ، وطبيعـة بلادهـم السـاحرة التـي كانـت مصـدر إلهـامهم ، وصـفاء أذهـانهم وسماحة وجـدانهم وعذوبـة بيـانهم ، فقد ذهبـوا بالشـعر وتـألقوا فـي اختيـار ألفاظـه وصياغة معانيـة ، ونوعوا فـي أغلـب قوافيــه ،وتفننوا فـي رسم خيالـه ، فقد كانـت أغلب صورهم مستوحاة من بيئتهم ، إلا أن الشعر الأندلسي في عهد الطوائف كان يسـتند فـي بدايتـه علـى الشـعر المشـرقي ، فقد اتبعـوا طريـق الشـعراء المشـارقة وسـاروا علـى نهجهم فـي اختيـار الألفـاظ ، وهذا لـيس بالشـيء المعيب ؛ لأن الألفـاظ ليست ملكاً لعصر معين ، وفي المقابل لونوا المعاني بصور بيئتهم التي عاشوا فيها .

2 - لقد تناول شعراء الطوائف أغلب الأغراض الشعرية ، ومن الأغراض الشعرية التـي تميـزوا بهـا عـن المشـارقة رثـاء الممالـك و المـدن الزائلـة ، وأيضـاً وصـف القصور وصفاً دقيقاً بما تحويه من تحف وتماثيل ، ووصفوا الطبيعة أيضاً بشكل لم يكن معهوداً من قبل ، واتسع مجال الغزل لديهم ، فكان الغزل بالغلمان موضوعاً لأشعارهم .

3- لقد شاع عند ملوك الطوائف حبهم للقديم والميل إلى الشعر المشرقي وإعجابهم بفحول الشعراء أمثال أبي الطيب المتنبي ، وأبي العلاء المعري والبحتري و غيرهم ، فجاءت ألفاظهم سهلة ومعانيهم رقيقة عذبة سلسة التركيب والسر في هذه السلاسة راجع إلى سهولة طباعهم ولين أخلاقهم ، وإرسالهم القول من غير تكليف ، ولا تصنع .

4- استطاع أيضاً رجال الدولة أن يجمعوا بين إمارة السيف والجود والقلم ، فقد كانوا محببين إلى الشعراء بنوع خاص ؛ وذلك لكرمهم وسماحة طباعهم ، وحبهم للشعر وتقديرهم للشعراء ، فقد كان رجال الدولة في القرن الخامس أدباء وشعراء يتذوقون الأدب ويقرضون الشعر ، ومن فرط عنايتهم بالأدب واعتدادهم بالشعر لا يستوزرون وزيراً إلا إذا كان شاعراً أو أديباً ، فكثر الوزراء في القرن الخامس كثرة لم تكن فيما قبله ، ولم تعهد فيما بعده ، فسمي هذا العصر بعصر الوزراء ، حتى أن لقب الوزير صار يعطى لكل شاعر مجيد ، وأصبح لقباً شرفياً لا أكثر ، في حين صار لقب ذي الوزارتين اللقب الذي يجمع صاحب السياسة والأدب أي وزارتي السيف والقلم .

5 – أن النقد في القرن الخامس الهجري كان نقداً موضوعياً إلى حد ما فقد تربى على الذوق المحدث ، فأبرز العناصر التي ألتفت إليها نقد المعاني والألفاظ وعنصر التشبيه ، والدليل على ذلك وجود كتابين في ذلك الوقت كتبا في التشبيهات كما ذكرتُ في البحث ، والفضل في هذا التطور راجع إلى اهتمام رجال الدولة بتجسيم الصورة وبناء الخيال ، فأغلب صورهم مستوحاة من مجالسهم التي كانوا يعقدونها للشعراء ، وعامة العظماء ، فمن الطبيعي أن يتناول الشاعر بعض ما يجد أمامه من هذه الموضوعات ، ومع هذا فلم تصلنا مواقف نقدية كافية توضح لنا دور رجال الدولة في نقد الشعر ، إلا شذراة نقدية قليلة تم ذكرها في البحث .

وهــذا البحث يفتح آفاقــاً جديدة أمام الدارسيـن حيث تبين وجـود العديد من الموضوعــات التـي تستوجب البحث والدراســة المعمقــة ، ومـن ذلك علـى سبيل المثــال : السرقــات الشعرية التي كانت تحدث بين الشعراء ، وأيضـاً نقد الشعر فـي القرن الخـامس الهجـري وكـذلك تنـاول غـرض الوصـف بجميـع أنواعـه مـن وصـف طبيعة وبحار وقصور إلى غير ذلك .

والله ولـي التوفيــق

الباحثة

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضـوعـــات .

فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

	(أ)
1-	القرآن الكريم ، مصحف الجماهيرية (برواية قالون عن نافع المدني)
2-	ابن شهيد وجهوده في النقد الأدبي –عبد الله سالم المعطاني – الناشر دار المعارف الإسكندرية مركز الدلتا للطباعة .
٣-	الإحاطة في أخبار غرناطة- لسان الدين بن الخطيب – تحقيق محمد عبد الله عنان – دار المعارف بمصر – الطبعة الأولى – سنة 1974.
٤-	أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث – بطرس البستاني – دار نظير عبود بيروت – طبعة جديدة منقحة .
٥-	الأدب الأندلسي التطور والتجديد –عبد المنعم خفاجي – دار الجيل بيروت لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢ ف .
٦-	الأدب العربي في الأندلس تطوره ، موضوعاته، واشهر أعلامه – علي محمد سلامة – الدار العربية للموسوعات – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩ ف .
٧-	أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف – دار الجيل بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩١ ف
٨-	أشبيلية في القرن الخامس الهجري –صلاح خالص – دار الثقافة بيروت – لبنان سنة ١٩٦٥ ف .
٩-	الأعلام – تأليف خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين بيروت – لبنان – الطبعة السادسة - سنة ١٩٨٤ ف .
	(ب)
١٠-	بدائع البدائة –علي بن ظافر الأزدي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية للطباعة والنشر – صيدا – بيروت سنة ١٩٩٢ م .
١١-	البديع في وصف الربيع –أبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري ' واعتنى بنشره وتصحيحه هنري بيرس – منشورات دار الأفاق الجديدة – المغرب - سنة ١٩٨٩ ف .
١٢	بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس –أحمد بن يحيى ابن عميرة الضبي تحقيق : روحية عبد الرحمن السويفي – منشورات دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى .
١٣-	البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ابن عذارى المراكشي – تحقيق كولان وليفي بروفنسال – الدار العربية للكتاب – بيروت – الطبعة الثالثة – سنة ١٩٨٣ ف .

	البيئة الأندلسية وأثرها في شعر عصر ملوك الطوائف – سعد إسماعيل شلبي دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
(ت)	
١٥-	تاريخ ابن خلدون – منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت - لبنان سنة ١٩٧١ ف .
١٦-	تاريخ الفكر الأندلسي – أنخل جنثالث بالنثيا – ترجمة حسين مؤنس – طبعة القاهرة – مكتبة الثقافة الدينية .
١٧-	تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرافعي ، مراجعة درويش الجويدي المكتبة العصرية صيدا – بيروت – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠ ف
١٨-	تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة –إحسان عباس – دار الثقافة بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – سنة ١٩٦٠ ف .
١٩	تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين –إحسان عباس – دار الثقافة بيروت – لبنان – الطبعة السادسة- سنة ١٩٨١ ف .
٢٠	تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات الأندلس – شوقي ضيف – دار المعارف القاهرة – مصر – الطبعة الأولى .
٢١-	تاريخ الأدب العربي –أحمد حسن الزيّات – دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة .
٢٢-	تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس –السيد عبد العزيز سالم – دار النهضة للطباعة والنشر بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – سنة ١٩٦٩ ف .
٢٣-	تاريخ ملوك العرب الشعراء –علي المصري – دار الكتاب العربي .
٢٤-	تاريخ النقد الأدبي عند العرب –إحسان عباس – دار الثقافة بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٢ ف .
٢٥-	تاريخ النقد الأدبي في الأندلس – محمد رضوان الداية – دار الأنوار – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨ف .
٢٦-	التشبيهات من أشعار أهل الأندلس – تحقيق إحسان عباس – دار الثقافة بيروت – لبنان .
(ج)	
٢٧-	جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة –أبي عبد الله بن محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي – تحقيق محمد بن تاويت الطنجي – مكتبة الخانجي بالقاهرة – مصر .
(ح)	
٢٨-	الحلة السيراء لابن الأبار – تحقيق حسين مؤنس – دار الكتاب العربي – الطبعة الأولى – سنة ١٩٦٣ ف .

٢٩-	حول الأدب الأندلسي –قيصر مصطفى – دار الأشرف للطباعة والنشر بيروت لبنان – سنة ١٩٨٧ ف .
	(خ)
٣٠-	خريدة القصر وجريدة العصر –العماد الأصفهاني – تحقيق أذرتاش أذرنوش نقحه محمد المرزوقي ومحمد العروسي والمطوي الجيلاني – قسم شعراء المغرب الأندلس – الدار التونسية للنشر – النشرة الثانية سنة ١٩٧٣ ف.
	(د)
31-	دراسات أدبية في الشعر الأندلسي –سعد إسماعيل شلبي – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – الفجالة .
32-	دراسات أندلسية في الأدب والتأريخ والفلسفة –الطاهر أحمد مكي – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٠ ف .
33-	دراسات في الأدب الأندلسي – العربي سالم الشريف – دار شموع الثقافة الزاوية - الجماهيرية – الطبعة الأولى ٢٠٠٣ ف .
34-	ديوان ابن خفاجة – تحقيق سيد غازي – دار المعارف – الطبعة الثانية – سنة ١٩٧٩ ف .
٣٥-	ديوان ابن الرومي – لأبي الحسن علي بن جريج – تحقيق حسين نصّار – مطبعة دار الكتب – سنة ١٩٧٦ ف .
36-	ديوان ابن زيدون ورسائله تحقيق علي عبد العظيم – مكتبة النهضة للنشر – مصر سنة ١٩٥٧ .
37 -	ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله – جمعه وحققه وشرحه محي الدين ديب المكتبة العصرية صيدا – بيروت – الطبعة الأولى – سنة ١٩٩٧ ف .
٣٨-	ديوان ابن المعتز – شرحه مجيد طراد – دار الكتاب العربي – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥ ف .
٣٩-	ديوان أبو إسحاق الألبيري – حققه محمد رضوان الداية – مؤسسة الرسالة بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٩٧٦ ف .
٤٠-	ديوان أبو العلاء المعري – دار بيروت للطباعة والنشر – سنة ١٩٨٠ ف .
٤١-	ديوان البحتري – محمد التونجي – دار الكتاب العربي بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤ ف .
٤٢-	ديوان ذي الرمة - أحمد بن حاتم الباهلي – حققه عبد القدوس أبو صالح مؤسسة الإيمان للتوزيع والنشر والطباعة ، سنة ١٩٨٢
٤٣-	ديوان المتنبي – دار صادر بيروت – طبعة جديدة منقحة – سنة ٢٠٠٠ ف .

٤٤-	ديوان مجنون ليلى – يوسف فرحات – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الرابعة – سنة ١٩٩٩ ف .
٤٥-	ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية – جمع وتحقيق رضا الحبيب السويسي الدار التونسية للنشر – سنة ١٩٧٥ ف .
٤٦-	ديوان النابغة الجعدي – منشورات المكتب الإسلامي بدمشق – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤ ف .
	(ذ)
٤٧-	الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – لابن بسام الشنتريني – تحقيق إحسان عباس الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس – سنة ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ ف
	(ر)
٤٨-	رثاء المدن في الشعر الأندلسي –عبد الله محمد الزيات – منشورات جامعة قار يونس الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠ ف .
	(ش)
٤٩-	شرح أشعار الهذليين – لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري – حققه عبد الستار أحمد فرج – مكتبة دار العروبة – مصر .
٥٠-	الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه –إميليو غريسيه غومس – ترجمة حسين مؤنس – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الثانية – سنة ١٩٥٦
٥١-	الشعراء العرب – فواز الشعار – إشراف إميل يعقوب – دار الجيل بيروت لبنان – الطبعة الأولى - سنة ١٩٩٩ ف .
٥٢-	الشعر العربي في أسبانيا وصقلية –فون شاك – ترجمة الطاهر أحمد مكي – دار الفكر العربي القاهرة – سنة ١٩٩٩ ف .
٥٣-	الشعراء وإنشاد الشعر –علي الجندي – دار المعارف – مصر – سنة ١٩٦٩ف
	(ص)
٥٤-	الصناعتين في الكتابة والشعر لأبي الهلال الحسن بن عبد الله ابن سهل العسكري تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل – المكتبة العصرية صيدا لبنان الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٦ ف .
	(ط)
٥٥-	طوق الحمامة في الألفة والإلاّف –لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي - تحقيق نصر فريد ومحمد واصل وعبد العزيز محمد عزّام ومحمد فهمي السرجاني – مطبعة الفجالة – مصر – سنة ١٩٧٦ ف .

	(ع)
٥٦-	العروض والقافية - يوسف بكار- دار المناهل للطباعة والنشر – بيروت لبنان – الطبعة الثانية ١٩٩٠ ف .
٥٧-	العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده –لابن رشيق القيرواني شرحه وفهرسه صلاح الدين الهواري- دار مكتبة الهلال – بيروت – لبنان الطبعة الأولى – سنة ١٩٩٦ ف .
	(ف)
٥٨-	في الأدب الأندلسي – جودت الركابي – دار المعارف بمصر – الطبعة الثانية .
٥٩-	في الأدب الأندلسي – محمد رضوان الداية ، دار الفكر دمشق سوريا – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠ف .
٦٠-	في ربوع الأندلس –عيسى الناعوري – الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس سنة ١٩٧٨ ف .
٦١-	في النقد الأدبي – شوقي ضيف – دار المعارف مصر – الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨ ف .
٦٢-	فوات الوفيات والذيل عليها – محمد بن شاكر الكتبي – تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت – لبنان .
	(ق)
٦٣-	قصة الأدب في الأندلس – محمد عبد المنعم خفاجة – منشورات مكتبة المعارف مصر – سنة ١٩٦٢ ف .
٦٤-	قلائد العقيان في محاسن الأعيان للفتح بن خاقان، وضع فهارسه : محمد العناني المكتبة العتيقة ، مصورة عن طبعة باريس .
٦٥-	قطوف من ثمار الأدب الأندلسي – علي أحمد عبد الهادي الخطيب – دار نهضة الشرق – مصر .
٦٦-	القوافي لأبي الحسن سعيد الأخفش – تحقيق: عزة حسين – مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم – سنة ١٩٧٠ ف .
	(ل)
٦٧-	لسان العرب – لابن منظور ، وضع فهارسه علي شيري – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – سنة ١٩٩٢ ف .
	(م)
٦٨-	المطرب من أشعار أهل المغرب – ابن دحية - تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي – راجعه طه حسين – مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد – القاهرة – الطبعة الأولى – سنة ١٩٥٤

	مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس –للوزير الكاتب أبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان – دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة – دار عمار – مؤسسة الرسالة – بيروت للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ ف .
٧٠-	المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع – عبد الوهاب عزّام – دار المعارف مصر – سنة ١٩٥٩ ف .
٧١-	المعجب في تلخيص أخبار المغرب – عبد الواحد المراكشي – تحقيق محمد سعيد العريان – يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة – سنة ١٩٦٣ ف .
٧٢-	معجم البلدان – ياقوت الحموي – دار صادر – بيروت – لبنان .
٧٣-	المغرب في حُلى المغرب – لابن سعيد ، تحقيق : شوقي ضيف ، الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر .
٧٤-	معجم الشعراء العباسيين – عفيف عبد الرحمن جروس – دار صادر بيروت الطبعة الأولى – سنة ٢٠٠٠ ف .
٧٥-	المعجم الوسيط –إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ، ومحمد خلف الله أحمد – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثانية .
٧٦-	موسوعة شعراء العرب – يحيى شامي – دار الفكر العربي بيروت – لبنان الطبعة الأولى – سنة ١٩٩٦ ف .
	(ن)
٧٧-	نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقري التلمساني تحقيق : إحسان عباس – دار صادر بيروت - سنة ١٩٦٨ ف .
	(و)
٧٨-	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان – إعداد وداد القاضي ، وعز الدين أحمد موسى – إشراف إحسان عباس – دار صادر بيروت – لبنان .
	(ي)
٧٩-	يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر –أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري – تحقيق مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٣ ف .

ثانياً : الدوريات

1-	مجلة دراسات أندلسية – العدد الرابع والعشرون – والثامن والعشرون – طبع في المطبعة المغاربية للطباعة والنشر – تونس – سنة ٢٠٠٠ ، ٢٠٠٢ف .
2-	مجلة المعرفة السورية العدد ١٨ – ٢١٦ فبراير سنة ١٩٨٠ ف .

فهرس الموضوعات

الموضوعات	رقم الصفحة
المقدمة	د
الفصل الأول : **التأثير في نظم القصائد**	
المبحث الأول : التأثير في الأغراض الشعرية	٢
١- الوصف .	٤
٢- المديح .	١٢
٣- الغزل .	١٧
٤-الرثاء .	٢٠
٥- الهجاء .	٢٤
٦- الفخر .	٢٧
٧- الإخوانيات .	٣٠
٨- الزهـد .	٣٦
المبحث الثاني: التأثير في المضمون " المعاني والصور و الأخيلة ".	٤١
أولاً : تأثيرهم في المعاني .	٤٢
ثانياً : التأثير في الصور والأخيلة .	٥٠
المبحث الثالث : التأثير في القوافي و البحور .	٥٨
أولاً : التأثير في القوافي	٥٩

ثانياً : التأثير في البحور	٦٧
الفصل الثاني : **دورهم في النهوض بالشعر من خلال تفضيل الشعراء**	
المبحث الأول : الاستماع إلى الشعراء وتقديم الحوافز	٧٣
أولا : التوجيه البين .	٧٤
ثانياً : التوجيه الخفي.	٧٩
المبحث الثاني : تقليدهم المناصب وإرسالهم في مهمات	٨٥
المبحث الثالث : الدعوة إلى البديهة والارتجال	٩٥
الفرق بين البديهة والارتجال	٩٦
أولاً : الدعوة إلى البديهة والارتجال بطريق خفي	٩٨
ثانياً : الدعوة إلى البديهة والارتجال بشكل بيِّن	١٠٥
المبحث الرابع : الدعوة إلى تأليف كتب المجاميع الشعرية	١١١
الفصل الثالث : **نقدهم للشعر**	
المبحث الأول : نقدهم للمعاني والألفاظ	١١٧
المبحث الثاني : السرقات الشعرية	١٣٠
١- مواضع السرقات الشعرية	١٣٢
٢- دور رجال الدولة في توجيه السرقات بين الاستحسان والاستهجان	١٣٢
المبحث الثالث : نقد الصور و الأخيلة	١٣٨
الخاتمة	١٤٨
فهرس المصادر والمراجع	١٥١